لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !

(عدد 22 / ديسمبر 2014)

الإنتخابات التشريعية و الرئاسية فى تونس و أوهام الديمقراطية البرجوازية

ناظم الماوي

مقدّمة العدد 22 :

رمال متحرّكة . هكذا نعت و ينعت بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي ، الولايات المتحدةالأمريكية وصاحب الخلاصة الجديدة للشيوعية ، فى عدد من كتاباته ما مثّلته و ما تمثّله الإنتخابات و الديمقراطية البرجوازية بالنسبة للشيوعيين .

و بالفعل تاريخيّا ، إبتلعت هذه الرمال المتحرّكة أحزابا عريقة كانت ثورية وكانت لها قاعدة شعبية نسبية فى وقت من الأوقات و أفسدتها الأوهام الديمقراطية البرجوازية فتغيّر لونها و أضحت أحزابا تحريفية برجوازية بعدما كانت أحزابا بروليتارية . هذا ما حصل للحزب الشيوعي الفرنسي و الحزب الشيوعي الإيطالي مثلا خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية و بعدها . و ذات هذه الرمال المتحرّكة إبتلعت الكثير من حركات التحرّر الوطني من السلفادور إلى غواتيمالا إلى جنوب أفريقيا إلخ .

و قد غرق فى أوهام الديمقراطية البرجوازية حتى بعض الماركسيين – اللينينيين – الماويين وتجربة الثورة الماوية فى النيبال أفضل مثال على ذلك حيث إنساق الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي)، بعدما هيمن عليه خطّ تحريفي أواسط العقد الأوّل من القرن الواحد و العشرين ، خلف تلك الأوهام ففكّك سلطة قواعد حمراء و جيشا أحمر لينخرط فى لعبة الديمقراطية البرجوازية فكانت النتيجة خيانة الشيوعية و خيانة الطبقات والفئات الشعبية وخدمة ترميم الدولة الرجعية ، دولة الإستعمار الجديد هناك ، و إعادة هيكلتها على حساب المضطهَدين و المستغَلّين ...

و نقترح على من يرنو التعمّق النظري فى علم الشيوعية و الموقف البروليتاري الثوري من الديمقراطية البرجوازية وأوهامها ، إضافة إلى دراسة بعض نصوصنا المخصّصة للقضيّة فى أعداد **" لا حركة شيوعية ثورية دون ماويّة ! "** ، دراسة كتابي لينين **" الدولة و الثورة "** و**" الثورة البروليتارية والمرتدّ كاوتسكي"** و كتاب ماو تسى تونغ **" حول الديمقراطية الجديدة "** و النصوص الماوية خلال الصراع ضد التحريفية المعاصرة السوفياتية منها والأمريكية و الفرنسية و الإيطالية و اليوغسلافية و منها على سبيل الذكر لا الحصر :

- عاشت اللينينية (أفريل 1960)
- لنتحد تحت راية لينين الثورية (أفريل 1960)
- الى الأمام على طريق لينين العظيم (أفريل 1960)
- الخلافات بين الرفيق تغلياتي و بيننا (ديسمبر1962)
- مرة أخرى حول الخلافات بين الرفيق تغلياتى و بيننا (1963)
- أصل الخلافات و تطورها بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي و بيننا (1963)
- سياستان للتعايش السلمى متعارضتان تماما (1963)
- إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية (1963)
- من أين أتت الخلافات؟ رد على توريز و رفاق آخرين (فيفري 1963)
- الثورة البروليتارية وتحريفية خروتشوف .
- اللينينية و التحريفية المعاصرة (1963)
- شيوعية خروتشوف المزيفة و الدروس التاريخية التى تقدمها للعالم (جويلية 1964)
- لينينية أم امبريالية اشتراكية ؟ (أفريل 1970)

و بالطبع لا مناص لمن يتطلّع حقّا إلى دراسة جدّية لإضافات الماويين بعد ماوتسى تونغ و خسارة الصين الإشتراكية عقب إنقلاب 1976 التحريفي و إعادة تركيز الرأسمالية هناك ، من تفحّص كتابات بوب أفاكيان سواء منها تلك التى نشرت فى العدد 17/ 1992 من مجلّة " **عالم نربحه** " (مجلّة الحركة الأممية الثورية) تحت عنوان " **الديمقراطية : بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك** " أو الكتاب السابق لذلك العمل " **الديمقراطيّة : أليس بوسعنا أن ننجز أفضل من ذلك ؟** " و الذى ترجم شادي الشماوي فصلا منه (فصل " أوهام الديمقراطية ") ونشره بموقع حوار المتمدّن بعنوان " **من الولايات المتحدة الأمريكية تحليل لأوهام الديمقراطية البرجوازية** " ، و ما تلاهما من مؤلّفات مثل **" حول ديمقراطية البروليتاريا و دكتاتورية البروليتاريا – نظرة مختلفة راديكاليا لقيادة المجتمع " سنة 2003 و " الشيوعية وديمقراطية جيفرسون "** سنة 2008 ... وغير ذلك ممّا يتوفّر على موقع الأنترنت :

www.revcom.us

و فى عدد نشريّتنا هذا ، تجدون قراءات لكيف أنّ هذه الرمال المتحرّكة (الإنتخابات و الديمقراطية البرجوازية و أوهامها) إبتعلت وتبتلع فرق اليسار الإصلاحي و حتى تلك التى تدّعى الثورية ، و لكيف عرّت هذه الإنتخابات حقيقة أنّ " الشيوعيين " فى القطر (و عربيّا عامة) باتوا منذ زمن بلا شيوعية و فى المقابل بالطبع تعثرون على الموقف البديل الشيوعي الماوي الثوري المعتمد على شيوعية اليوم ، الشيوعية الأكثر رسوخا علميّا و الأكثر تقدّما ، الخلاصة الجديدة للشيوعية .

و المقالات الخمسة لهذا العدد هي :

1- **خروتشوفيّة " اليسار " الإصلاحي**

2- **الإنتخابات و أوهام الديمقراطية البرجوازية : تصوّروا فوز الجبهة الشعبية فى الإنتخابات التشريعية و الرئاسية لسنة 2014**

3- **تونسُ الإنتخاباتِ و الأوهام الديمقراطية البرجوازيةِ و الشيوعيين بلا شيوعيّة**

4- **الإنتخابات فى تونس : مغالطات بالجملة للجماهير الشعبية من الأحزاب اليمينية و اليسارية الإصلاحية**

5- **إلى الماركسيّات والماركسيين الشبّان: ماركسيين ثوريين تريدوا أن تكونوا أم إصلاحيين؟**

و لا حركة شيوعية ثوريّة دون ماويّة **!** والماوية الثورية اليوم هي الخلاصة الجديدة للشيوعية **!**

1- خروتشوفيّة " اليسار " الإصلاحى

(أوت 2014)

لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة . وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام ، بوصفها نزعة تحريفية...
- ان ما يجعل التحريفية أمرا محتما ، انما هي جذورها الطبقية فى المجتمع المعاصر . فإن النزعة التحريفية ظاهرة عالمية...
- ان نضال الماركسية الثورية الفكرى ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التى ستخوضها البروليتاريا السائرة الى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام...

(لينين - **الماركسية و النزعة التحريفية**)

إنّ الإستعاضة عن الدولة البرجوازية بدولة بروليتارية لا تمكن بدون ثورة عنيفة .

(لينين - **الدولة و الثورة** - ص 23)

========================

التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون اليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي .

(ماو تسي تونغ - خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية - 12 مارس/ أذار 1957 ؛ - **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** - ، ص21-22).

========================

إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي - اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء .

(ماو تسى تونغ - **قضايا الحرب و الإستراتيجية** - نوفمبر- تشرين الثاني 1938؛
المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

مقدّمة :

فى الإطار الشامل لصراع الخطّين صلب الحركة الشيوعية العالمية فى ستّينات القرن العشرين و سبعيناته ، بين التحريفية المعاصرة ، السوفياتيّة منها و اليوغسلافية و الإيطاليّة و الفرنسية ... و على رأسها الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي من جهة ؛ و الأحزاب و المنظّمات التى ستشكّل ما سيطلق عليه الحركة الماركسية – اللينينية و على رأسها الحزب الشيوعي الصيني ، نشأت معظم فرق اليسار الماركسي فى تونس (كما فى بلدان أخرى) خارج الحزب الشيوعي التونسي التحريفي الإصلاحي و الموالي للتحريفية السوفياتية . فكانت هذه المجموعات الماركسية – اللينينية الناشئة حينها معادية للخطّ و الأطروحات الخروتشوفية التى رفعتهما التحريفية السوفياتية ، إلاّ أنّها مع مرور الزمن و بعد عقود الآن أضحت هي ذاتها فى غالبيّتها الغالبة خروتشوفيّة من حيث تعلم و من حيث لا تعلم .

جوهر الخروتشوفية :

كان خروتشوف عضوا قياديّا بارزا فى الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و عقب وفاة ستالين سنة 1953 ، صعد إلى أعلى المراتب القيادية و إنقلب على ستالين و الخطّ البروليتاري الثوري ليفرض و زمرته خطّا تحريفيّا برجوازيّا على الحزب و الدولة أعاد تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي . و بإقتضاب من أهمّ مكوّنات الخطّ الخروتشوفي الذى تواصل تطبيقه حتى بعد سقوط خروتشوف و تعويضه ببريجناف على رأس الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي ، الهجوم الإنتهازي السافر و المسعور على الرفيق ستالين الماركسي العظيم الذى قام ببعض الأخطاء ، قصد تحطيم صورته و ما ترمز إليه لدى الحركة الشيوعية العالمية و الشعوب الطامحة للتخرّر من نير الإمبريالية و الإستغلال و الإضطهاد القومي و الطبقي و الجندري ، و تعبيد الطريق لفرض سياسة " التعايش السلمي " و " التنافس السلمي " و " الإنتقال السلمي إلى الإشتراكية " إلى جانب " دولة الشعب بأسره " وهي مفاهيم تضرب فى الصميم النظرة الشيوعية للعالم و مبادئها و الخطّ و البرنامج البروليتاريين و تعدّ إستسلاما أمام الإمبريالية العالمية و تكريسا لخطّ البرجوازيّة الجديدة التى نشأت فى ظلّ الإشتراكية لأسباب ليس هنا مجال تفصيلها و الذى أعاد تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي وحوّل فى نهاية المطاف الحزب و الدولة البروليتاريين إلى حزب و دولة برجوازيين فصار الإتحاد السوفياتي إمبريالية إشتراكية ، إمبريالية فعلا و إشتراكية قولا .

لذلك يعتبر خروتشوف رمزا للبرجوازية الجديدة التى أطاحت بحكم البروليتارية فى الإتحاد السوفياتي ، و للتحريفية المعاصرة التى خرّبت الحركة الشيوعية العالمية بما هي فكر برجوازي فى صفوفها فنال ما يستحقّ من إختقار الشيوعيين الثوريين عالميّا الذين فضحوه و خطّه و سياساته المعادية للشيوعية .

(و لمن يرنو إلى التعمّق فى فهم الخروتشوفية و من يريد حقائقا عن الموقف الماوي من تحريفية خروتشوف ، نوفّر له فى ملحق هذا المقال نصّا للحزب الشيوعي الصيني هو التعليق الثامن على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي و النص الماوي يحمل عنوانا معبّرا فى حدّ ذاته " الثورة البروليتارية و تحريفيّة خروتشوف " و مضمونه يدحض الكثير من الإفتراءات المعادية للماويّة و منها تلك التى أوردها السيّد فؤاد النمري فى مقاله المنشور على صفحات الحوار المتمدّن و الحامل لعنوان " ماو تسى تونغ صمت دهرا و نقطا كفرا " .)

خروتشوفيّة " اليسار " الإصلاحي :

أ- عن " التعايش السلمي " :

بيّن و جلي لمن له عيون ليرى و آذان ليسمع أنّ فرق " اليسار " الإصلاحي فى القطر (و فى بقيّة الأقطار العربية و عالميّا) تنتهج سياسة " التعايش السلمي " مع أعداء الشعب . فمن البديهي أن من أبرز الأمثلة على ذلك تحالف حزب العمّال منذ سنوات ، مع حركة النهضة الإسلاميّة الفاشية فى إطار تحالف 18 أكتوبر و تحالف الجبهة الشعبية بغالبيّة مكوّناتها منذ ما يناهز السنة مع " نداء تونس " المعتبر موضوعيّا وريثا للتجمّع الدستوري الديمقراطي المنحلّ فى إطار " جبهة الإنقاذ ..." ، و جلوس ما بتا معروفا بحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد (الوطد الموحّد) و الحزب الوطني الإشتراكي الثوري (الوطد الثوري) و غيرهما كثير إلى جانب الرجعيين و منهم الإسلاميين الفاشيين فى إطار المجلس الأعلى لحماية الثورة سنة 2011 .

و الأنكى أنّ المتمركسين و تعميقا منهم للتعايش السلمي مع الرجعية قطعوا أشواطا كبرى فى إتجاه التنازلات ليس السياسيّة و حسب بل النظريّة أيضا إذ شاهدنا زعيم حزب العمّال يعلن أنّه مسلم و يدافع عن النقاب على أنّه حرّية فردية (أنظروا مقالنا " النقاب و بؤس تفكير زعيم حزب العمّال التونسي " المنشور فى مارس 2014 على صفحات الحوار المتمدّن) و شاهدنا زعماء آخرين يكبّرون و يعلنون إعلاءهم كمسلمين لراية القرآن و يروّجون لصداقاتهم مع الإسلاميين الفاشيين .

هذا من ناحية التجارة الرائجة بالدين و المبادئ الشيوعية و من ناحية أخرى ، معلوم أنّ حزب العمّال ، فى سياق تحالف 18 أكتوبر ، صرّح بأنّ حركة النهضة الظلامية الإسلاميّة الفاشيّة تيّار ديمقراطي و أصبغ المشاركون فى المجلس الأعلى لحماية الثورة (حزب العمّال و ما بات مشهورا بالوطد الموحّد و بالوطد الثوري و غيرهم) صبغة الديمقراطية و الوطنية و ماشابه من الصفات على هذا التيّار الرجعي الظلامي عميل الإمبريالية العالمية .

و هذه مجرّد أمثلة قليلة عن التعاش السلمي لل"يسار " الإصلاحي مع الرجعية و تقديمه لها التنازلات و أجلّ الخدمات .

ب- عن " الإنتقال السلمي " :

إنّ الفرق المنخرطة فى لعبة ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد تتصوّر إمكانيّة " الإنتقال الديمقراطي " (و طبعا لا تذكر الطابع الطبقي للديمقراطية بل تستخدم المصطلح على أنّه ديمقراطية " خالصة ") أو الإنتقال إلى " الجمهوريّة الديمقراطية الإجتماعية " أو الجمهورية الديمقراطية أو إلى " مجتمع عادل " إلخ عبر الطريق البرلماني و " التنافس السلمي " مع أحزاب و منظّمات الطبقات الرجعية الحاكمة و بذلك تطبّق هذه الفرق الخروتشوفيّة بدعوى النضال الديمقراطي و الجماهيري الواسع و الواقعيّة و فنّ سياسة الممكن و المرونة التكتيكيّة و مستوى وعي الجماهير و المساهمة فى معارك الشعب ...

و قد يتلكّؤ البعض و يعلن عدم المشاركة فى لعبة الإنتخابات ليس من منطلق مبدئي شيوعي يشرحه للجماهير الواسعة الأوهام الديمقراطية البرجوازية ويروّج بالتالي للشيوعية كعلم للثورة البروليتارية العالمية ، و إنّما من منطلق تكتيكي يقولون و خاصة لعدم توفّر شروط إنتخابات نزيهة وهو ما نجده مضحكا للغاية : هل ثمّة فى عالم اليوم بلد تجرى فيه الإنتخابات دون تآمر الطبقات الرجعية و أحزابها و تحكّمها فى العملية (بالمال السياسي و الإعلام و شراء الذمم و التزوير إن لزم الأمر ...) ؟ و حتّى فى الولايات المتحدة و فرنسا (و قد فاحت رائحة عفن الديمقراطية البرجوازية فى البلدان الإمبريالية فما

بالك فى المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات) لم و لن تتوفّر الشروط التى تحدّث عنها مثلا البيان المشترك لحزب الكادحين الوطني الديمقراطي و حزب النضال التقدّمي و بهذا نلفيهما يسبحان فى عالم المثاليّات و أوهام الديمقراطية البرجوازية و يضلّلون المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية بهذا الصدد .

و مثلما شاركت مجموعة ما بات يسمّى بالحزب الوطني الإشتراكي الثوري (الوطد الثوري) فى إنتخابات أكتوبر 2011 بصفة مقنّعة ضمن قائمات يدّعى أنّها مستقلّة ، قد تعيد الكرّة فى الإنتخابات القادمة و تساهم من موقعها هي الأخرى فى أن تصبغ على لعبة الديمقراطية البرجوازية لدولة الإستعمار الجديد الشرعية مكرّسة إيمانها غير المعلن ب" الإنتقال السلمي " .

و فى حين يرفع الشيوعيون الماويّون الثوريّون راية مقولة ماو تسى تونغ **" من حقّنا أن نثور ضد الرجعية "** ، فى خضمّ الصراع الطبقي نجد أن الخروتشوفيّين بشكل مباشر أو غير مباشر يدينون العنف (بما هو إستمرار للسياسة) الذى تلجأ إليه الجماهير فى نضالها أو مقاومتها لقمع دولة الإستعمار الجديد و يطعنون فى الصميم مبدأ من مبادئ الشيوعية و قدعرّينا مواقفهم التحريفية هذه فى ما يتّصل بأحداث سليانة فى مقال " تونس – سليانة : الموقف التحريفي المخزي لبعض فرق " اليسار" من العنف الجماهيري " ديسمبر 2012 ؛ و فى كتاب " حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب ماركسي مزيّف " عرضنا الموقف الشيوعي الماوي الثوري فقلنا فى فقرة " عن التداول السلمي على السلطة عبر الإنتخابات " كنقطة 3 من الفصل السادس : " الهوية الفكرية والطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ": حزب تحريفي برجوازي ".

" و على النقيض من هؤلاء الماركسيين المزيفين ، كرّس الماركسيون - اللينينيون ، بعد إنقسام الحركة الماركسية - اللينينية إلى جناح دغمائي تحريفي خوجي و إلى جناح ماركسي - لينيني - ماوي و قبل ذلك فى بعض الحالات ، المبادئ الماركسية - اللينينية و مسترشدين بمقولة لينين : **" إنّ الإستعاضة عن الدولة البرجوازية بدولة بروليتارية لا تمكن بدون ثورة عنيفة "** (**" الدولة و الثورة "** ، الصفحة 23) و نابذين الخروتشوفية و الطريق السلمي و البرلماني ، ووٍاعين ما تتطلّبه الثورة الديمقراطية الجديدة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة (و الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية) ، إنطلق العديد منهم فى حرب الشعب و ذلك على سبيل المثال فى الفليبين و الهند منذ أواخر الستينات و فى تركيا فى بداية السبعينات و لاحقا فى البيرو و النيبال . و لم تتوقّف حرب الشعب فى الفليبين و الهند و تركيا إلى اليوم وهي لا تتغافل عن الحقيقة التى لخّصها ماو تسى توغ فى جملته الشهيرة **" من فوهة البندقية تنبع السلطة السياسية "**.

فى الوقت الذى يسوّق فيه كلّ أرهاط التحريفيين للطريق السلمي مغالطين الجماهير الشعبية و مضلّلينها ، يكرّس الشيوعيون الماويون المقولات اللينينية و الماوية و أساس تعاليم ماركس و إنجلز و يربّون الجماهير بروح الثورة العنيفة مطبّقين عمليّا ما ورد فى " الدولة و الثورة " من :

" ضرورة تربية الجماهير بصورة دائمة بروح <u>هذه</u> النظرة و هذه النظرة بالذات للثورة العنيفة هي أساس تعاليم ماركس و إنجلس <u>بأكملها</u>. و خيانة تعاليمها من قبل التيارين الإشتراكي – الشوفيني و الكاوتسكي السائدين اليوم تتجلى بوضوح خاص فى نسيان هؤلاء و أولئك لهذه الدعاية ، لهذا التحريض ."

(لينين –" **الدولة و الثورة** " ، الصفحة 23 من الطبعة العربية لدار التقدّم ، موسكو).

و هكذا بلا أدنى شكّ الحزب الموحّد خروتشوفي يتبنّى و يكرّس الخروتشوفية الداعية للتحوّل السلمي المنافي للماركسية - اللينينية التى تعلى راية حرب الشعب و العنف الثوري على خطى ماركس ولينين العظيمين . " (إنتهى المقتطف) .

ت- عن " دولة الشعب بأسره " :

كان خروتشوف يهدف من خلال مقولته هذه إلى إنكار حقيقة طبقيّة الدولة بإعتبارها جهاز قمع طبقة (أو طبقات) لطبقة (أو طبقات) مناهضا بذلك اللينينية و موجّها طعنة خبيثة للحقائق التى أوضحها لينين العظيم فى**" الدولة و الثورة "** .

و تتعاطى مجموعات "اليسار " الإصلاحي مع دولة الإستعمار الجديد كما لو أنّها " دولة الشعب بأسره " فتبثّ الأوهام بشأن قوات القمع مضلّلة المناضلاتو المناضلين و الجماهير الواسعة بشعار مخادع هو " الأمن الجمهوري " و بشأن جيش دولة الإستعمار الجديد فيمدحه من يمدحه و يتحدّث عنه آخرون بصيغة " جيشنا " ... و هذا فضلا عن كونه يفضح إصلاحية هذه المجموعات و تحريفيّتها فهو ينكر الحقائق الموضوعيّة التالية التى أكّد عليها ماو تسى تونغ :

- يعتبر الجيش ، حسب النظرية الماركسية حول الدولة ، العنصر الرئيسي فى سلطة الدولة . فكلّ من يريد الإستيلاء على السلطة و المحافظة عليها ، لا بدّ أن يكون لديه جيش قويّ.

(ماو تسى تونغ - **قضايا الحرب و الإستراتيجيا-** 6 نوفمبر - تشرين الثاني 1938 ؛ المؤلفات المختارة المجلّد الثاني ، الصفحة 66 من " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** ") .

- إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي - اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء .

(ماو تسى تونغ - **قضايا الحرب و الإستراتيجيا** - نوفمبر- تشرين الثاني 1938؛
المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

يزعم المتمركسون أنّهم يتبنّون الشيوعية و الحال أنّهم يديرون ظهرهم لمبادئها و منها ما صاغه ماركس و إنجلز ، مؤسسا الشيوعية فى " بيان الحزب الشيوعي " :

" و يترفع الشيوعيون عن إخفاء آرائهم و مقاصدهم ، و يعلنون صراحة أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها و تحقيقها إلاّ بدكّ كلّ النظام الإجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية. فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها و أغلالها و تربح من ورائها عالما بأسره ".

خاتمة :

كانت الخروتشوفيّة و لا تزال معادية للثورة البروليتارية العالمية فهي خطّ تحريفي برجوازي يخدم الإمبريالية و الرجعية و يبثّ الأوهام الديمقراطية البرجوازية لذا يترتّب على الشيوعيين الماويين الثوريين أن يقاتلوها بلا هوادة مهما كانت الأشكال و التعبيرات التى تتّخذها و أن يلحقوا بها الهزيمة إذا أرادوا تمهيد السبيل لإنتشار علم الشيوعية و تحوّله إلى قوّة ماديّة عندما تتبنّاه الجماهير صانعة التاريخ بقيادة الشيوعيين الماويين الثوريين .

و يحتاج العالم الشيوعي الضروري و الممكن ، يحتاج من الذين يتطلّعون إلى تحقيقه على أرض الواقع الإعداد للثورة الجذريّة (الديمقراطية الجديدة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة والثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية) و إنجازها كجزء من الثورة البروليتارية العالمية كما يتطلّب مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و الغاية الأسمى هي الشيوعية على النطاق العالمي ، علما أنّ الثورة الشيوعية :

" ... تقطع من الأساس كل رابطة مع علاقات الملكية التقليدية ، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطورها ، كل رابطة مع الأفكار و الآراء التقليدية ."

ماركس و إنجلز - بيان الحزب الشيوعي -

==

ملحق :

الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف

- تعليق ثامن على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة ((جينمينجيباو)) ومجلة ((العلم الأحمر))

31 مارس (آذار) 1964

دار النشر باللغات الأجنبية بكين 1964

طبع في جمهورية الصين الشعبية

نسخها للأنترنيت الصوت الشيوعي

مكتبة ماو للعرب Mao for Arab Library /

سيناقش هذا المقال مسألة ((الانتقال السلمي)) المعروفة . فلقد أصبحت هذه المسألة معروفة ولفتت أنظار كل الناس ، والسبب في ذلك يعود الى أن خروشوف أثارها في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وجعلها كاملة منتظمة اتخذت شكل برنامج في المؤتمر الثاني والعشرين حيث وطد أفكاره التحريفية ضد الأفكار الماركسية اللينينية . وقد عزفت الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ 14 يوليو (تموز) عام 1963 هذه النغمة القديمة أيضا .

وفي تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، دائما ما عبرت خيانة جميع المحرفين للماركسية والبروليتاريا عن نفسها بصورة مركزة في معارضتهم للثورة العنيفة ولدكتاتورية البروليتاريا وفي ترويجهم للانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهذا هو الحال أيضا مع تحريفية خروشوف . وخروشوف فيما يتعلق بهذه المسألة تلميذ لبرنشتاين وكاوتسكي كما هو تلميذ لبراودر وتيتو .

لقد لاحظنا منذ أيام الحرب العالمية الثانية ظهور التحريفية البراودرية ، والتحريفية التيتوية ، ونظرية ((الاصلاح في التركيب)) . وهذه الفصائل من التحريفية هي ظواهر محلية في صفوف الحركة الشيوعية العالمية .الا أن تحريفية خروشوف التي ظهرت وسادت في قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، أصبحت قضية كبرى ذات أهمية شاملة بالنسبة الى صفوف الحركة الشيوعية العالمية تؤثر تأثيرا حاسما على نجاح أو فشل كل القضية الثورية للبروليتاريا العالمية .

وهذا ما يجعلنا نكتب هذا المقال لنجيب على المحرفين بعبارات أوضح من ذي قبل .

أحد تلامذة برنشتاين وكاوتسكي

بدأ خروشوف منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي يتقدم بطريق ((الانتقال السلمي)) ، أي ((الانتقال الى الاشتراكية عبر الطريق البرلماني)) ، [1] هذا الطريق الذي يعارض طريق ثورة أكتوبر تامة .

فلنمحص ((الطريق البرلماني)) الذي يروج له خروشوف وأمثاله .

يعتقد خروشوف أن البروليتاريا يمكنها ، في ظل ديكتاتورية البرجوازية ووفقا للقوانين الانتخابية البرجوازية ، أن تكسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان . ويقول انه في الأقطار الرأسمالية : ((... سوف تصبح الطبقة العاملة ، بحشدها الفلاحين الكادحين والمثقفين وكل القوى الوطنية حول نفسها وبانزال الردع الحازم بالعناصر الانتهازية التي ترفض التخلي عن سياسة المساومة مع الرأسماليين والاقطاعيين ، في وضع يمكنها من هزيمة القوى الرجعية التي تقف ضد مصالح الشعب ، ومن كسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان)) . [2]

ويرى خروشوف أن البروليتاريا اذا تمكنت من كسب الأغلبية في البرلمان فان هذا سيكون مساويا للاستيلاء على سلطة الدولة وتحطيم جهاز الدولة البرجوازي . وقال ، بالنسبة الى الطبقة العاملة ((... فان كسب أغلبية في البرلمان وتحويله الى جهاز لسلطة الشعب ، مع وجود حركة ثورية قوية في البلاد ، يعني تحطيم الجهاز العسكري البيروقراطي للبرجوازية واقامة دولة بروليتارية شعبية جديدة في شكل برلماني)) . [3]

ويرى خروشوف أن البروليتاريا اذا تمكنت من كسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان فان هذا وحده سوف يمكنها من تحقيق التحول الاشتراكي للمجتمع . وقال ان كسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان ((من شأنه أن يخلق للطبقة العاملة في عدد من الأقطار الرأسمالية والأقطار التي كانت مستعمرات في الماضي ، الظروف اللازمة لاحراز تحولات اجتماعية أساسية)) . [4] وقال أيضا : ((... ان الوضع الراهن يمنح الطبقة العاملة في عدد من الأقطار الرأسمالية فرصة حقيقية لتوحيد الأغلبية الساحقة من الشعب تحت قيادتها ولضمان تحويل وسائل الانتاج الأساسية الى أيادي الشعب)) . [5]

ان برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي يتضمن ((أن الطبقة العاملة في عدد كبير من الأقطار يمكنها أن تجبر البرجوازية على اتخاذ اجراءات تفوق حدود الاصلاحات العادية ، حتى قبل الاطاحة بالرأسمالية)) . [6] وحتى أن البرنامج يذكر أنه من الممكن في ظل ديكتاتورية البرجوازية أن يظهر وضع في أقطار معينة ، ((تفضل البرجوازية فيه الموافقة على أن تشترى منها وسائل الانتاج الأساسية)) . [7]

ان البضاعة التي يروجها خروشوف ليست جديدة و ما هي الا طبقة ثانية لتحريفية الأممية الثانية وبعث للبرنشتاينية والكاوتسكية .

ان أهم مميزات خيانة برنشتاين للماركسية كانت هي ترويجه للطريق البرلماني المشروع ومعارضته للثورة العنيفة ولتحطيم جهاز الدولة القديم ومعارضته لدكتاتورية البروليتاريا .

كان رأي برنشتاين أن الرأسمالية يمكنها أن ((تنمو)) بصورة سلمية و ((تصبح اشتراكية)) . فلقد قال ان النظام السياسي للمجتمع البرجوازي المعاصر ((يجب ألا يحطم ، وكل ما يحتاج اليه هو أن يطور أكثر)) ؛ [8] وقال ((نحن الآن بالتصويت والتظاهرات وأمثالها من وسائل الضغط نحقق اصلاحات كان تحقيقها يتطلب ثورة دامية قبل مئة عام .)) [9]

وكان رأيه أن الطريق البرلماني المشروع هو الطريق الوحيد لتحقيق الاشتراكية . وقال ، اذا ما أصبح للطبقة العاملة ((الحق العام والمساواة في الانتخاب ، يكون قد تم بلوغ المبدأ الاجتماعي الذي هو الشرط الأساسي للتحرر)). (10)

وقال ((سوف يحين اليوم الذي تصبح فيه الطبقة العاملة قوية التعداد ومهمة تجاه كل المجتمع حتى يمكن القول ان قصر الحكام سوف يعجز عن تحمل ضغطها فينهار كأنما من تلقاء نفسه)) . (11)

قال لينين : ((ان البرنشتاينيين قبلوا الماركسية من قبل ويقبلونها اليوم بشرط أن يحذف جانبها الثوري المباشر . اذ أنهم لا يعتبرون النضال البرلماني أحد الأسلحة الصالحة خاصة لفترات تاريخية محددة ، بل يعتبرونه الشكل الأساسي والشكل الوحيد للنضال تقريبا ، مما يجعل كلمات ''القوة'' و ''الانتزاع'' و ''الديكتاتورية'' أشياء لا حاجة اليها .)) (((انتصار ''الكاديت'' ومهام الحزب العمالي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 10)

كان السيد كاوتسكي خلفا لائقا لبرنشتاين . ولقد روج هو بهمة ، كما فعل برنشتاين ، للطريق البرلماني وعارض الثورة العنيفة وديكتاتورية البروليتاريا . وقال ، في ظل النظام الديمقراطي البرجوازي ((لم يعد هناك مجال للنضال المسلح كوسيلة لتسوية النزاع الطبقي)) ، (12) وقال ((مما يضحك الدعوة الى الاطاحة السياسية بالعنف)) . (13) وهاجم لينين وحزب البلشفيك حين وصفهم بأنهم ((كقابلة مستعجلة تستخدم العنف لتجعل امرأة حبلى تلد جنينها في شهرها الخامس بدلا من التاسع)).(14)

لقد كان كاوتسكي مصابا لا أمل في شفائه بداء هوس البرلمانية . فلقد صرح بعبارة ذائعة الصيت هي ((أن الهدف من نضالنا السياسي ما زال ، كما كان من قبل ، هو الاستيلاء على سلطة الدولة عن طريق كسب الأغلبية في البرلمان وبتحويل البرلمان الى سيد للحكومة)) . (15)

كما قال أيضا : ((الجمهورية البرلمانية – على رأسها ملكية على الطراز الانجليزي أو بدون ملكية كهذه – في نظري هي الأساس الذي تنمو منه الديكتاتورية البروليتارية والمجتمع الاشتراكي . وهذه الجمهورية هي ''دولة المستقبل'' التي يجب أن نسعى نحوها .)) (16)

لقد نقد لينين عبارات كاوتسكي السخيفة هذه نقدا لاذعا .

وأعلن لينين مستنكرا كاوتسكي : ((ان السفلة أو بسطاء العقول وحدهم هم الذين يقولون انه يجب على البروليتاريا قبل كل شيء أن تكسب الأغلبية في الانتخابات التي تجرى تحت نير البرجوازية وفي ظل نير عبودية الأجر ، وعليها بعد ذلك أن تنتزع السلطة . ان هذه قمة الرعونة أو الرياء . ومعنى ذلك استبدال الصراع الطبقي والثورة بالتصويت في ظل النظام القديم والسلطة القديمة .)) (((التحيات الى الشيوعيين الايطاليين والفرنسيين والألمان)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 30)

وقال لينين في تعليق جارح على طريق كاوتسكي البرلماني : ((ما هذا الطريق سوى أتم وأسفل أنواع الانتهازية. اذ أنه يعني قبول الثورة باللسان وخيانتها بالفعل). (((الدولة والثورة)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة، المجلد 25) وقال : ان كاوتسكي ، عند تفسيره لمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ((على أنها تعني شطب العنف الثوري الذي تباشره الطبقة المضطهد□ة ضد مضطهديها ، قد حطم الرقم العالمي القياسي للتشويه الليبرالي للماركسية.)) (((الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 28)

لقد اقتطفنا فيما سبق من أقوال خروشوف وبرنشتاين وكاوتسكي ومن نقد لينين للأخيرين ، بصورة مطولة بعض الشيء بغية أن ندلل على أن تحريفية خروشوف ما هي الا برنشتاينية وكاوتسكية في العصر

الراهن ظاهرا وباطنا . ان خيانة خروشوف للماركسية ، كما كان الحال بالنسبة لبرنشتاين وكاوتسكي ، تظهر في أجلى صورها في معارضته للعنف الثوري ، وفيما يقوم به من أفعال ((ليشطب العنف الثوري)) . ولقد فقد برنشتاين وكاوتسكي الآن في هذا الصدد لقبهما اذ حاز عليه خروشوف تلميذ جدير لبرنشتاين وكاوتسكي ، وقد تفوق على معلميه .

---

(1) تقرير خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي يوم 14 فبراير (شباط) 1956 .

(2) نفس المصدر السابق .

(3) خطاب خروشوف في اجتماع عام للمنظمات الحزبية لمدرسة الحزب من المرتبة العليا التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وأكاديمية العلوم الاجتماعية ، ومعهد الأبحاث للماركسية اللينينية يوم 6 يناير (كانون الثاني) 1961 .

(4) تقرير خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي يوم 14 فبراير (شباط) 1956 .

(5) نفس المصدر السابق .

(6) ((برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي)) ، الذي أجازه المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي يوم 31 أكتوبر (تشرين الأول) 1961 .

(7) نفس المصدر السابق .

(8) برنشتاين : ((الشروط المسبقة للاشتراكية ومهام الحزب الاشتراكي – الديمقراطي)) .

(9) نفس المصدر السابق .

(10) برنشتاين : ((ما هي الاشتراكية ؟)) .

(11) برنشتاين : ((الاضراب الجماهيري السياسي والوضع السياسي للحزب الاشتراكي – الديمقراطي في ألمانيا)).

(12) كاوتسكي : ((التفسير المادي للتاريخ)) .

(13) كاوتسكي : ((الاشتراكية – الديمقراطية ضد الشيوعية)) .

(14) كاوتسكي : ((الثورة البروليتارية وبرنامجها)) .

(15) كاوتسكي : ((تكتيكات جديدة)) .

(16) حجة كاوتسكي كما أوردها ج . ك سوسليا ((التحريفية والنظرية الماركسية حول ديكتاتورية البروليتاريا)) .

الثورة العنيفة قاعدة عامة للثورة البروليتارية

يخبرنا تاريخ حركة الطبقة العاملة قاطبة أن الاعتراف أو عدم الاعتراف بالثورة العنيفة باعتبارها قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، وأن الاعتراف أو عدم الاعتراف بضرورة تحطيم جهاز الدولة القديم ، وبضرورة احلال ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازية ، دائما ما كانا يشكلان خطا فاصلا بين الماركسيين وكل أنواع الانتهازية والتحريفية ، وبين الثوريين البروليتاريين وكل المرتدين عن البروليتاريا .

وتبعا للتعاليم الأساسية للماركسية اللينينية فان القضية الرئيسية في كل ثورة هي قضية سلطة الدولة . وان القضية الرئيسية في الثورة البروليتارية هي قضية الاستيلاء على سلطة الدولة وتحطيم جهاز الدولة البرجوازي بالعنف ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا واحلال الدولة البروليتارية محل الدولة البرجوازية .

ودائما ما أعلنت الماركسية بصراحة حتمية الثورة العنيفة . وتبين بأن الثورة العنيفة هي القابلة التي تهيء لولادة المجتمع الاشتراكي وأنها الطريق الوحيد لاستبدال ديكتاتورية البرجوازية بديكتاتورية البروليتاريا ، وأنها قاعدة عامة للثورة البروليتارية .

وتعلمنا الماركسية بأن الدولة نفسها هي نوع من العنف . وان العنصرين الرئيسيين اللذين يتركب منهما جهاز الدولة هما الجيش والشرطة . ويدل اللتاريخ على أن جميع الطبقات الحاكمة تعتمد على العنف بغرض الحفاظ على حكمها .

ان البروليتاريا تفضل بالطبع الحصول على السلطة بالطرق السلمية . الا أن دلائل تاريخية وافرة تبرهن على أن الطبقات الرجعية لا تتخلى مطلقا عن السلطة من تلقاء نفسها ، وأنها دائما ما كانت البادئة باستخدام العنف لقمع الحركة الثورية الجماهيرية ، ولأثارة الحرب الأهلية ، الأمر الذي يدعو الى التفكير الجاد في النضال المسلح باعتباره قضية الساعة .

قال لينين : ((ما من ثورة عظيمة واحدة حدثت في التاريخ ، بدون حرب أهلية ، وما من ماركسي جاد سوف يؤمن بأنه من الممكن احداث الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية بدون حرب أهلية .)) (((نبوءة)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 27)

ان الثورات العظيمة التي حدثت في التاريخ والتي أشار اليها لينين تشمل الثورة البرجوازية أيضا . ومع أن الثورة البرجوازية هي ثورة تطيح بها طبقة مستغلة (بكسر الغين – ملاحظة الصوت الشيوعي) بأخرى عن الحكم ، الا أنها لا يمكن أن تحدث بدون حرب أهلية . فكيف اذن لا تحدث حرب أهلية نتيجة الثورة البروليتارية التي هي ثورة تنشب بهدف ازالة جميع طبقات ونظم الاستغلال .

وباعتبار أن الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، أوضح لينين مرارا ((أن فترة طويلة مليئة ب " آلام المخاض " تقع بين الرأسمالية والاشتراكية ، وأن العنف دائما كان قابلة تولد المجتمع القديم .)) (((الذين يفزعهم انهيار القديم والذين يناضلون من أجل الجديد)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 26) ((ان الدولة البروليتارية ، أي ديكتاتورية البروليتاريا ، لا يمكن أن تحل محل الدولة البرجوازية عن طريق "التلاشي التدريجي" ، بل القانون العام هو أن تحل الدولة البروليتارية محل الدولة البرجوازية فقط عن طريق ثورة عنيفة)) ، و ((ان ضرورة تثقيف الجماهير بصورة منتظمة بهذا ، وبالتحديد بفكرة الثورة العنيفة هذه ، تكمن في جذور جميع تعاليم ماركس وانجلز)) . (((الدولة والثورة)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 25)

وقال ستالين أيضا ان الثورة العنيفة التي تقوم بها البروليتاريا أي ديكتاتورية البروليتاريا هي ((شرط حتمي ولا غنى عنه)) للسير قدما نحو الاشتراكية في جميع الأقطار الواقعة تحت حكم رأس المال . (((رد على مناقشة تقرير " الانحراف الاشتراكي – الديمقراطي في حزبنا ")) ، المجموعة الكاملة لمؤلفات ستالين ، المجلد 8)

هل يمكن احداث تحول جذري للنظام البرجوازي بدون ثورة عنيفة وبدون ديكتاتورية البروليتاريا ؟ لقد أجاب ستالين على هذا السؤال وقال : ((كلا بوضوح . والتفكير في أن ثورة كهذه يمكن القيام بها بصورة سلمية ، في نطاق الديمقراطية البرجوازية التي تلائم حكم البرجوازية ، اما أن يكون جنونا وفقدانا للفهم الانساني العادي ، واما أن يكون خيانة معيبة مكشوفة للثورة البروليتارية .)) (((حول قضايا اللينينية)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 8)

ووفقا للنظرية الماركسية اللينينية المتعلقة بالثورة العنيفة وبالارتكاز على الخبرة الجديدة للثورة البروليتارية والثورة الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا ، وضع الرفيق ماو تسي تونغ رأيه المأثور الشهير والقائل بأن ((السلطة السياسية تنبت من فوهة البندقية)) .

قال الرفيق ماو تسي تونغ : ((. . . ان الثورات والحروب الثورية محتمة الوقوع في المجتمع الطبقي وما من قفزة بغياب هذه ، يمكن احرازها في التطور الاجتماعي ، كما سوف تستحيل الاطاحة بالطبقات الرجعية ويستحيل على الشعب أن يكسب السلطة السياسية .)) (((حول التناقض)) ، مؤلفات ماو تسي تونغ المختارة ، المجلد 1)

وقال : ((ان الاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة وتسوية المسألة عن طريق الحرب ، هما المهمة الأساسية وأرقى شكلين للثورة . ان هذا المبدأ الماركسي اللينيني الثوري ساري المفعول عموما ويمكن تطبيقه على الصين وعلى جميع الأقطار الأخرى .)) (((قضايا الحرب والاستراتيجية)) ، مؤلفات ماو تسي تونغ المختارة ، المجلد 2)

وقال : ((تعلمنا خبرة الصراع الطبقي في عهد الاستعمار أن الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة تتمكن من هزيمة البرجوازية والاقطاعيين المسلحين ، فقط بقوة السلاح . وتبعا لهذا يمكن القول بأنه يمكن بالسلاح ولا شيء سواه تغيير العالم كله .)) (نفس المصدر السابق)

وملخص القول هو أن الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، وهذا مبدأ أساسي للماركسية اللينينية . وخروشوف يخون الماركسية اللينينية فيما يتعلق بهذه القضية البالغة الأهمية بالذات.

نضالنا ضد تحريفية خروشوف

عندما قدم خروشوف مسألة ((الطريق البرلماني)) لأول مرة في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، اعتبر الحزب الشيوعي الصيني أن هذا كان خطأ عظيما ، كان نقضا للنظريات الأساسية للماركسية اللينينية ويستحيل قبوله على الاطلاق .

ولكن نظرا لأن تحريفية خروشوف كانت وقتذاك في مرحلتها الابتدائية ، ولم يكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أثاروا المجادلات العلنية بعد ، أمسكنا لحين من الوقت عن كشف خطأ خروشوف

الذي ارتكبه بتقديمه ((الطريق البرلماني)) كما لم ننقده علنا أيضا . ولكننا وضحنا ، مقابل رأيه الخاطىء ، الرأي الماركسي اللينيني في شكل ايجابي في مستنداتنا ومقالاتنا . وقمنا في نفس الوقت بالنضال الملائم والضروري ضد رأيه الخاطىء في المحادثات الداخلية الحزبية وفي الاجتماعات بين الأحزاب الشقيقة .

وقلنا بوضوح في تلخيصنا لخبرة الثورة الصينية ، في التقرير السياسي الذي قدمته اللجنة المركزية لحزبنا الى المؤتمر الوطني الثامن للحزب في سبتمبر (أيلول) عام 1956 :

((وبينما يعمل حزبنا من أجل الاصلاح بالطرق السلمية ، لا يسمح لنفسه بأن يفقد يقظته أو يتخلى عن سلاح الشعب . . .))

((ان الشعب ، على النقيض من الرجعيين ، ليس محبا للحرب . . . ولكن عندما يضطر الشعب الى حمل السلاح ، يصبح له كامل الحق في ذلك . ومعارضة الشعب في حمل السلاح ومطالبته بالرضوخ والتسليم أمام العدو المهاجم يعني السير على خط انتهازي . فهنا تصبح مسألة اتباع خط ثوري أم خط انتهازي مسألة كبرى تتعلق بما اذا كان على شعبنا البالغ عدده 600 مليون أن يستولي على السلطة السياسية عندما تكون الظروف ناضجة أم لا . لقد اتبع حزبنا الخط الثوري والنتيجة في ذلك هي أن لدينا الآن جمهورية الصين الشعبية .))

وفيما يتعلق بهذه المسألة فان وجهات النظر الماركسية اللينينية التي اتخذها المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني كانت تعارض وجهات النظر التحريفية التي اعتنقها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي ديسمبر (كانون الأول) عام 1956 ، أوضحنا طريق ثورة أكتوبر بصورة ايجابية في مقال نشرناه بعنوان ((مزيد من القول حول الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا)) ، وهكذا نقدنا في الحقيقة ما يسمى بالطريق البرلماني الذي وضعه خروشوف ليعارض به طريق ثورة أكتوبر .

وفي محادثات عديدة خاصة مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، نقد الرفاق القياديون في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وجهات نظر خروشوف الخاطئة نقدا جديا . وتمنينا بكل اخلاص أن يصلح أخطاءه .

وعند اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في عام 1957 ، دخل وفد الحزب الشيوعي الصيني في مناظرة حادة مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلق بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وأشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في مسودتها الأولى للتصريح والتي قدمتها أثناء التحضير لاجتماع موسكو ، فقط الى امكانية الانتقال السلمي ولم تذكر شيئا حول احتمال الانتقال غير السلمي ؛ وأشارت الى الطريق البرلماني وحده ولم تذكر شيئا عن وسائل النضال الأخرى ، وفي نفس الوقت علقت الآمال في كسب سلطة الدولة بواسطة الطريق البرلماني على ((الأعمال المتفق عليها بين الشيوعيين والاشتراكيين)) . ولم يكن بوسع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بالطبع أن توافق

على كتابة هذه الأفكار الخاطئة التي تشط عن الماركسية اللينينية في الوثيقة المبرمجة لجميع الأحزاب الشيوعية والعمالية .

وبعد أن قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني نقده ، قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي مسودة ثانية للتصريح . وبالرغم من اضافة بعض العبارات حول احتمال الانتقال غير السلمي اليها ، كانت صيغة ما ورد حول الانتقال السلمي فيها لم تزل تعكس الآراء التحريفية التي قدمها خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد عبر وفد الحزب الشيوعي الصيني عن عدم موافقته على هذه الآراء الخاطئة بعبارات واضحة . وفي 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 1957 ، وضح آراءه الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بطريقة منتظمة حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، كما قدم اليها أيضا عرضا عاما كتابيا بهذا الصدد .

والنقاط الأساسية في عرضنا العام الكتابي كانت ملخصة كما يلي :

((يكون من المفيد تاكتيكيا الاشارة الى الرغبة في الانتقال السلمي ولكن من غير الملائم الافراط في التركيز على امكانية الانتقال السلمي . ومن الضروري الاستعداد في كل وقت من الأوقات لردع الهجمات المعادية للثورة ؛ والاطاحة ، في مفترق الثورة الحرج عندما تقوم الطبقة العاملة فعلا بالاستيلاء على سلطة الدولة ، بالبرجوازية بالقوة المسلحة اذا استخدمت البرجوازية القوة المسلحة لكبت ثورة الشعب (ويتحتم عموما أن تلجأ البرجوازية لهذا) .

وتجب الافادة افادة كاملة من النضال البرلماني كشكل من أشكال النضال ، الا أن دوره محدود . والمهم للغاية هو السير بالعمل الشاق ، عمل تجميع القوى الثورية . ويجب ألا يفسر الانتقال السلمي بصورة تجعله يعني فقط الانتقال عن طريق أغلبية برلمانية . فالمسألة الأساسية هي مسألة جهاز الدولة ، وهي بالتحديد تحطيم جهاز الدولة القديم (وأساسا القوات المسلحة) .

ان الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية ليست أحزابا اشتراكية . وفيما عدا أجنحة يسارية معينة فانها أحزاب برجوازية سياسية في قناع جديد . وموقفنا فيما يتعلق بقضية الثورة الاشتراكية يختلف اختلافا أساسيا عن موقف الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية . وهذا الاختلاف لا يجب تغطيته بأي حال من الأحوال .

ان آراءنا هذه تساير الماركسية اللينينية مسايرة تامة .

ولم يستطع رفاق وفد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي معارضتها وقتذاك ، ولكنهم طلبوا منا مرارا أن نراعي حاجياتهم الداخلية ، وعبروا عن الأمل بأن تكون صياغة هذه المسألة في مسودة التصريح بصورة تظهر بعض الصلة بالصياغة التي وضعها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد دحضنا الأفكار الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وقدمنا عرضا عاما كتابيا يوضح آراءنا . ونظرا لهذا السبب ومن أجل النضال المشترك ضج العدو ، استجاب وفد الحزب الشيوعي الصيني

للالتماس المتكرر من قبل رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي ووافق على أن تعتبر مسودة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المتعلقة بهذه المسألة أساسا بينما اكتفى بادخال تعديلات على بعض النقاط منها .

كان أملنا أن يستيقظ رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي بهذه المناظرة ويدركوا أخطاءهم ويصلحوها . ولكن على النقيض مما أملنا فيه ، لم يفعل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذا .

وفي اجتماع الأحزاب الشقيقة عام 1960 ، دخل وفد الحزب الشيوعي الصيني مرة أخرى في مناظرات حادة متكررة مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وقد كشفنا ونقدنا بصورة شاملة كاملة أفكار خروشوف التحريفية . وقد تمسك الجانبان ، الصيني والسوفياتي ، أثناء الاجتماع بموقفيهما ولم يكن الاتفاق ممكنا . وتمشيا مع الرغبة العامة التي أبدتها الأحزاب الشقيقة في وضع وثيقة مشتركة في الاجتماع ، قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني تنازلا آخر في النهاية حول هذه المسألة ووافق على ادراج الصياغة الحرفية التي وردت في تصريح عام 1957 بشأنها ، وافق على ادراجها في بيان عام 1960 ، وكان السبب أيضا هو مراعاة حاجيات قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وقد وزعنا في نفس الوقت في هذا الاجتماع عرضا عاما خاصا بآرائنا حول مسألة الانتقال السلمي باسم الحزب الشيوعي الصيني بتاريخ 10 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1957 ، وأوضحنا أن مراعاتنا لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلق بهذه المسألة ، هي آخر مراعاة لهم وسوف لا نكرر هذا مرة اخرى .

اذا نقدنا بعضُ الرفاق بأننا أخطأنا حين أبدينا تلك المراعاة لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي في ذلك الحين ، فنحن على استعداد تام لقبول هذا النقد .

نظرا لأن صياغة مسألة الانتقال السلمي في التصريح والبيان كانت على أساس مسودات الحزب الشيوعي وهي في بعض أجزائها نفس الصياغة التي وضعها المؤتمر العشرون ، أصبحت في صياغة المسألة هذه بصورة عامة نواقص وأخطاء خطيرة ، حتى بالرغم من ترقيعها هنا وهناك . وبينما توضح الصياغة في الوثيقتين أن الطبقات الحاكمة لا تتخلى عن السلطة أبدا باختيارها ، تقول فضلا عن ذلك بأن سلطة الدولة يمكن كسبها في عدد من الأقطار الرأسمالية بدون حرب أهلية ؛ وبينما تقول بوجوب شن النضال الجماهيري الواسع بالاضافة الى النضال البرلماني لتحطيم مقاومة القوى الرجعية ، تقول أيضا بأن أغلبية غير متزعزعة يمكن الحصول عليها في البرلمان وهكذا يمكن تحويل البرلمان الى أداة لخدمة الشغيلة ؛ وبينما تشير الى الانتقال غير السلمي ، تمتنع عن التركيز على أهمية الثورة العنيفة باعتبارها قاعدة عامة . لقد استغل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي نقاط الضعف والأخطاء هذه التي جاءت في التصريح والبيان وتذرعوا بها لترويج تحريفية خروشوف .

يجب أن نعلن بمهابة أن الحزب الشيوعي الصيني ظل يتمسك بآرائه المختلفة عن الصياغة التي وردت في تصريح عام 1957 وبيان عام 1960 حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولم يحدث أبدا أن أخفينا آراءنا . ونرى أنه ، مراعاة لمصلحة القضية الثورية للبروليتاريا العالمية وبغرض سد الطريق أمام المحرفين حتى لا يسيئوا استعمال هاتين الوثيقتين المبرمجتين للأحزاب الشقيقة ، من الضروري تعديل صياغة هذه المسألة في التصريح والبيان عن طريق المشاورات المشتركة بين الأحزاب الشيوعية والعمالية حتى تساير المبادىء الماركسية اللينينية الثورية .

وبهدف مساعدة القراء على الالمام بوجهات نظر الحزب الشيوعي الصيني بكاملها حول هذه المسألة ، نعيد نشر النص الكامل للعرض العام للآراء حول مسألة الانتقال السلمي الذي قدمه وفدنا الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في 10 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1957 كملحق لهذا المقال .

لقد أحرز نضال الأحزاب الماركسية اللينينية والماركسيين ضد تحريفية خروشوف في العالم في السنوات الثماني الماضية تقدما عظيما . فلقد عرفت أعداد متزايدة من الناس القسمات الحقيقية لتحريفية خروشوف . ومع ذلك ، ما زال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يلجأون الى الخدع والمماحكة ، محاولين بجميع السبل ترويج سقط متاعهم .

ولهذا مازال من الضروري لنا أن ندحض سفسطة ((الانتقال السلمي)) .

السفسطة لا يمكن أن تبدل التاريخ

يشوه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مؤلفات ماركس ولينين علنا ، كما يشوهون التاريخ علنا أيضا ، لكي يستروا خيانتهم للماركسية اللينينية ويبرروا خطهم التحريفي .

انهم يجادلون قائلين : ألم يكن ماركس ((يعترف بامكانية (الانتقال السلمي) في انجلترا وأمريكا)) ؟ [1] ان هذه الحجة في حقيقة الأمر استعاروها من المرتد كاوتسكي الذي استعمل نفس الأسلوب لتشويه وجهات نظر ماركس حتى يتمكن من معارضة الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا .

حقيقة أن ماركس قال في سبعينات القرن التاسع عشر ((ان العمال (في بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا) يمكنهم بلوغ هدفهم بالطرق السلمية)) . ولكنه أكد في نفس الوقت أن هذا الاحتمال أمر شاذ . وقال ((حتى اذا كان الحال كذلك ، علينا أن نعترف أيضا بأن القوة في معظم أقطار القارة يجب أن تستخدم كرافعة لثورتنا)) . (ماركس: ((حول مؤتمر الهيق)) ، خطاب في اجتماع جماهيري في أمستردام)

وأضاف قائلا : ((دائما ما أظهرت البرجوازية الانجليزية استعدادها لقبول قرار الأغلبية طالما كانت تسيطر هي على احتكار الانتخابات . ولكن صدقوني انه ، عندما تجد هذه البرجوازية نفسها في جانب الأقلية فيما يتعلق بالمسائل التي تعتبرها ذات أهمية حيوية ، سيظهر هنا نوع جديد من حرب ملاك الرقيق .)) (((محضر المحادثة بين كارل ماركس ومراسل صحيفة "العالم")) ، المجموعة الكاملة لمؤلفات ماركس وانجلز ، المجلد 17)

قال لينين في نقده للمرتد كاوتسكي : ((ان الحجة القائلة بأن ماركس قد افترض في سبعينات القرن التاسع عشر امكانية الانتقال السلمي الى الاشتراكية في انجلترا وأمريكا ما هي الا حجة مغالط ، أو اذا قلنا بصراحة ، هي حجة مخادع يتلاعب بالعبارات المقتطفة والمراجع . اذ أولا ، أن ماركس اعتبر هذا الاحتمال أمرا شاذا حتى في ذلك الوقت . وثانيا ، لم يكن الرأسمال الاحتكاري ، أي الاستعمار ، موجودا وقتذاك . وثالثا ، لم تكن في انجلترا وأمريكا في ذلك الوقت عسكرية ، كما هو الحال الآن ، تخدم بصفتها الجهاز الرئيسي للدولة البرجوازية .)) (((الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 28)

وقال لينين ان الاستعمار ، بطبيعة خصائصه الاقتصادية الأساسية ، يتميز ب ((أدنى قدر من الصلة بالسلم والحرية ، وبأعظم قدر شامل لتطوير العسكرية)) . ان ((" العجز عن رؤية " هذا)) أثناء مناقشة مسألة التغير السلمي أو العنيف معناه ((النزول الى مستوى عميل سافل للبرجوازية أو شيء تابع لها)) . (نفس المصدر السابق)

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعزفون اليوم نغمة كاوتسكي القديمة ، وما طبيعة هذا ان لم يكن انحطاطا الى مستوى فصيلة عميل سافل للبرجوازية ؟

ويلجأ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى حجة أخرى هي : ألم يكن لينين ((يقبل من ناحية المبدأ امكانية الثورة السلمية)) ؟ [2] وهذه سفسطة أسوأ مما سبق .

كان رأي لينين لبعض الوقت بعد ثورة فبراير (شباط) 1917 ((أن هذه الثورة في روسيا قد تكون ، بصورة خارجة على العادة ، ثورة سلمية)) . (مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 25) وقد وصف هذه الثورة بأمر ((خارج على العادة)) نظرا للظروف الخاصة التي كانت موجودة آنذاك : ((ان جوهر المسألة هو أن السلاح كان في أيادي الشعب ، ولم يحدث ضغط من الخارج على الشعب)) . (نفس المصدر السابق) ولكن في يوليو (تموز) عام 1917 ، باشرت الحكومة البرجوازية المعادية للثورة القمع المسلح لجماهير الشعب وسالت دماء العمال والجنود في شوارع بتروغراد . وبعد هذا الحادث ، أعلن لينين قائلا ((لقد تلاشت بالتأكيد كل الآمال في تطور الثورة الروسية بصورة سلمية)) . (نفس المصدر السابق) وفي أكتوبر (تشرين الأول) عام 1917 ، قاد لينين والحزب البلشفي العمال والجنود بحزم الى القيام بانتفاضة مسلحة والاستيلاء على سلطة الدولة . وأوضح لينين في يناير (كانون الثاني) عام 1918 أن ((النضال الطبقي . . . قد تحول الى حرب أهلية)) . (مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 26) وقد اضطرت الدولة السوفياتية الى شن حرب ثورية أخرى استمرت ثلاثة أعوام ونصف والى بذل تضحيات كبيرة حتى تمكنت بعد ذلك من تحطيم التمرد المعادي للثورة في الداخل وصد التدخل المسلح من الخارج معا . وحينذاك فقط تدعم انتصار الثورة . وقال لينين في عام 1919 : ((لقد أحرز العنف الثوري نجاحات باهرة في ثورة أكتوبر)) . (مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 29)

أما الآن فقد بلغت الوقاحة بقادة الحزب الشيوعي السوفياتي درجة تجعلهم يقولون ان ثورة أكتوبر ((كانت ثورة غير دامية الى أبعد الحدود من بين جميع الثورات)) ، [3] وانها ((أنجزت بطريقة سليمة تقريبا)) . [4] ان مزاعمهم هذه تناقض حقائق التاريخ مناقضة تامة . وكيف يواجهون الشهداء الثوريين الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم لخلق أول دولة اشتراكية في العالم ؟

عندما نقول ان التاريخ العالمي لم يقدم حتى اليوم سابقة تدل على الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يخاتل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قائلين ((توجد خبرة عملية تبرهن على انجاز الثورة الاشتراكية بالطرق السلمية)) . ويقولون وهم يغمضون أعينهم عن رؤية كل الحقائق ((لقد أسست ديكتاتورية البروليتاريا في هنغاريا في عام 1919 بالطرق السلمية)) . [5]

فهل هذا صحيح ؟ كلا ، ليس كذلك ! ولننظر فيما قاله بيلا كون قائد الثورة الهنغارية بهذا الشأن .

لقد أسس الحزب الشيوعي الهنغاري في نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1918 . وما ان أسس هذا الحزب الفتي حتى اندفع في النضال الثوري وأعلن أن شعار الثورة الاشتراكية هو ((انزعوا سلاح البرجوازية ، وسلحوا البروليتاريا وأسسوا السلطة السوفياتية)) . (بيلا كون : ((دروس حول الثورة البروليتارية الهنغارية))) لقد عمل الحزب الشيوعي الهنغاري بنشاط في جميع الميادين لأحداث انتفاضة مسلحة . فقد سلح العمال ، وسعى لكسب القوات الحكومية العسكرية ولتنظيم الجنود المسرحين ، ونظم المظاهرات المسلحة ، وقاد العمال فطردوا رؤساءهم واحتلوا المصانع ، وقاد العمال الزراعيين للاستيلاء على الضياع الكبيرة ، ونزع سلاح ضباط الجيش والجنود والشرطة الرجعيين ، وجميع ما بين الاضرابات والانتفاضات المسلحة وهلم جرا .

ان الثورة الهنغارية في الحقيقة زاخرة بالنضال المسلح بمختلف أشكاله وعلى مختلف نطقه . كتب بيلا كون ما يلي: ((منذ أول يوم تأسس فيه الحزب الشيوعي حتى استلام السلطة ، ازداد قرب الصدامات

المسلحة مع جهاز الدولة البرجوازي من بعضها على الدوام . ومنذ 12 ديسمبر (كانون الأول) عام 1918 عندما خرجت حامية بودابست المسلحة الى الشوارع متظاهرة ضد وزير الحرب في الحكومة الموقتة . . . لم يمر يوم واحد بالتقريب لم تكتب الصحافة فيه عن الصدامات الدامية بين العمال والجنود الثوريين من جهة والوحدات المسلحة لقوات الحكومة من الجهة الأخرى ، ولا سيما بينهم وبين قوات الشرطة . لقد نظم الشيوعيون عددا لا يحصى من الانتفاضات لا في بودابست وحدها بل في المقاطعات أيضا .)) (بيلا كون : ((دروس حول الثورة البروليتارية الهنغارية))) ان قول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأن الثورة الهنغارية كانت مثلا على الانتقال السلمي ما هو الا كذب صريح لا يعرف الخجل .

لقد ادعت الصحافة السوفياتية أن الحكومة البرجوازية الهنغارية آنذاك ((استقالت من تلقاء نفسها)) .[6] وقد تكون هذه هي الحجة الوحيدة التي يرتكزون عليها . ولكن ما هي الحقائق ؟

كان رأي كارولئي رئيس الحكومة البرجوازية الهنغارية في ذلك الوقت واضحا تماما فيما يتعلق بهذه النقطة ، فقد صرح بالآتي : ((لقد وقعت اعلانا يختص باستقالتي الشخصية وتحويل السلطة الى البروليتاريا ، هذه السلطة التي قد سبق في الحقيقة أن استولت البروليتاريا عليها وأعلنت كسبها من قبل . . . وأنا لم أسلم السلطة الى البروليتاريا ، اذ أن البروليتاريا قد كسبت هذه السلطة فعلا من قبل لأنها شكلت جيشا اشتراكيا حسب خطة موضوعة .)) ولهذا السبب أوضح بيلا كون أن القول بأن البرجوازية قد سلمت السلطة السياسية طائعة مختارة الى البروليتاريا ما هو الا ((خرافة)) خادعة . (بيلا كون : ((دروس حول الثورة البروليتارية الهنغارية)))

لقد هزمت ثورة عام 1919 الهنغارية . وقال لينين في تمحيص السبب الرئيسي لفشلها ان الخطأ القاتل الذي ارتكبه الحزب الشيوعي الهنغاري الناشىء كان عدم حزمه الى درجة كافية في ممارسديكتاتورية على العدو ، بل تردد في اللحظة الحرجة . وبالاضافة لهذا لم يتخذ الحزب الهنغاري خطوات صحيحة لمقابلة مطلب الفلاحين لحل مسألة الأرض ، ولهذا عزل نفسه عن الفلاحين . ومن الأسباب الهامة الأخرى لهزيمة الثورة أن الحزب الشيوعي الهنغاري كان قد اندمج في الحزب الاشتراكي – الديمقراطي الانتهازي .

وما يقوله قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حين يدعون بعناد بأن الثورة الهنغارية في 1918 – 1919 كانت نموذجا ((للانتقال السلمي)) ما هو الا تشويه محض للتاريخ .

وبالاضافة لهذا يدعي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن الطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية ((قد كسبت السلطة بالطريق السلمي)) .[7] وهذا تشويه باطل آخر للتاريخ .

لقد أسست سلطة الشعب الديمقراطية في تشيكوسلوفاكيا في مجرى الحرب ضد الفاشستية ، ولم تؤخذ ((بصورة سلمية)) من يد البرجوازية . فلقد قاد الحزب الشيوعي الجماهير خلال الحرب العالمية الثانية في حرب الأنصار والانتفاضات المسلحة ضد الفاشست ، وأباد قوات الفاشستية الألمانية وحكم عملائها في تشيكوسلوفاكيا بمساعدة الجيش السوفياتي ، وأسس حكومة ائتلافية تمثل الجبهة الوطنية . لقد كانت هذه الحكومة في طبيعتها ديكتاتورية ديمقراطية شعبية تحت قيادة البروليتاريا أي أنها كانت شكلا من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا .

وفي فبراير (شباط) عام 1948 ، تآمر الرجعيون في داخل تشيكوسلوفاكيا بمساندة الاستعمار الأمريكي بتنظيم انقلاب معاد للثورة استعدادا للاطاحة بحكومة الشعب عن طريق التمرد المسلح . الا أن الحكومة بقيادة الحزب الشيوعي أرسلت قواتها المسلحة مباشرة ونظمت مظاهرات جماهيرية مسلحة ، وهكذا حطمت مؤامرة البرجوازية للعودة الى السلطة عن طريق التمرد المعادي للثورة . وتدل هذه الحقائق بوضوح على أن حادث فبراير (شباط) لم يكن انتزاع الطبقة السلطة السياسية ((سلميا)) من

أيدي البرجوازية ، بل كان قمعا للانقلاب المعادي للثورة الذي نظمته البرجوازية ، هذا القمع الذي نظمته الطبقة العاملة عن طريق جهاز الدولة الذي كان تحت سيطرتها ولاسيما عن طريق قواتها المسلحة الخاصة بها .

قال قوتوالد في تلخيصه لحادث فبراير (شباط) : أن أحد التغيرات الأساسية ، بالمقارنة بالوضع ما قبل الحرب ، هو بالتحديد أن جهاز الدولة بهذا المفهوم قد لعب دورا بارزا .)) (خطاب في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي 17 نوفمبر – تشرين الثاني – 1948)

كيف اذن تعتبر الحقائق السالفة الذكر سابقات تدل على الانتقال السلمي ؟

قال لينين : ((لجأ كاوتسكي الى كل هذه الحجج والسفسطة والتزييفات المفتعلة لفصل نفسه عن الثورة العنيفة ، ولأخفاء شططه عنها وتحوله الى سياسة العمال الليبيرالية أي الى البرجوازية .)) وأضاف ((هذا جوهر المسألة .)) (((الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 28)

لماذا اذن شوه خروشوف بدون خجل مؤلفات ماركس ولينين ، وزيف التاريخ ، ولجأ الى المخادعة ؟ نقول مرة اخرى ، هذا جوهر المسألة .

---

(1) كوسينين وغيره : ((أسس الماركسية اللينينية)) .

(2) ((نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والوقت الراهن)) ، مجلة ((الشيوعي)) السوفياتية ، العدد 13 عام 1960 .

(3) ((لينين وعهدنا)) ، مجلة ((الشيوعي)) ، العدد 5 عام 1960 .

(4) خطاب ميكويان في جلسة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي يوم 16 فبراير (شباط) 1956 .

(5) ((الماركسية اللينينية – أساس وحدة الحركة الشيوعية)) ، مقال بقلم هيئة تحرير ((الشيوعي)) ، العدد 15 عام 1963 .

(6) ((كيف تتطور عملية الثورة العالمية)) ، صحيفة ((روسيا السوفياتية)) ، أول أغسطس (آب) 1963 .

(7) كلمة بريجنيف في المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي يوم 4 ديسمبر (كانون الأول) 1962 .

الأكاذيب لا تحجب الواقع

ان الحجة الرئيسية التي يبرر بها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خط ((الانتقال السلمي)) المعادي للثورة هي أن الظروف التاريخية قد تغيرت .

أما فيما يختص بتقدير التغيرات التي طرأت على الظروف التاريخية منذ الحرب العالمية والنتائج التي تستخلص منها ، فان آراء الماركسيين اللينينيين تختلف اختلافا كليا عن آراء خروشوف .

يرى الماركسيون اللينينيون أن الظروف التاريخية قد تغيرت تغيرا جذريا منذ الحرب . ويظهر هذا التغير بصورة رئيسية في الازدياد العظيم في قوى الاشتراكية البروليتارية ، وفي الضعف العظيم الذي طرأ على قوى الاستعمار . فلقد ظهر منذ الحرب المعسكر الاشتراكي الجبار وسلسلة كاملة من الدول الوطنية المستقلة الجديدة الى حيز الوجود ، وتتابعت النضالات الثورية المسلحة واحدا اثر الآخر ، كما حدث مد جديد في الحركات الجماهيرية في الأقطار الرأسمالية وتوسع عظيم لصفوف الحركة الشيوعية العالمية . ان الحركة البروليتارية الاشتراكية الثورية العالمية ، والحركة الوطنية الديمقراطية الثورية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية أصبحتا تيارين تاريخيين رئيسيين في العهد الحاضر .

أوضح الرفيق ماو تسي تونغ مرارا في الفترة المبكرة لما بعد الحرب أن ميزان القوى العالمي أصبح في صالحنا وليس في صالح العدو ، وأن هذا الوضع الجديد ((قد أوجد امكانيات أوسع من ذي قبل لتحرر الطبقة العاملة والأمم المضطهدة في العالم ، كما فتح طريقا أكثر واقعية نحو هذا التحرر)) . (((يا قوى العالم الثورية ، اتحدي لمقاومة العدوان الاستعماري !)) ، مؤلفات ماو تسي تونغ المختارة ، المجلد 4)

كما أوضح الرفيق ماو تسي تونغ أيضا : ((ان منطق المستعمرين وجميع الرجعيين في العالم هو خلق القلاقل ، ثم الفشل ، وخلق القلاقل مرة أخرى ، ثم الفشل مرة أخرى ، الى يوم فنائهم . هذا هو منطقهم عند معالجتهم لقضية الشعب ، ولا يفعلون أبدا ما يناقض هذا المنطق ، هذا قانون ماركسي . وعندما نقول، " ان الاستعمار شرس " فانما نعني أن طبيعته لا يمكن أن تتغير ، وأن المستعمرين سوف لا يرمون بمدى الجزارين أبدا ، وأنهم سوف لا يصبحون أبدا آلهة للرحمة والعدل الى يوم فنائهم .)) (((اطرحوا أوهامكم واستعدوا للنضال)) ، مؤلفات ماو تسي تونغ المختارة ، المجلد 4)

ان الماركسيين اللينينيين ، بالارتكاز على التغيرات التي طرأت على الظروف ما بعد الحرب والتي هي مؤاتية بالمزيد للثورة وبالارتكاز على قانون أن الاستعمار والرجعية سوف لا يغيران أبدا طبيعتهما ، يستخلصون نتائج مؤداها أن تدفع الى أمام ، انهم يرون أنه لا بد من الافادة افادة كاملة من هذا الوضع المؤاتي ، وأنه على ضوء الظروف المحددة في الاقطار المختلفة يجب تطوير النضالات الثورية بحيوية ونشاط ، كما يجب التحضير لانتزاع النصر في الثورة .

الا أن خروشوف ، بحجة هذه التغيرات التي طرأت على ظروف ما بعد الحرب ، يصل الى نتيجة أنه تجب معارضة الثورة والغاؤها ، ويرى أنه ، نظرا للتغير الذي طرأ على ميزان القوى العالمي ، قد تغيرت طبيعة الاستعمار والرجعية ، وتغير قانون الصراع الطبقي ، وأصبح طريق ثورة أكتوبر العام والنظرية الماركسية اللينينية المتعلقة بالثورة البروليتارية قديمين فات أوانهما .

ان خروشوف وأمثاله ينشرون قصة كاحدى قصص ألف ليلة وليلة . ورأيهم ((أن ظروفا ملائمة عالمية ومحلية تتهيأ الآن في عدد من الأقطار الرأسمالية من انجاز الثورة الاشتراكية بصورة سلمية .)) (1)

وقالوا : ((في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، لجأت البرجوازية الرجعية في عدد كبير من الاقطار الأوربية ، وهي تطور وتحسن بلا انقطاع أجهزتها البوليسية البيروقراطية ، الى كبت الحركات الجماهيرية للشغيلة بصورة وحشية ، ولم تترك بذلك أي احتمال لاحراز الثورة الاشتراكية بالطريق السلمي .)) ولكن حسب قولهم ، قد تغير هذا الوضع الآن . [2]

وقالوا : ((لقد حدثت في العلاقات بين القوى على المحيط العالمي تغيرات جذرية هي في صالح الاشتراكية)) ، مما ((شل تدخل الرجعية العالمية في الشئون الداخلية للبلدان التي تقوم بالثورة)) ، [3] و ((هذا يقلل من احتمالات شن البرجوازية للحروب الأهلية)) . [4]

الا أن أكاذيب خروشوف وأمثاله لا يمكنها أن تحجب الواقع .

فلقد برزت منذ الحرب العالمية الثانية حقيقتان أولاهما أن المستعمرين والرجعيين يدعمون في كل مكان أجهزة استخدام العنف بغرض كبت الجماهير بقسوة وبلا رحمة ، والثانية هي أن الاستعمار بقيادة الولايات المتحدة يباشر تدخلاته المسلحة المعادية للثورة في كل جزء من أجزاء العالم .

لقد أصبحت الولايات المتحدة الأميركية الآن عسكرية أكثر من أي وقت مضى ، ولقد زادت عدد قواتها الى أكثر من مليونين وسبعمائة ألف جندي ، أي أحد عشر ضعفا بالمقارنة بعدد قواتها في عام 1934 ، وتسعة أضعاف مجموع قواتها في عام 1939 .

كما أصبحت لديها أعداد كبيرة من المنظمات البوليسية والتجسسية الى درجة أن بعض كبار الرأسماليين الأمريكيين اضطروا الى الاعتراف بأنها أصبحت الدولة الأولى في العالم في هذا الصدد ، وأنها فاقت ألمانيا الهتلرية الى حدود بعيدة .

لقد ازداد الجيش النظامي لبريطانيا من حوالي ربع مليون من الرجال في عام 1934 الى أكثر من أربعمائة وعشرين ألفا في عام 1963 ، كما ازدادت قوات الشرطة فيها من سبعة وستين ألفا في عام 1934 الى سبعة وثمانين ألفا في عام 1963 .

ولقد ازداد جيش فرنسا النظامي من ستمائة وخمسين ألفا في عام 1934 الى أكثر من سبعمائة وأربعين ألفا في عام 1963 ، كما ازدادت قوات شرطتها وقوات الأمن فيها من ثمانين ألفا في عام 1934 الى مائة وعشرين ألفا في عام 1963 .

ان بقية الأقطار الاستعمارية وحتى الأقطار الرأسمالية العادية لا تشذ فيما يتعلق بهذا التدعيم الواسع النطاق للقوات المسلحة والشرطة .

ان خروشوف يستخدم بحماس شعار نزع السلاح التام الشامل بغرض تخدير الجماهير . لقد ظل يرتله منذ سنوات خلت حتى الآن . الا أن الحقيقة الواقعية هي أنه لا يوجد حتى ظل لنزع السلاح التام الشامل . وفي كل مكان من المعسكر الاستعماري الذي تترأسه الولايات المتحدة ، يجد المرء اندفاعا تاما وشاملا للتسلح وتوسيعا وتدعيما لأجهزة الكبت العنيف .

فلماذا تدعم البرجوازية بهذا الشكل المسعور من قواتها المسلحة وشرطتها في وقت السلم ؟ وهل يعقل أن يكون غرضها أمرا غير كبت الحركات الجماهيرية للشغيلة في داخل البلاد ، بل هو ايجاد ضمان لهم حتى يستولوا على سلطة الدولة بالطرق السلمية ؟ أولم ترتكب البرجوازية الحاكمة في السنوات التسع عشرة التي خلت منذ الحرب ما يكفي من الأعمال الوحشية باستخدام الجنود ورجال الشرطة لكبت العمال المضربين والجماهير الشعبية المناضلة من أجل حقوقها الديمقراطية ؟

لقد نظم الاستعمار الأميركي خلال السنوات التسع عشرة الماضية كتلا عسكرية وعقد معاهدات عسكرية مع ما يزيد على أربعين قطرا . كما أنشأ أكثر من ألفين ومائتي قاعدة عسكرية ومنشأة عسكرية في جميع أجزاء العالم الرأسمالي . ويزيد عدد قواته المسلحة المقيمة في الخارج على أكثر من مليون جندى . و ((قيادته الهجومية)) تشرف على ادارة قوة متحركة برية وجوية مشتركة هي على استعداد في جميع الأوقات لترسل الى أي مكان لكبت ثورة الشعب .

ولم يقتصر المستعمرون الأميركيون وغيرهم من المستعمرين خلال الأعوام التسعة عشر الماضية على تقديم كل عون الى الرجعيين في مختلف البلدان لمساعدتهم على كبت الحركات الثورية للشعوب في بلدانهم بالذات ، بل دبروا ونفذوا بصورة مباشرة عددا كبيرا من أنواع العدوان والتدخل المسلحين المعاديين للثورة ، أي أنهم صدروا الثورة المعاكسة . لقد ساعد الاستعمار الأميركي تشيانغ كاي شيك ، على سبيل المثال ، على شن الحرب الأهلية في الصين ، وأرسل قواته الى اليونان وقاد الهجوم على مناطق الشعب اليوناني المحررة ، وشن الحرب العدوانية في كوريا ، وأنزل قواته في لبنان لتهديد الثورة في العراق ، وساعد وحث الرجعيين اللاووسيين على مد نطاق الحرب الأهلية ، ونظم ووجه ما يسمى بقوة تابعة للأمم المتحدة لكبت حركة الاستقلال الوطني في الكونغو ، ونظم الغزوات المعادية للثورة على كوبا . ومازال يكبت النضال التحرري لشعب جنوب الفيتنام . واستخدم القوة المسلحة منذ وقت قريب لكبت النضال العادل الذي خاضه شعب باناما للدفاع عن سيادته ، كما ساهم في التدخل المسلح في قبرص.

ان الاستعمار الأميركي لا يدبر باصرار أعماله لكبت جميع ثورات الشعوب وحركات التحرر الوطني والتدخل فيها وحسب ، بل يحاول أيضا التخلص من نظم الحكم البرجوازية التي تبدي بعض مظاهر الوطنية . وخلال السنوات التسع عشرة الماضية ، دبرت الحكومة الأمريكية عددا كبيرا من الانقلابات العسكرية المعادية للثورة في عدد من أقطار آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وحتى أنها استخدمت العنف لازاحة بعض الدمى ممن خلقتهم بنفسها من أمثال نغو دين ديم حالما وجدت أنهم لا يلائمون أغراضها : بالضبط كما يقول المثل ((يقتل الحمار حالما يعجز عن ادارة حجر الرحى)) .

لقد برهنت الحقائق على أنه ، بغرض القيام بالثورة واحراز التحرر ، لا بد لجميع الشعوب والأمم المضطهدة من أن تعرف كيف تقابل الكبت العنيف الذي تلجأ اليه الطبقات الرجعية الحاكمة في بلدانها بالذات ، ليس هذا وحسب ، بل عليها أن تكون على أهبة الاستعداد لمقابلة التدخل المسلح من قبل الاستعمار ولا سيما من الاستعمار الأميركي . وبدون استعداد كهذا وبدون ردع العنف المعادي للثورة ردعا حازما باستخدام العنف الثوري كلما دعت الضرورة الى ذلك ، تصبح الثورة أمرا خارجا عن الموضوع ، ناهيك عن انتصارها .

واذا لم تدعم الأقطار التي كسبت استقلالها قواتها المسلحة ، واذا لم تستعد لمقابلة وردع العدوان والتدخل الاستعماريين المسلحين ، واذا لم تتمسك بسياسة خوض النضالات ضد الاستعمار ، سوف لا تتمكن من صيانة استقلالها الوطني ناهيك عن ضمان تقدم القضية الثورية .

وبودنا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : طالما كنتم تتحدثون بهذه الطلاقة والسهولة عن القسمات الجديدة لوضع ما بعد الحرب فكيف تناسيتم عن عمد ذكر أهم قسمة وأوضحها الا وهي أن المستعمرين الأميركيين وغيرهم من المستعمرين يباشرون كبت الثورة في كل مكان ؟ انكم لا تكلون أبدا عن الحديث حول الانتقال السلمي ، ولكن لماذا لم تنبسوا مطلقا ولو بكلمة واحدة توضحون بها للناس الأسلوب والطريقة اللذين يجب أن يتخذوهما لمقابلة الأجهزة المتضخمة للقمع العنيف التي كونها المستعمرون والرجعيون ؟ انكم تحجبون بدون خجل حقائق الكبت الوحشي الدموي الذي يمارسه المستعمرون والرجعيون ضد حركات التحرر الوطني وضد الحركات الشعبية الثورية عن الأنظار ، وتنشرون الأوهام بأن الأمم والشعوب المضطهدة يمكنها أن تحرز النصر بالطرق السلمية ، أليس من الواضح انكم تحاولون شل يقظة الشعوب ، وتطييب خاطر الجماهير الحانقة الغاضبة وتهدئتها بالوعود

الجوفاء بمستقبل ناصع البياض ، وتعارضون ثورتها ، وهكذا تتصرفون في الواقع كشركاء للاستعمار ورجعيي مختلف البلدان ؟

ومن الصالح ، فيما يتعلق بهذه المسألة ، أن نجعل جون فوستر دالاس الهالك ، الذي كان وزير خارجية الولايات المتحدة في الماضي ، معلما لنا بالأمثلة السلبية .

قال دالاس في خطاب ألقاه في 21 يونيو (حزيران) عام 1956 ان كل الأقطار الاشتراكية حتى الآن قد تأسست ب ((استخدام العنف)) . ثم قال ((ان الحكام السوفيت يقولون الآن بانهم سوف ينبذون استخدام العنف)) ، ((اننا نرحب بهذه التطورات وسوف نحث عليها)) . [5]

كان دالاس ، بصفته حاميا أمينا للنظام الرأسمالي ، يدرك كل الادراك بالطبع الدور المهم الذي يلعبه العنف في الصراع الطبقي . وفي الوقت الذي رحب فيه بنبذ خروشوف للثورة العنيفة ، أكد تأكيدا عظيما حاجة البرجوازية لتدعيم عنفها المعادي للثورة حتى تواصل حكمها وتحافظ عليه . وقال في خطاب آخر ((ان الشيء الأساسي من بين جميع مهام الحكومة هو حماية رعاياها (يجب أن تُقرأ ك ((الطبقات الرجعية الحاكمة))) من العنف . . . لهذا السبب ، ففي كل مجموعة انسانية متمدينة ، يساهم الأفراد فيها في الحفاظ على قوة بوليسية كسلاح للقانون والنظام)). [6]

لقد صدق دالاس حين نطق بهذا . اذ أن الأساس السياسي لحكم الاستعمار وكل الرجعية ما هو الا ((قوة بوليسية)). وطالما ظل هذا الأساس قائما بدون مساس ، يصبح كل ما عداه عديم الأهمية ويصبح حكم الاستعمار والرجعية غير متزعزع . وكلما حاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حجب حقيقة اعتماد البرجوازية على العنف لمواصلة حكمها وكلما زادوا من نشر خرافة الانتقال السلمي التي رحب بها دالاس ترحيبا حارا ، كشفوا عن قسماتهم الحقيقية ولونهم الحقيقي بصفتهم خّلانا للمستعمرين في معارضتهم للثورة .

---

(1) ((الحرب والثورة)) ، مجلة ((الشيوعي)) ، العدد 4 عام 1961 .

(2) كوسينين وغيره : ((أسس الماركسية اللينينية)) .

(3) ((نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والوقت الراهن)) ، مجلة ((الشيوعي)) ، العدد 13 عام 1960 .

(4) ((الحرب والثورة)) ، مجلة ((الشيوعي)) ، العدد 4 عام 1961 .

(5) خطاب دالاس في مؤتمر كيوانيس السنوي العالمي الواحد والأربيعين ، يوم 21 يونيو (حزيران) 1956 .

(6) خطاب دالاس في مأدبة الغداء التي أقامتها وكالة الاسوشيتد بريس يوم 22 ابريل (نيسان) 1975 .

دحض ((الطريق البرلماني))

ان فكرة ((الطريق البرلماني)) التي روج لها محرفو الأممية الثانية قد دحضها لينين دحضا تاما وأصبحت معيبة عديمة الاعتبار منذ مدة طويلة . الا أن الطريق البرلماني في نظر خروشوف يبدو كأنما فجأة أصبح ساري المفعول بعد الحرب العالمية الثانية .

فهل يتفق ذلك مع الواقع ؟ كلا بالطبع .

لقد أوضحت الأحداث منذ الحرب العالمية الثانية مرة بعد أخرى أن العنصر الأساسي في جهاز الدولة البرجوازي هو القوة المسلحة لا البرلمان . وما البرلمان سوى حلية وستار للحكم البرجوازي . والخيار بين النظام البرلماني أو عدمه ، واعطاء البرلمان سلطة أعظم أم أقل ، واستخدام قانون انتخابي أو آخر ، دائما ما تمليه حاجيات الحكم البرجوازي ومصالحه . وطالما كانت البرجوازية تسيطر على الجهاز العسكري البيرقراطي ، اما أن يكون احراز البروليتاريا ((أغلبية لا تتزعزع في البرلمان)) عن طريق الانتخابات أمرا مستحيلا واما أن تكون هذه ((الأغلبية التي لا تتزعزع)) أغلبية لا يعتمد عليها . أما تحقيق الاشتراكية بواسطة ((الطريق البرلماني)) فهو أمر مستحيل تماما ولا يعدو أن يكون قولا أكثر خداعا .

ان حوالي نصف الأحزاب الشيوعية في الأقطار الرأسمالية مازالت أحزابا غير شرعية في نظر القانون وطالما كانت هذه الأحزاب تفقد المركز الشرعي فان مسألة كسب أغلبية برلمانية تصبح بالطبع امرا خارجا عن الموضوع .

ان الحزب الشيوعي الاسباني ، على سبيل المثال ، يعيش في ظل الارهاب الأبيض وما من فرصة يخوض فيها الانتخابات . ومن السخافة والأمور المفجعة أن يظلع قادة شيوعيون اسبانيون من أمثال إباروري وراء خروشوف داعين معه الى ممارسة ((الانتقال السلمي)) في اسبانيا .

ومع بقاء كل الحظر الجائر الذي تفرضه القوانين الانتخابية البرجوازية في تلك الاقطار الرأسمالية حيث الأحزاب الشيوعية أحزاب شرعية في نظر القانون ويمكنها أن تساهم في الانتخابات ، يصعب جدا عليها أن تكسب أغلبية الاصوات في ظل الحكم البرجوازي . وحتى اذا حصلت على أغلبية الأصوات ، يمكن للبرجوازية أن تحول بين الشيوعيين وبين الحصول على أغلبية المقاعد في البرلمان وذلك بتعديل القوانين الانتخابية أو بغير ذلك من الطرق .

لقد لجأ الرأسماليون الاحتكاريون الفرنسيون ، على سبيل المثال ، مرتين منذ الحرب العالمية الثانية الى تعديل القانون الانتخابي مما نتج عنه في كلا الحالتين انخفاض شديد في عدد المقاعد البرلمانية التي في يد الحزب الشيوعي الفرنسي . ففي الانتخابات البرلمانية في عام 1946 ، كسب الحزب الشيوعي الفرنسي 182 مقعدا ، ولكن كانت نتيجة تعديل الرأسماليين الاحتكاريين لقانون الانتخابات في الانتخابات البرلمانية عام 1951 هي انخفاض عدد مقاعد الحزب الشيوعي الفرنسي الى 103 مقاعد ، أي أن الخسارة كانت 79 مقعدا . وفي انتخابات عام 1956 ، كسب الحزب الشيوعي الفرنسي 150 مقعدا ، ولكن قبل اجراء الانتخابات البرلمانية في عام 1958 ، عدل الرأسماليون الاحتكاريون قانون الانتخابات مرة أخرى مما نتج عنه انحدار فظيع في عدد مقاعد الحزب الشيوعي الفرنسي الى عشرة مقاعد ، أي بخسارة 140 مقعدا.

وحتى اذا كسب حزب شيوعي ما في ظروف معينة اغلبية المقاعد البرلمانية او اشترك في الحكومة نتيجة انتصار انتخابي ، سوف لا يستطيع تغيير طبيعة البرلمان البرجوازية أو طبيعة الحكومة البرجوازية ، ناهيك عن تحطيم جهاز الدولة القديم وبناء جهاز جديد . من المستحيل تماما احداث تغيير اجتماعي اساسي بالاعتماد على البرلمانات أو الحكومات البرجوازية . وبمقدور البرجوازية الرجعية التي تسيطر على جهاز الدولة ان تعلن بطلان الانتخابات ، وتحل البرلمان ، وتبعد الشيوعيين من الحكومة ، وتعلن عدم شرعية الحزب الشيوعي ، وتلجأ الى القوة الغاشمة لكبت الجماهير والقوى التقدمية .

وفي عام 1946 ، على سبيل المثال ، أيد الحزب الشيوعي في شيلي الحزب الراديكالي البرجوازي فكسب الأخير انتصارا انتخابيا وتشكلت حكومة ائتلافية بمساهمة الشيوعيين . وفي ذلك الوقت ، تمادى قادة الحزب الشيوعي في شيلي الى حد وصف هذه الحكومة التي كانت تسيطر عليها البرجوازية بأنها ((حكومة ديمقراطية شعبية)) . ولكن البرجوازيين أجبروهم في أقل من عام واحد على ترك الحكومة ، واعتقلوا الشيوعيين بالجملة ، وجعلوا الحزب الشيوعي خارجا على القانون في عام 1948 .

عندما ينحط حزب عمالي فيصبح عميلا للبرجوازية ، قد تسمح له البرجوازية باحراز أغلبية في البرلمان وبتكوين الحكومة . وهذا هو الحال مع الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية البرجوازية في أقطار معينة . الا أن هذا لا يخدم الا في صيانة وتدعيم ديكتاتورية البرجوازية ، وليس بمقدوره أبدا ، ولو بأقل درجة كانت ، تبديل مركز البروليتاريا التي هي طبقة مضطَهدة ومستغَلة . ان حقائق مثل هذه تقدم مزيدا من الشواهد على افلاس الطريق البرلماني .

كما اوضحت الحقائق التاريخية أيضا منذ الحرب العالمية الثانية أن القادة الشيوعيين ، اذا آمنوا بالطريق البرلماني ووقعوا فريسة المرض العضال ل ((هوس البرلمانية)) ، سوف لا يصبحون خلاة الوفاض وحسب ، بل سيغرقون حتما في مستنقع التحريفية ويخربون بذلك القضية الثورية للبروليتاريا .

ودائما ما كان راي الماركسيين اللينينيين من جانب والانتهازيين والمحرفين من الجانب الآخر حول الموقف الملائم الذي يجب اتخاذه تجاه البرلمانات البرجوازية .

ودائما ما كان رأي الماركسيين اللينينيين أنه ينبغي للحزب البروليتاري في ظروف معينة أن يساهم في النضال البرلماني وأن يستخدم منبر البرلمان لكشف الطبيعة الرجعية للبرجوازية ولتعليم الجماهير مما يساعده على حشد القوى الثورية . ومن الخطأ رفض الافادة من هذا النوع القانوني من النضال عندما تدعو الحاجة الى ذلك . ولكن لا يجب أبدا على الحزب البروليتاري أن يجعل النضال البرلماني عوضا عن الثورة البروليتارية وبديلا لها ، أو تراوده الأحلام بأن الانتقال الى الاشتراكية يمكن تحقيقه بواسطة الطريق البرلماني . وعليه أن يركز الانتباه طوال الوقت على النضالات الجماهيرية .

قال لينين : ((على حزب البروليتاريا الثورية أن يساهم في الشئون البرلمانية البرجوازية بغرض توعية الجماهير ، هذه التوعية التي يمكن حدوثها أثناء الانتخابات وفي الصراع بين الأحزاب في البرلمان . الا أن قصر الصراع الطبقي على الصراع البرلماني أو اعتبار الصراع البرلماني أرقى أشكال النضال وأحسمها مما يجعل جميع أشكال النضال الأخرى وقفا على الصراع البرلماني ، معناه بالفعل الهروب الى جانب البرجوازية والسير ضد البروليتاريا.)) (((انتخابات المجلس التأسيسي وديكتاتورية البروليتاريا))، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 30)

واستنكر لينين محرفي الأممية الثانية لمطاردتهم ظل البرلمانية وتخليهم عن المهمة الثورية مهمة الاستيلاء على سلطة الدولة ، لأنهم حولوا الحزب البروليتاري الى حزب انتخابي ، الى حزب برلماني ، حزب ملحق بالبرجوازية وأداة للحفاظ على ديكتاتورية البرجوازية . ان خروشوف وأتباعه الذين يدعون الآن الى الطريق البرلماني لا ينتظرهم سوى نفس المصير الذي واجهه محرفو الأممية الثانية .

دحض ((معارضة الانتهازية اليسارية))

لقد اختلقت الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي سلسلة من الأكاذيب عندما تطرقت الى مسالة الثورة البروليتارية ، فهي تزعم بأن الحزب الشيوعي الصيني يدعو الى ((وضع شعار شن الثورة البروليتارية فورا)) حتى اذا لم يكن هنالك وضع ثوري ، وأنه يدعو الى نبذ ((النضال من اجل الحقوق الديمقراطية والمصالح الحيوية للجماهير الكادحة في الأقطار الرأسمالية)) ، [1] وأنه يجعل النضال المسلح مسالة ((مطلقة))[2] وهكذا . وكثيرا ما يلصق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بطاقات تحمل اشياء مثل ((الانتهازية اليسارية)) و ((المغامرة اليسارية)) و ((التروتسكية)) بالحزب الشيوعي الصيني .

وحقيقة الأمر أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يطلقون هذه الضوضاء بغرض ستر خطهم التحريفي الذي يعارض الثورة ويلغيها . وما يهاجمونه باعتباره ((انتهازية يسارية)) ما هو الا الخط الماركسي اللينيني الثوري .

ودائما ما كان رأينا أن الثورة لا تحدث فقط لمجرد الرغبة فيها ، بل ويستحيل حدوثها ما لم تكن هنالك ظروف ثورية موضوعية . الا أن نشوب الثورة وانتصارها لا يعتمدان على وجود الوضع الثوري الموضوعي وحسب ، بل يعتمدان ايضا على التحضيرات والجهود التي تبذلها القوى الثورية الذاتية .

وتنشأ المغامرة ((اليسارية)) اذا فشل الحزب البروليتاري في تقدير الظروف الموضوعية والقوى الذاتية للثورة تقديرا صحيحا ، وشن بتهور ثورة قبل نضوج الظروف الثورية . وتنشأ الانتهازية اليمينية أي التحريفية اذا لم يقم الحزب البروليتاري بتحضير نشط للثورة قبل نضوج الظروف الثورية ، أو لم يجرؤ على قيادة الثورة والاستيلاء على سلطة الدولة عندما يكون الوضع الثوري موجودا والظروف الثورية ناضجة لذلك .

ان المهمة الأساسية البالغة الأهمية للحزب البروليتاري ، الى أن يحين وقت الاستيلاء على سلطة الدولة ، هي التركيز على العمل الشاق لتجميع القوى الثورية . و يجب أن يكون الهدف الرئيسي من قيادة النضال اليومي قيادة نشطة هو بناء قوة ثورية بالتدريج والتحضير بغرض انتزاع النصر في الثورة عندما تنضج الظروف . على الحزب البروليتاري أن يستخدم الأشكال المختلفة من النضال اليومي لرفع الوعي السياسي لدى البروليتاريا وجماهير الشعب ، ولتدريب القوى الطبقية الخاصة به ، ولصقل مقدراته الكفاحية ، وللتحضير للثورة من ناحية ايديولوجية وسياسية وتنظيمية وعسكرية . وبهذا وحده ، لا تفوت عليه فرصة الاستيلاء على النصر عندما تكون الظروف قد نظجت للثورة . وان لم يفعل الحزب البروليتاري هذا ، فانه سيفوت فرصة القيام بالثورة حتى ولو كان الوضع الثوري الموضوعي قائما .

الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بينما يؤكدون بلا كلل عدم الامكانية للقيام بالثورة في حالة انعدام الظروف الثورية ، يتجنبون مسألة الكيفية التي يقوم بها الحزب البروليتاري بالنضال اليومي الثوري ويجمع بها القوة الثورية قبل حلول الوضع الثوري . انهم في الحقيقة ينبذون مهمة بناء القوة الثورية بالتدريج والتحضير للثورة بحجة عدم وجود الوضع الثوري . [3]

وصف لينين ذات مرة موقف المرتد كاوتسكي تجاه مسألة الوضع الثوري وصفا ممتازا اذ قال ، اذا حان الوضع الثوري ((يصبح هو أيضا على استعداد ليكون ثوريا ! ولكن علينا أن نقول حينذاك ان كل

وغد من الأوغاد . . . سوف يعلن أنه ثوري ! واذا لم يحن الوضع الثوري ، يدير كاوتسكي وجهه عن الثورة !)) وكما أوضح لينين فان كاوتسكي مثال طبق الأصل للسذج ، والفارق بين ماركسي ثوري وساذج هو أن الماركسي لديه الشجاعة على ((اعداد البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستغلة للثورة)) . (((الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 28) وبوسع الناس أن يحكموا بانفسهم ما اذا كان خروشوف وأتباعه يضاهون السذج من أمثال كاوتسكي الذين استنكرهم لينين أم لا .

دائما ما كان رأينا أنه يجب على الأحزاب البروليتارية في الاقطار الرأسمالية ان تقود الطبقة العاملة والشغيلة الآخرين بنشاط في النضال ضد رأس المال الاحتكاري ، وللدفاع عن الحقوق الديمقراطية ، ولتحسين ظروف المعيشة ، ولمعارضة المستعمرين لزيادة التسلح والاعداد للحرب ، وللدفاع عن السلم العالمي ، ولمساندة النضالات الثورية التي تخوضها الأمم المضطهدة مساندة قوية .

وعلى الأحزاب البروليتارية في الأقطار الرأسمالية التي تتعرض لعدوان الاستعمار الأمريكي وسيطرته وتدخله وارهابه أن ترفع عاليا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأمريكي ، وأن توجه النضال الجماهيري في الأساس نحو الاستعمار الأمريكي من جهة ونحو الكتل الرأسمالية الاحتكارية والقوى الرجعية المحلية الأخرى التي تخون المصالح الوطنية من جهة أخرى . عليها أن توحد جميع القوى التي يمكن توحيدها وتشكل جبهة متحدة ضد الاستعمار الأمريكي وعملائه .

وفي السنوات الأخيرة ، ظلت الطبقة العاملة والشغيلة الآخرون في عدد كبير من الأقطار الرأسمالية يشنون نضالات جماهيرية واسعة لم توجه الضربات الى رأس المال الاحتكاري المحلي والقوى الرجعية الأخرى وحدها بل قدمت أيضا سندا قويا للنضالات الثورية التي خاضتها شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ولبلدان المعسكر الاشتراكي . ودائما ما قدرنا هذه المساهمة حق قدرها .

على الشيوعيين وهم يقودون النضالات اليومية قيادة نشطة ، أن يربطوا هذه النضالات بالنضال من أجل المصالح العامة والطويلة الأمد ، وأن يعلموا الجماهير في الروح البروليتارية الثورية ، وأن يرفعوا بلا انقطاع وعيها السياسي ويجمعوا القوة الثورية بغرض انتزاع النصر في الثورة عندما يحين الوقت لذلك . ورأينا هذا ينطبق انطباقا تاما على الماركسية اللينينية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، على النقيض من آراء الماركسيين اللينينيين ، ينشرون الاعتقاد بأن ((المهام الديمقراطية والاشتراكية في الاقطار الرأسمالية العالية التطور ترتبط ببعضها البعض وتتداخل الى درجة يصعب معها رسم أي خط فاصل بينها)) . [4] ويفعلون هذا بغرض وضع النضالات اليومية محل النضالات الطويلة الأمد ، ولوضع الاصلاحية محل الثورة البروليتارية .

قال لينين : ((ما من اصلاح يدوم أو يصبح حقيقيا وجادا اذا لم تسنده الأساليب الثورية لنضال الجماهير .)) ان الحزب العمالي الذي ((لا يجمع بين هذا النضال من أجل الاصلاحات وبين الأساليب الثورية لحركة العمال ، قد يتحول الى طائفة منعزلة وقد يبتر عن الجماهير ، و . . . هذا أكبر خطر يهدد انتصار الاشتراكية الثورية الحقيقية)). (((الى أمين سر " عصبة الدعاية الاشتراكية ")) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 21)

وقال لينين : ((كل مطلب ديمقراطي . . . هو ، بالنسبة للعمال الواعين طبقيا ، ثانوي بالنسبة للمصالح الأعلى للاشتراكية)) . (((سخرية بالماركسية و " الاقتصادية الاستعمارية ")) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 23) وبالاضافة لهذا اقتطف لينين ما يلي عن انجلز في مؤلفه ((الدولة والثورة)) : ان نسيان الموقف الأساسي العظيم في غمرة المصالح المؤقتة اليومية ، والنضال والسعي للنجاح الموقت

بدون اعتبار للعواقب المستقبلة ، والتضحية بمستقبل الحركة لأجل حاضرها معناه انتهازية وانتهازية خطيرة فيما يتعلق بهذا .

لقد ارتكز لينين بالتحديد الى هذا ، عندما نقد كاوتسكي ب ((مدح الاصلاحية والاستسلام للبرجوازية الاستعمارية ، وبلومه الثورة واقلاعه عنها)) . وقال ((ان البروليتاريا تكافح للاطاحة بالبرجوازية الاستعمارية بطريقة ثورية)) بينما يكافح كاوتسكي ((ل " تحسين " الاستعمار عن طريق الاصلاح ، ولملائمته في الوقت الذي يستسلم فيه اليه)). (((الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 28)

ان نقد لينين لكاوتسكي هو تصوير صحيح لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي اليوم .

دائما ما كان راينا أنه لأجل قيادة الطبقة العاملة وجماهير الشعب في الثورة يقتضي أن يقدر حزب البروليتاريا على تملك كل أشكال النضال وعلى الجمع بين أشكال مختلفة من النضال حتى يتمكن بسرعة من احلال شكل محل الآخر تبعا لتغير ظروف النضال . وسوف لا يكون حزب البروليتاريا قاهرا لا يغلب في جميع الأحوال ان لم يتملك تماما جميع أشكال النضال مثل النضال السلمي والمسلح ، العلني والسري ، القانوني وغير الشرعي ، البرلماني والجماهيري ، كما عليه أن يتملك شكلي النضال المحلي والعالمي .

ان انتصار الثورة الصينية يعزى بالتحديد الى تملك الشيوعيين الصينيين تملكا تاما وبمهارة لجميع أشكال النضال ، بما يتماشى مع الخصائص المحددة للثورة الصينية ، بعد أن تعلموا من الخبرة التاريخية للنضال الذي شنته البروليتاريا العالمية . وبالرغم من أن انتصار الثورة الصينية لما كان ممكنا بدون الافادة من أشكال النضال الأخرى.

في مجرى الثورة الصينية كافح الحزب الشيوعي في جبهتين ، فقد كافح ضد الانحراف اليميني نحو القانونية وكافح ضد الانحراف ((اليساري)) نحو عدم القانونية ، وربط بين النضال القانوني وغير القانوني ربطا صحيحا . وجمع على نطاق البلاد بأسرها وبصورة صحيحة بين النضال في مناطق القواعد الثورية وبين النضال في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكومينتانغ ، بينما جمع بصورة صحيحة في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكومينتانغ بين العمل العلني والسري ، وأفاد افادة تامة من الفرص القانونية والتزم بدقة بقوانين الحزب الخاصة بالعمل السري. لقد أنجبت الثورة الصينية أساليب معقدة ومتنوعة من النضال كانت تلائم ظروفها المحددة.

يدرك الحزب الشيوعي الصيني ادراكا تاما من خبرته العملية الطويلة بأنه من الخطأ رفض النضال القانوني وحصر عمل الحزب في حدود ضيقة مما يؤدي الى عزله عن الجماهير . الا أنه لا يجب على المرء أبدا أن يصبر على القانونية التي يروج لها المحرفون أو يتحملها . اذ أن المحرفين يرفضون النضال المسلح وكل أنواع النضالات غير القانونية الأخرى ، وينغمسون فقط في النضال القانوني والنشاط القانوني ، ويحصرون عمل الحزب والنضال الجماهيري في النطاق الذي تسمح به الطبقات الحاكمة . انهم يحطون برنامج الحزب الأساسي وحتى أنهم ينبذونه وينبذون الثورة ويكيفون أنفسهم حتى يلائموا نظم القانون الرجعية ملاءمة تامة .

ان القانونية البرجوازية ، كما أوضح لينين في نقده بصورة صحيحة ، قد حطت من مركز المحرفين من أمثال كاوتسكي وجعلتهم متعفنين منذهلين . وقال ((هكذا يبيعون حق البروليتاريا في الثورة نظير فتات لا يسمن ولا يغني من جوع قدم الى المنظمات التي يعترف بها قانون البوليس الراهن)) . (((افلاس الأممية الثانية)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 21)

وبينما يتحدث قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأتباعهم عن استخدام جميع أشكال النضال يقفون في الحقيقة الى جانب القانونية ، وينبذون هدف الثورة البروليتارية متذرعين بأشكال النضال المتغيرة . وهذا معناه ، مرة أخرى ، استبدال اللينينية بالكاوتسكية .

دائما ما يستغل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مؤلف لينين العظيم ((مرض " اليسارية " الطفولي في الحركة الشيوعية)) بغرض تبرير خطهم الخاطىء حتى جعلوه ((حجة)) يشنون بها هجومهم على الحزب الشيوعي الصيني .

ولا جدوى من هذا بالطبع . ومؤلف لينين هذا ، كغيره من مؤلفاته ، يخدم فقط كسلاح في يد الماركسيين اللينينيين لمقاومة مختلف أنواع الانتهازية ولا يمكن أبدا أن يخدم كأداة تبرير للمحرفين .

وعندما نقد لينين مرض ((اليسارية)) الطفولي وطالب حزب البروليتاريا بأن يكون ماهرا في تطبيق التاكتيكات الثورية وأن يحضر بصورة أحسن للثورات ، كان قد انفصل في ذلك الوقت عن محرفي الأممية الثانية وأسس الأممية الثالثة .

وفي الحقيقة أن لينين كتب في هذا المؤلف أن العدو الأساسي في الحركة العمالية العالمية في ذلك الوقت كان هو الفصيلة الكاوتسكية من الانتهازية . وقد أكد مرارا أنه ما لم يتم الانفصال عن التحريفية سوف يصبح الحديث عن اجادة التاكتيكات الثورية أمرا لا محل له .

ان أولئك الرفاق الذين نقدهم لينين ((ليساريتهم)) الطفولية ، كانوا كلهم راغبين في الثورة ، بينما خروشوف محرف اليوم يقف ضدها ، ويجب درجه في نفس الفصيلة التي انتمى اليها كاوتسكي وليس لديه أي حق في الحديث عن مسألة مكافحة مرض ((اليسارية)) الطفولي .

ان أبطل الأشياء هي أن تلصق قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي طابع ((التروتسكية)) بالحزب الشيوعي الصيني . وفي الحقيقة أن خروشوف نفسه هو الذي ورث مخلفات التروتسكية وأصبح يقف مع تروتسكيي الوقت الحاضر .

ان التروتسكية تعبر عن نفسها بطرق مختلفة فيما يتعلق بمختلف المسائل ، ودائما ما ترتدي قناع ((اليسارية المتطرفة الى أقصى الحدود)) ، الا أن جوهرها هو معارضة الثورة والغاء الثورة .

وفيما يتعلق بالحقيقة الأساسية – حقيقة معارضة الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا فان التروتسكية وتحريفية الأممية الثانية هما نفس الشيء في الأصل (5) . وهذا هو السبب الذي دعى ستالين لتكرار القول بأن التروتسكية هي فصيلة من المنشفيكية ، هي الكاوتسكية والاشتراكية الديمقراطية وهي الفصيلة الهجومية للبرجوازية المعادية للثورة .

ان تحريفية خروشوف الراهنة هي في جوهرها أيضا تعارض الثورة وتلغيها . ولهذا فالنتيجة المنطقية الوحيدة هي أن تحريفية خروشوف ليست مصنوعة من نفس مادة الكاوتسكية وحسب بل تلتقي بالتروتسكية في مجرى واحد لمعارضة الثورة (6) . ومن الأجدر لخروشوف أن يلصق طابع التروتسكية بنفسه .

(1) الرسالة المفتوحة التي وجهتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ 14 يوليو (تموز) 1963 الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي .

(2) ((الماركسية اللينينية – أساس وحدة الحركة الشيوعية)) ، مقال بقلم هيئة تحرير ((الشيوعي)) ، العدد 15 عام 1963 .

(3) لطالما لجأ القادة التحريفيون للحزب الشيوعي العراقي ولا يزالون الى استعمال هذا الاسلوب لتضليل الجماهير الشيوعية في العراق بغية ثنيها عن القيام بالثورة الاشتراكية المسلحة والاستلام المباشر للسلطة وتشييد دكتاتورية البروليتاريا واقامة نظام الحزب الواحد المجيد على انقاض براثن الاقطاع والرأسمالية العراقية – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(4) ((نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والوقت الراهن)) ، مجلة ((الشيوعي)) ، العدد 13 عام 1960 .

(5) هذا الكلام مجاف للحقيقة : فبالنسبة للثورة البروليتارية فإن تروتسكي هو الوحيد الذي وقف الى جانب لينين في الدعوة لها في وقت كان فيه قادة الحزب البلشفي يعارضون القيام بها وهو من أسس الحرس الأحمر العمالي الفلاحي وقاده في الهجوم على قصر الشتاء بأمر من لينين وهو من فضح وثائق المعاهدات السرية التي وقعها الحلفاء لاقتسام الدول واستعباد الشعوب وقام بافشاء اسرارها الى العالم بصوته عبر اذاعة لينينغراد ، واما فيما يختص بديكتاتورية البروليتاريا فقد كان تروتسكي هو من أسس الديمقراطية العمالية وهو من ابدع النظام المخالسي ((سلطة السوفيتات)) وكان من اشد المدافعين عن دكتاتورية البروليتاريا بوجه الانحراف البيرقراطي لخط ستالين الذي كان يسعى لتجريدها عن الديمقراطية العمالية والقضاء على هذه الاخيرة ودفع تروتسكي حياته في نهاية المطاف ثمنا لدفاعه عن العمال السوفيت وتهميشهم واقصائهم من السلطة من قبل ستالين الذي حل السوفياتات وألغى النظام المجالسي – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(6) يرى الصوت الشيوعي ان هذا صحيح من حيث وقوف التروتسكية ضد التحويل الاشتراكي بسبب من فكرة تروتسكي الخاطئة عن استحالة بناء الاشتراكية في بلد واحد ولكن ليس بسبب رفضه للثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا !! راجع الهامش السابق – ملاحظة الصوت الشيوعي .

خطان مختلفان ونتيجتان مختلفتان

ان التاريخ أعظم شاهد . ان خبرة غنية قد أحرزت في الحركة الشيوعية العالمية وفي النضالات الثورية التي خاضتها الشعوب منذ الحرب العالمية الثانية . وكانت هذه الخبرة نوعين–نوعا ناجحا والأخر فاشلا . ويلزم الشيوعيين والشعوب الثورية في كل الأقطار استخلاص النتائج الصحيحة من هذه الخبرة التاريخية.

ان الأقطار التي نجحت في القيام بثورات اشتراكية في أوربا الشرقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، منذ الحرب ، يعزى سبب نجاحها في تلك الثورات الى أنها اتبعت الخط الماركسي اللينيني الثوري وطريق ثورة أكتوبر . وبالاضافة الى خبرة ثورة أكتوبر ، أصبحت الآن هناك خبرة ثورات الصين ، والأقطار الاشتراكية في أوربا الشرقية ، وكوريا ، والفيتنام ، وكوبا . لقد أغنت الثورات الظافرة في هذه الأقطار الماركسية اللينينية وطورتها كما أغنت خبرة ثورة أكتوبر وطورتها .

ان جميع هذه الثورات ، بلا استثناء ، من الصين الى كوبا قد كسبت عن طريق النضال المسلح وبالكفاح ضد العدوان والتدخل الاستعماريين المسلحين .

لقد انتصر الشعب الصيني في ثورته بعد أن شن الحروب الثورية لمدة اثنتين وعشرين سنة بما فيها ثلاثة أعوام من حرب التحرر الشعبية ، ألحق فيها هزيمة تامة شاملة بطغمة تشيانغ كاي شيك الرجعية التي ساندها الاستعمار الأميركي بكل ما هو ممكن لديه .

ولقد خاض الشعب الكوري النضال الثوري المسلح ضد الاستعمار الياباني لمدة خمسة عشر عاما منذ ثلاثينات القرن العشرين ، وأسس خلال هذا النضال قواته الثورية المسلحة ووسعها ، وأحرز النصر أخيرا بمساعدة الجيش السوفياتي . ولم يتوطد انتصار الثورة في جمهورية كوريا الديمقراطية بعد تأسيسها الا بعد ثلاثة أعوام من الحرب ضد عدوان الاستعمار الأميركي المسلح .

لقد استولى الشعب الفيتنامي على سلطة الدولة عن طريق انتفاضة أغسطس (آب) المسلحة في عام 1945 ، ولم يكد يستولي على سلطة الدولة حتى خاض حربا للتحرر الوطني ضد الاستعمار الفرنسي استمرت لثمانية أعوام وسحق التدخل العسكري الذي قام به الاستعمار الأميركي ، وبعد ذلك فقط انتصر في شمال الفيتنام . ومازال شعب جنوب الفيتنام يشن الآن نضالا بطوليا ضد عدوان الاستعمار الأميركي المسلح [1] .

وبدأ الشعب الكوبي انتفاضته المسلحة في عام 1953 وخاض حربا ثورية شعبية لأكثر من عامين ، وتمكن بعد ذلك من الاطاحة بحكم الاستعمار الأميركي في كوبا وحكم باتستا عميله الكوبي . وحطم الشعب الكوبي بعد انتصار ثورته الغزوات المسلحة التي قام بها المرتزقة للمستعمرين الأميركيين ، وصان بذلك ثمار ثورته .

هذا وقد تم تأسيس الأقطار الاشتراكية الأخرى أيضا عن طريق النضال المسلح .

فما هي الخبرة الرئيسية التي تمتد من الصين الى كوبا بعد الحرب العالمية الثانية ؟

أولا : ان الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية . وعلى البروليتاريا أن تخوض النضال المسلح وتحطم جهاز الدولة القديم وتؤسس ديكتاتورية البروليتاريا حتى تحقق الانتقال الى الاشتراكية .

ثانيا : ان الفلاحين هم الحلفاء الذين تعتمد عليهم البروليتاريا أعظم الاعتماد . وعلى البروليتاريا أن تتكل على الفلاحين كل الأتكال ، وأن تؤسس جبهة موحدة واسعة قائمة على أساس التحالف بين العمال والفلاحين ، وأن تصر على قيادة البروليتاريا في الثورة .

ثالثا : ان الاستعمار الأميركي هو العدو الرئيسي لثورة الشعوب في جميع الأقطار . وعلى البروليتاريا أن ترفع عاليا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأميركي وعليها أن تتذرع بالشجاعة لكي تكافح بعزيمة راسخة ضد المستعمرين الأميركيين وعملائهم في بلادها .

رابعا : ان ثورة الأمم المضطهَدة هي حليف لا غنى عنه للثورة البروليتارية . وعلى عمال كل الأقطار أن يتحدوا ، كما عليهم أن يتحدوا مع جميع الأمم المضطهَدة وجميع القوى المعارضة للاستعمار وعملائه ليشكلوا جبهة موحدة عالمية واسعة .

خامسا : لا بد من وجود حزب ثوري للقيام بالثورة . وانتصار الثورة البروليتارية وانتصار ديكتاتورية البروليتاريا مستحيلان بدون حزب ثوري بروليتاري يؤَسَس وفقا للنظرية والأسلوب الثوريَين اللينينيَين ،

وهذا الحزب لا يقبل المصالحة مع التحريفية والانتهازية كما يتخذ الموقف الثوري تجاه الطبقات الرجعية الحاكمة وسلطة دولتها .

والاصرار على النضال الثوري المسلح في الدرجة الأولى من الأهمية لا للثورة البروليتارية وحسب ، بل للثورة الوطنية الديمقراطية التي تقوم بها الأمم المضطهدة أيضا . ولقد ضرب انتصار حرب التحرر الوطني التي خاضها الشعب الجزائري مثلا حسنا في هذا الصدد .

لقد دل تاريخ الأحزاب البروليتارية قاطبة منذ الحرب على أن الاحزاب التي اتبعت الخط الثوري واتخذت الاستراتيجية الصحيحة والتكتيكات الصحيحة وقادت الجماهير بحيوية ونشاط لخوض النضالات الثورية ، لا بد أن تتمكن من دفع القضية الثورية الى الأمام خطوة فخطوة نحو النصر ، ولا بد من أن كل الأحزاب التي اتبعت خطا انتهازيا غير ثوري وقبلت خط خروشوف – خط ((الانتقال السلمي)) ، لا بد أن تلحق ضررا بالغا خطيرا بالقضية الثورية ، وتحول نفسها الى أحزاب اصلاحية عديمة الحيوية ، أو تتحلل تماما وتنحط حتى تصبح أدوات تستخدمها البرجوازية ضد البروليتاريا . والأدلة على هذا ليست قليلة .

لقد كان رفاق الحزب الشيوعي العراقي في الماضي مليئين بالحماس الثوري . الا أنه فُرِضَ عليهم قبول خط خروشوف التحريفي بواسطة الضغط الخارجي وفقدوا يقظتهم تجاه الثورة المضادة . وضحى أثناء الانقلاب المسلح المعادي للثورة رفاق قياديون بأرواحهم ببطولة ، وقتل آلاف من الشيوعيين والثوريين العراقيين بصورة وحشية ، وتشتت شمل الحزب الشيوعي العراقي الذي كان منيعا وقويا ، وأصيبت القضية الثورية العراقية بنكسة خطيرة . ان هذا درس مفجع في تاريخ الثورة البروليتارية [2] ، انه لدرس كتب بالدماء . [3]

أما قادة الحزب الشيوعي الجزائري فقد استجابوا كل الاستجابة لعصا ارشاد خروشوف وقادة الحزب الشيوعي الفرنسي وقبلوا الخط التحريفي المعارض للنضال المسلح قبولا تاما . الا أن الشعب الجزائري رفض الاصغاء الى هذه الترهات الممجوجة وكافح بشجاعة ضد الاستعمار من أجل الاستقلال الوطني وشن حربا تحررية وطنية لأكثر من سبعة أعوام وأجبر الحكومة الفرنسية أخيرا على الاعتراف باستقلال الجزائر . الا أن الحزب الشيوعي الجزائري قد فقد ثقة الشعب الجزائري كما فقد مركزه في الحياة السياسية الجزائرية .

وخلال الثورة الكوبية ، رفض قادة الحزب الشعبي الاشتراكي [4] اتباع الخط الماركسي اللينيني الثوري ، خط النضال المسلح الثوري الصحيح واتبعوا على النقيض من ذلك خط خروشوف التحريفي فدعوا الى ((الانتقال السلمي)) وعارضوا الثورة العنيفة . وفي هذا الظروف ، حق للماركسيين اللينينيين في خارج الحزب الكوبي وفي داخله ، الذين يمثلهم الرفيق كاسترو [5] ، أن يتجاهلا أولئك القادة الذين عارضوا الثورة العنيفة فاتحدوا مع الشعب الكوبي الثوري وقاموا بالثورة وكسبوا اخيرا انتصارا ذا مغزى تاريخي عظيم .

ان قادة معينين من قادة الحزب الشيوعي الفرنسي يمثلهم توريز ، قد ظلوا يسيرون على خط تحريفي منذ مدة بعيدة ، وروجوا ((للطريق البرلماني)) مستجيبين لعصا ارشاد خروشوف ، وأنزلوا الحزب الشيوعي بالفعل بالفعل الى مستوى حزب اشتراكي ديمقراطي . انهم امتنعوا عن تأييد المطامح الثورية لدى الجماهير الشعبية تأييدا نشطا وطووا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأميركي . وكانت نتيجة اتباعهم لهذا الخط التحريفي هي أن الحزب الشيوعي الذي كان في يوم من الأيام يتمتع بنفوذ عظيم بين الشعب ، أصبح معزولا بصورة متزايدة عن الجماهير ويتدهور أكثر وأكثر .

ان قادة معينين من قادة الحزب الشيوعي الهندي يمثلهم دانجي ، قد ساروا منذ وقت بعيد على خط تحريفي ، ونكسوا راية الثورة وامتنعوا عن قيادة الجماهير في نضالاتها الوطنية الديمقراطية الثورية . وانزلقت طغمة دانجي أكثر وأكثر في طريق التحريفية المنحدر وانحطت فأصبحت شرذمة من المتعصبيين القوميين وأداة يستخدمها كبار ملاك الأراضي والبرجوازيين الهنود لتنفيذ سياساتهم الرجعية ، وأصبحت مرتدة عن البروليتاريا .

ويبرهن هذا السجل على أن الخطين المختلفين اختلافا أساسيا يقودان الى نتيجتين تختلفان اختلافا أساسيا . ان كل هذه الدروس جديرة بفحص دقيق .

---

(1) لاحظ ان تاريخ صدور هذا الكتيب في عام 1964 أي قبل احراز الشعب الفيتنامي البطل والفيتنام الشمالية للانتصار النهائي على الأمبريالية الاميركية وطرد الأخيرة من جنوب الفيتنام وتأسيس جمهورية الفيتنام الاشتراكية الموحدة – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(2) للأمانة التاريخية فان الحزب الشيوعي العراقي لم يكن في يوم من الايام حزبا بروليتاريا فقد كان حزبا للمثقفين والطلاب والجناح اليساري في البرجوازية الصغيرة العراقية ، وقد بنى تنظيماته على أسس عائلية ليس لها أي علاقة بالصراع الطبقي وغير قائمة على التوفيق بين الطبيعة القبلية للمجتمع العراقي من جهة وصراع الطبقات في هذا المجتمع من جهة اخرى كما فعل الحزب الشيوعي الصيني بصورة مبدعة والذي واجه مشكلة مشابهة في الصين – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(3) التوكيد بالأحمر مع الخط العريض من الصوت الشيوعي .

(4) الحزب الشيوعي الكوبي الأصلي قبل أن ينضم اليه فيدل كاسترو وحركته حركة 26 يوليو تموز – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(5) للأمانة التاريخية فان هذا المثال خاطىء بالمرة للأسباب الآتية : أ) لم يكن فيديل كاسترو او الحركة التي اسسها " حركة 26 يوليو تموز " التي قمت بالثورة الكوبية وقادتها ، لم يكن أي منهما قد تبنى الشيوعية ولا الماركسية بل كانوا قوميين غير شيوعيين ولم يعتنق فيدل كاسترو وحركته الفكر الشيوعي والماركسي الا في مطلع سنة 1961 حيث انظم فيدل كاسترو وحركة 26 يوليو تموز الى الحزب الشعبي الاشتراكي (الحزب الشيوعي الكوبي) ليؤلفا الحزب الموحد للثورة الاشتراكية في كوبا والذي تغير اسمه فيما بعد الى الحزب الشيوعي الكوبي الحالي . وقد جاء هذا التحول الايديولوجي والاندماج كرد فعل من القوميين الكوبيين على عدوان الامبريالية الاميركية ضد كوبا في بلايا جيرون سنة 1961 ؛ ب) بدئت الثورة الكوبية المسلحة سنة 1953 قبل ان يظهر الخائن خروشوف على المسرح سنة 1954 وقبل ان ينعقد المؤتمر العشرين الخياني للحزب الشيوعي السوفياتي سنة 1956 والذي كرس نظرية الطريق السلمي للاشتراكية . ففي 26 يوليو تموز من عام 1953 شن القوميون الكوبيون بقيادة كاسترو الهجوم البطولي على ثكنة مونكادا ومن هنا جائت تسمية " حركة 26 يوليو تموز " ؛ ج) لم يكن أي من الثوار الكوبيين الذين ركبوا يخت الغرانما وقاموا بالثورة الكوبية ، لم يكن أيا منهم شيوعيا ولا ماركسيا سوى راؤول كاسترو والذي كان شيوعيا بالفكر دون التنظيم فلم يكن عضوا رسميا في الحزب الشيوعي الكوبي؛ د) كان عدم انخراط الحزب الشعبي الاشتراكي الكوبي في الثورة الكوبية والنضال المسلح ليس بسبب قبوله لافكار خروشوف الذي لم يكن اصلا قد ظهر بعد على المسرح بل كان بفعل ذيلية هذا الحزب وتبعيته للاتحاد السوفياتي فقد كان يتذرع ب " عدم صدور الاوامر من الكريملين للقيام بالثورة الاشتراكية

المسلحة في كوبا " . راجع كتاب : "تاريخ الثورة الكوبية لسافيريو تيتينو" الطبعة العربية الاولى ، ترجمة فؤاد أيوب ، 1971 وكتاب : "ثورة كوبا كما يرويها بطلها وقائدها" من منشورات دار الآداب – بيروت ، الطبعة الاولى ، 1965 . – ملاحظة الصوت الشيوعي .

من براودر وتيتو الى خروشوف

ان لتحريفية خروشوف أسبابا تاريخية واجتماعية عميقة وتحمل طابع العصر . وكما قال لينين ، فان ((الانتهازية ليست أمرا عرضيا ، وليست اثما أو هفوة أو خيانة يرتكبها أفراد ، بل هي النتاج الاجتماعي لحقبة تاريخية بأكملها)). (((افلاس الأممية الثانية)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 21)

لقد أنتجت الحركة الشيوعية العالمية أثناء تقدمها العظيم منذ الحرب العالمية الثانية ، نقيضها من بين صفوفها ، وهذا النقيض هو تيار التحريفية المضاد الذي يعارض الاشتراكية والماركسية اللينينية والثورة البروليتارية . وقد مثل هذا التيار بصورة رئيسية براودر ، وأعقبه تيتو ، ثم أعقبه الآن خروشوف . وما تحريفية خروشوف سوى مواصلة وتطوير للبراودرية والتيتوية .

بدأ براودر يكشف عن تحريفيته حوالي عام 1935 . فقد بجل الديمقراطية البرجوازية وألّهها ، وتخلى عن كل نقد ضروري للحكومة البرجوازية واعتبر ديكتاتورية البرجوازية أمرا جميلا للشيوعيين وأصبح للشيوعيين واصبح شعاره ((الشيوعية هي جعل القرن العشرين متأمركا)) . [1]

وأصبح براودر ، بعد تأسيس الجبهات الموحدة ضد الفاشستية على الصعيدين العالمي والمحلي خلال الحرب العالمية ، مهووسا ب ((الديمقراطية)) و ((التقدم)) و ((الحكمة)) البرجوازية ، وذلل نفسه أمام البرجوازية وانحط فأصبح استسلاميا قلبا وقالبا .

لقد روج براودر لطقم كامل من وجهات النظر التحريفية التي تجمل البرجوازية وتعارض الثورة وتلغيها .

لقد أعلن أن ((تصريح طهران)) الذي وقعه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا فتح عهدا ((للثقة والتعاون الطويلي الأمد)) بين الرأسمالية والاشتراكية ومن شأنه أن يضمن ((سلما مستقرا جيلا بعد جيل)) . [2]

ونشر الاعتقاد بأن الاتفاقيات الدولية التي وقعها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا تمثل ((أعظم المصالح الحيوية لكل أمة وكل شعب في العالم بلا استثناء)) ، [3] وأن أي فوضى داخلية بعد ذلك سوف ((تجافي مستقبل النظام في العالم)) ولهذا كان رأيه هو أنه من الضروري معارضة ((الانفجارات التي تحدث نتيجة النزاع الطبقي)) في داخل البلاد و ((التقليل الى أبعد الحدود)) من الصراع الطبقي الداخلي و ((وضع حد معين لا يتخطاه)) هذا الصراع . [4]

ونشر الرأي القائل بأن حربا جديدة ستكون ((كارثة حقيقية تحطم جزءا كبيرا من العالم)) ، وقد ((ترمي . . . بمعظم العالم الى الوحشية لخمسين أو مائة سنة)) ، وأنه من ضروري ((التركيز على وجود اتفاقيات تتعدى حدود كل الفوارق الطبقية)) حتى تمكن ازالة كوارث الحرب . [5]

وقد دعا الى تحقيق الاشتراكية ب ((الاعتماد كليا على الاقناع الديمقراطي والايمان)) [6] وأعلن أن أقطار معينة بعد الحرب العالمية الثانية ((كسبت الظروف الملائمة التي يمكن أن يحدث فيها انتقال سلمي الى الاشتراكية)). [7]

وأنكر الدور المستقل للأحزاب البروليتارية وأعلن أن ((الأهداف السياسة العملية)) للشيوعيين ((سوف تكون ، في جميع النقاط الأساسية ولوقت طويل ، على اتفاق مع أهداف عدد من اللاشيوعيين يفوق عدد الشيوعيين بحدود عظيمة)) . [8]

ومسترشدا بهذه الأفكار حل الحزب الشيوعي الأميركي .

ولقد قادت تحريفية براودر لحين من الوقت القضية الثورية الأميركية الى حافة الهاوية ، وسممت الأحزاب البروليتارية في بعض الأقطار الأخرى بسم التصفية .

لقد عارض عدد كبير من الشيوعيين الأمريكيين ، وعلى رأسهم الرفيق ويليام فوستر ، خط براودر التحريفي كما رفضته ودحضته أحزاب شقيقة كبيرة . الا أن الحركة الشيوعية العالمية ككل لم تنقد الاتجاه التحريفي الذي كانت تمثله البراودرية نقدا شاملا ولم تحاسبه حسابا عسيرا . وتطور الاتجاه التحريفي في الظروف الجديدة بعد الحرب مرة ثانية بين صفوف الشيوعيين في أقطار معينة .

لقد ظهر أولا نمو الاتجاه التحريفي في الأقطار الرأسمالية في حقيقة أن قادة أحزاب شيوعية معينة قد تخلوا عن الخط الماركسي اللينيني الثوري واحتضنوا خط ((الانتقال السلمي)) . ونظرية تولياتي ، نظرية ((الاصلاح في التركيب)) ، التي تدعو الى احراز البروليتاريا لقيادة الدولة بالأساليب القانونية التي تهيئها الديمقراطية البرجوازية والى تحقيق التحول الاشتراكي للاقتصاد الوطني عن طريق ((التأميم)) و ((التخطيط)) اللذين يخدمان مصالح رأس المال الاحتكاري هي مثال طبق الأصل لهذا الخط . ومن الممكن تبعا لهذا الخط ، اقامة علاقات اشتراكية جديدة للانتاج وتحقيق الانتقال الى الاشتراكية بدون تحطيم جهاز الدولة البرجوازي . وهذا يعني في الحقيقة جعل الشيوعية تنحط حتى تصبح اشتراكية – ديمقراطية .

ولقد ظهر الاتجاه التحريفي في الأقطار الاشتراكية أول الأمر في يوغسلافيا . ان الاستسلام للاستعمار الأميركي هو ميزة هامة لتحريفية تيتو . فلقد باعت طغمة تيتو نفسها جسما وروحا للاستعمار الأميركي ، وهي لم تعد الرأسمالية وحسب الى يوغسلافيا بل اصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، وهي تلعب دور فصيلة خاصة للاستعمار الأميركي لنسف الثورة العالمية .

ولخدمة الاستعمار الأميركي ولمعارضة الثورة البروليتارية والغائها ، زعمت طغمة تيتو علنا أن الثورة العنيفة قد ((ازداد عدم جدواها كوسيلة لحل التناقضات الاجتماعية)) ، [9] و ((ان عملية التطور التدريجي نحو الاشتراكية)) عن طريق البرلمان البرجوازي ((لم تعد ممكنة وحسب ، بل أصبحت حقيقة واقعية)) . [10] وهي تضع الرأسمالية بالفعل على قدم المساواة مع الاشتراكية ، زاعمة أن عالم اليوم ((ككل قد " انغمس " بعمق في الاشتراكية وأصبح اشتراكيا)) [11] كما تقول ((ان المسألة – مسألة الاشتراكية أم الرأسمالية – هي مسألة قد حلت على نطاق عالمي)).[12]

ان تحريفية براودر ونظرية الاصلاح في التركيب وتحريفية تيتو قد أصبحت كلها مظاهر رئيسية للاتجاه التحريفي منذ الحرب العالمية الثانية .

وقد أصبح خط خروشوف التحريفي خط ((الانتقال السلمي)) و ((التعايش السلمي)) و ((المباراة السلمية)) ، منتظما مكتملا بين المؤتمر العشرين والمؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

وقد ظل يروج لهذه البضاعة المغشوشة في كل مكان مناديا بأنها ((خلق جديد)) . الا أنها ليست شيئا جديدا ، وما هي الا خليط أعيد خلقه ومبهرج من التحريفية البراودرية ونظرية الاصلاح في التركيب والتحريفية التيتوية . وتمارس تحريفية خروشوف الاستسلام للاستعمار الأميركي في العلاقات الدولية ، كما تمارس الاستسلام للطبقات الرجعية الحاكمة في الأقطار الاستعمارية والرأسمالية ، بينما تحث على تطوير القوى الرأسمالية في الأقطار الاشتراكية .

واذا ما نظرنا الى برنشتاين وكاوتسكي وغيرهما من محرفي الأممية الثانية حوالي فترة الحرب الأولى باعتبارهم ينتمون الى عائلة واحدة وسلالة واحدة لأدركنا أن نفس النظرة تنطبق على براودر وتيتو وخروشوف بعد الحرب العالمية الثانية .

لقد أوضح براودر هذه النقطة جيدا عندما كتب في عام 1960 ، ((لقد اعتنق خروشوف الآن "البدعة" التي طردت أنا بسببها من الحزب الشيوعي في عام 1945)). وأضاف قائلا ان سياسة خروشوف الجديدة ((هي تقريبا باللفظ نفس الخط الذي دعوت له قبل خمسة عشر عاما . وهكذا أصبحت جريرتي – على الأقل في الوقت الحاضر – هي المذهب الصحيح الجديد)) . (13)

لقد اعترف خروشوف بنفسه بأنه هو وطغمة تيتو ((ينتمون الى نفس الفكرة وترشدهم نفس النظرية)) . (14)

وجوهر المسألة هو أن تحريفية خروشوف هي أكثر سما من تحريفية برنشتاين وكاوتسكي وبراودر وتيتو . والسبب في ذلك هو أن الاتحاد السوفياتي أول دولة اشتراكية وقطر كبير في المعسكر الاشتراكي وهو مسقط رأس اللينينية ، وأن الحزب الشيوعي السوفياتي حزب كبير خلقه لينين وهو يتمتع في الحركة الشيوعية العالمية بمركز محترم كونه التاريخ . ويستغل خروشوف مركزه بصفته قائد الحزب الشيوعي السوفياتي والاتحاد السوفياتي لكي يدفع خطه التحريفي باصرار .

لقد وصف خطه التحريفي بأنه خط ((لينيني)) ، ويستغل هيبة لينين العظيم وهيبة الحزب البلشفي العظيم بغرض خلق الفوضى في عقول الناس وخداعهم .

وظل خروشوف وهو يستغل هذه الهيبة الموروثة للحزب الشيوعي السوفياتي ومركز حزب كبير وقطر كبير ، يلوح بعصا ارشاده ويستخدم كل أنواع الاجراءات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية لكي يجبر الآخرين على قبول خطه التحريفي .

وبالتمشي مع سياسة المستعمرين لشراء الارستقراطية العمالية الى جانبهم ، ظل هو أيضا يشتري شيوعيين مبرجزين معينين خانوا الماركسية اللينينية في الحركة الشيوعية العالمية الى جانبه وظل يحثهم ويدفعهم للتصفيق للخط المعادي للثورة الذي انتجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ولخدمة هذا الخط .

وهذا هو السبب في أن خروشوف قد فاق جميع المحرفين القدامى والمعاصرين .

ان المصدر الاجتماعي للتحريفية المعاصرة ، كما جاء في تصريح عام 1957 ، هو التسليم للضغط الاستعماري الخارجي وقبول التأثير البرجوازي الداخلي .

والمحرفون المعاصرون ، شأنهم شأن المحرفين القدامى ، تنطبق أوصافهم على الأوصاف التي ذكرها لينين حين قال ((. . . هم من ناحية موضوعية فصيلة سياسية تابعة للبرجوازية . . . اذ أنهم يوصلون نفوذها للآخرين ، وهم عملاؤها في حركة العمال)) . (((افلاس الأممية الثانية)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 21)).

ان الأسس الاقتصادية لظهور التحريفية المعاصرة ، شأنها شأن التحريفية القديمة ، كما قال لينين هي ((جزء بسيط من "القسم الأعلى" من الحركة العمالية)) . (((الانتهازية وافلاس الأممية الثانية)) ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد 21)

ان التحريفية المعاصرة هي نتاج سياسات الاستعمار ورأس المال الاحتكاري العالمي وتقف الولايات المتحدة على رأس كل منهما . والمحرفون المعاصرون الذين أفزعتهم سياسة الابتزاز النووي وأفسدتهم سياسة الرشوة والشراء يخدمون الآن كمخالب وأدوات للاستعمار الأميركي وعملائه في معارضتهم للثورة .

وخروشوف المحرف أيضا أطارت صرخات الحرب الهستيرية التي يطلقها المستعمرون الأميركيون ، لبه هلعا ، فهو يعتقد أن الأرض ، ((سفينة نوح)) ، مهددة بالدمار في أي لحظة ، وفقد تماما كل الثقة في مستقبل البشرية . وانطلاقا من أنانيته القومية يخشى أن تخلق ثورات الطبقات والأمم المضطَدة له المتاعب وتورطه . ولهذا يحاول معارضة كل ثورة بجميع السبل ، وكما فعل في الكونغو ، لا يتردد في المساهمة مع الاستعمار الأميركي في القضاء على أي ثورة شعبية [15] . ويعتقد أنه بتصرفه هذا يمكنه أن يتفادى الأخطار ، ويتآمر في نفس الوقت مع الاستعمار الأميركي على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، وهكذا يصيب عصفورين بحجر واحد . الا أن الحقيقة هي أن كل هذا يبرهن على أن خروشوف هو أكبر الاستسلاميين في التاريخ . ولا شك أن تطبيق سياسة خروشوف السامة ستكون نتيجة الحاق ضرر لا يحصى بالاتحاد السوفياتي العظيم نفسه .

لماذا ظهرت تحريفية خروشوف في الاتحاد السوفياتي الذي هو دولة اشتراكية يرجع تاريخها الى عشرات السنين؟ ان هذا ليس غريبا في الحقيقة ، لأن مسألة من يتغلب على الآخر ، هل الاشتراكية أم الرأسمالية ، في كل قطر اشتراكي ، لا يمكن تسويتها الا بالتدريج بعد فترة تاريخية طويلة جدا . وطالما كانت هنالك قوى رأسمالية وطبقات في المجتمع ، تكون هناك تربة لنمو التحريفية .

ويزعم خروشوف أن الطبقات قد قضي عليها في الاتحاد السوفياتي ، وأن خطر اعادة الرأسمالية خارج عن الموضوع ، وأن بناء الشيوعية يسير قدما . وما كل هذه المزاعم سوى أكاذيب .

وفي الحقيقة أنه نتيجة لحكم خروشوف التحريفي ، واعلانه الصريح بأن الدولة السوفياتية غيرت طبيعتها ولم تعد ديكتاتورية للبروليتاريا ، ولتطبيقه لسلسلة كاملة من السياسات الداخلية والخارجية الخاطئة ، أصبحت القوى الرأسمالية في المجتمع السوفياتي فيضانا يتدفق الى جميع ميادين الحياة في الاتحاد السوفياتي بما في ذلك الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والايديولوجية . ان المصدر الاجتماعي لتحريفية خروشوف يكمن بوجه التحديد في القوى الرأسمالية التي تنتشر بلا انقطاع في الاتحاد السوفياتي .

ان تحريفية خروشوف تمثل مصالح هذه القوى الرأسمالية وتخدمها . ولهذا لا يمكن لتحريفية خروشوف أن تأتي الشعب السوفياتي بالشيوعية ، وهي على النقيض من ذلك تتسبب بصورة خطيرة في فقدان ثمار الاشتراكية ، وتفتح الباب على مصراعيه لاعادة الرأسمالية . وهذا بعينه هو طريق ((التحويل السلمي)) الذي يتوق له الاستعمار الأميركي .

ان تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا قاطبة يخبرنا أن الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية أمر مستحيل . وعلى النقيض من ذلك هناك سابقة يوغسلافيا التي ((تحولت سلميا)) من الاشتراكية الى الرأسمالية . وتقود تحريفية خروشوف الاتحاد السوفياتي الآن في هذا الطريق .

ان هذا أعظم درس مؤلم في تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا . وعلى جميع الماركسيين اللينينيين وجميع الثوريين والأجيال القادمة ألا ينسوا بأي حال من الأحوال هذا الدرس العظيم .

---

(1) أنظر ((تاريخ الحزب الشيوعي الأمريكي)) الذي كتبه ويليام فوستر .

(2) براودر : ((طهران – طريقنا في الحرب والسلم)) .

(3) نفس المصدر السابق .

(4) براودر : ((طهران و أميركا)) .

(5) براودر : ((الشيوعيون و الوحدة الوطنية)) .

(6) براودر : ((طريق النصر)) .

(7) براودر : ((الشيوعية العالمية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية)) .

(8) براودر : ((طهران – طريقنا في الحرب والسلم)) .

(9) ي . كوسانوفيتش : ((المادية التاريخية)) .

(10) أدفارد كاردل : ((الديمقراطية الاشتراكية في التطبيق في يوغسلافيا)) .

(11) م . تودوروفيتش : ((حول تصريح خاص بالعلاقات بين رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف والحزب الشيوعي السوفياتي)) .

(12) م . بيروفيتش : ((الاقتصاد السياسي)) .

(13) براودر : ((كيف دمر ستالين الحزب الشيوعي الأميركي)) .

(14) مقابلة صحفية لخروشوف مع المراسلين الأجانب في بريوني بيوغسلافيا يوم 28 أغسطس (آب) 1963 .

(15) لقد كان هذا بالضبط موقف خروشوف تجاه المد الثوري الشيوعي الكاسح في العراق – ملاحظة الصوت الشيوعي .

الملحق

عرض عام للآراء حول مسألة الانتقال السلمي

10 نوفمبر (تشرين الثاني) 1957

1 – من المرونة أكثر ، فيما يتعلق بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، الاشارة الى الاحتمالين – الانتقال السلمي والانتقال غير السلمي ، بدلا من الاشارة فقط الى أحدهما ، وهكذا نصبح في موضع يجعلنا قادرين على المبادرة سياسيا في أي وقت كان .

(أ) ان الاشارة الى احتمال الانتقال السلمي تدل على أن استخدام العنف بالنسبة الينا هو في الدرجة الأولى مسألة دفاع عن النفس . وهذا يمكن الأحزاب الشيوعية في الاقطار الرأسمالية من تجنب الهجمات التي توجه اليها حول هذه المسالة ، ولهذا فائدة سياسية هي المساعدة على كسب الجماهير ، وحرمان البرجوازية أيضا من ذريعتها في الهجوم ، وعلى عزلها .

(ب) واذا نشأ الاحتمال الفعلي للانتقال السلمي في بعض الأقطار في المستقبل عندما يتغير الوضع العالمي أو المحلي تغيرا جذريا ، فبوسعنا حين ذاك أن نغتنم الفرصة في حينها لكسب تأييد الجماهير وحل مسالة سلطة الدولة بالطرق السلمية .

(ج) ومع ذلك ، لا يجب أن نقيد أيادينا بأنفسنا نظرا لهذه الرغبة . فالبرجوازية سوف لا تنزل عن مسرح التاريخ طائعة مختارة . هذا قانون عام للنضال الطبقي . وعلى البروليتاريا والحزب الشيوعي في أي قطر من الأقطار ألا يتراخيا بتاتا في استعداداتهما للثورة . عليهما أن يستعدا في كل وقت من الأوقات لردع الهجمات المعادية للثورة ؛ وعليهما في مفترق الثورة الحرج عندما تقوم الطبقة العاملة فعلا بالاستيلاء على سلطة الدولة ، أن يطيحا بالبرجوازية بالقوة المسلحة اذا استخدمت البرجوازية القوة المسلحة لكبت ثورة الشعب (ويتحتم عموما أن تلجأ البرجوازية لهذا) .

2 – في الوضع الحاضر للحركة الشيوعية العالمية ، يكون من المفيد تاكتيكيا الاشارة الى الرغبة في الانتقال السلمي ولكن من غير الملائم الافراط في التركيز على امكانية الانتقال السلمي ، والأسباب في ذلك هي :

(أ) ان الاحتمال والواقع ، الرغبة وما اذا كانت ستحقق أم لا ، هما أمران مختلفان . علينا أن نشير الى الرغبة في الانتقال السلمي . ولكن علينا ألا نعلق آمالنا أساسا على ذلك ، ولهذا يجب ألا نفرط في التركيز على هذا الاحتمال.

(ب) اذا ركزنا تركيزا أكثر من اللازم على امكانية الانتقال السلمي ، ولا سيما على امكانية الاستيلاء على سلطة الدولة بكسب الأغلبية في البرلمان ، فقد يؤدي هذا الى اضعاف العزيمة الثورية لدى البروليتاريا والشغيلة والحزب الشيوعي مما ينزع سلاحهم الايديولوجي .

(ج) مبلغ علمنا حتى الآن أنه لا يوجد قطر واحد قد أصبحت لهذه الامكانية فيه أدنى أهمية عملية . وحتى اذا كانت هذه الامكانية أوضح قليلا في قطر معين ، فان الافراط في التركيز عليها أمر غير ملائم ، نظرا لأن هذا لا يطابق الواقع في الأغلبية الساحقة من الأقطار . واذا طرأت فعلا مثل هذه الامكانية في قطر ما ، على الحزب الشيوعي في ذلك القطر أن يسعى من جانب لتحقيقها ، وعليه من الجانب الآخر أن يكون مستعدا دائما لردع الهجمات المسلحة التي يشنها البرجوازيون .

(د) ان التركيز على هذا الاحتمال سوف لا يضعف سواء الطبيعة الرجعية لدى البرجوازية أو يقظتها .

(ه) كما سوف لا يجعل مثل هذا التركيز الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية أكثر ثورية عما هي .

(و) كما سوف لا يجعل مثل هذا التركيز الأحزاب الشيوعية أقوى مما هي عليه . وعلى النقيض من ذلك ، اذا لجأت بعض الأحزاب الشيوعية نتيجة هذا ، الى اخفاء قسماتها الثورية وأصبح يخلط فيما بينها وبين الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية في نظر الشعب ، فهذا سيؤدي الى اضعافها لا الى أي شيء آخر.

(ز) من العسير جدا تجميع القوى والتحضير للثورة ، والنضال البرلماني رغم كل شيء أمر سهل بالنسبة لذلك . علينا أن نفيد فائدة كاملة من النضال البرلماني كشكل من أشكال النضال ، الا أن دوره محدود . والمهم للغاية هو السير بالعمل الشاق ، عمل تجميع القوى الثورية .

3 – ان الحصول على أغلبية في البرلمان أمر يختلف عن تحطيم جهاز الدولة القديم (وأساسا القوات المسلحة) وتأسيس جهاز دولة جديد (وأساسا القوات المسلحة). وما لم يتم تحطيم جهاز الدولة العسكري البيروقراطي لدى البرجوازية ، إما أن يكون حصول البروليتاريا وحلفائها المعتمد عليهم على أغلبية برلمانية أمرا مستحيلا (لأن البرجوازية سوف تعدل الدستور كلما كان ذلك ضروريا حتى يسهل عليها تدعيم ديكتاتوريتها) أو أن يكون أمرا لا يعتمد عليه (فقد تعلن أن الانتخابات ، على سبيل المثال ، باطلة غير مقبولة ، وقد تحرم الحزب الشيوعي من شرعيته ، وقد تحل البرلمان الخ) .

4 – يجب ألا يفسر الانتقال السلمي الى الاشتراكية بصورة تجعله يعني فقط الانتقال عن طريق أغلبية برلمانية . فالمسألة الأساسية هي مسألة جهاز الدولة . لقد كان رأي ماركس في سبعينات القرن التاسع عشر أنه كانت في بريطانيا امكانية لاحراز الاشتراكية بالطرق السلمية نظرا لأنه ((في ذلك الوقت كانت العسكرية والبيروقراطية أقل نفوذا في بريطانيا بالمقارنة بأي قطر آخر)) . ولفترة من الزمن بعد ثورة فبراير (شباط) أمل لينين بأنه عن طريق شعار ((كل السلطة للسوفيت)) قد تتطور الثورة سلميا وتنتصر نظرا لأنه في ذلك الوقت ((كانت الأسلحة في أيادي الشعب)) . ولم يقصد ماركس أو لينين تحقيق الانتقال السلمي باستخدام جهاز الدولة القديم . لقد أوضح لينين مرارا مثل ماركس وانجلز الشهير القائل ((ان الطبقة العاملة لا يمكنها أن تستولي ببساطة على جهاز الدولة الجاهز وأن تسخره لأغراضها الخاصة .))

5 – ان الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية ليست احزابا اشتراكية . وفيما عدا أجنحة يسارية معينة فانها أحزاب تخدم البرجوازية والرأسمالية ، انها أحزاب برجوازية سياسية في قناع جديد . وموقفنا فيما يتعلق بقضية الثورة الاشتراكية يختلف اختلافا أساسيا عن موقف الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية . وهذا الاختلاف لا يجب تغطيته بأي حال من الأحوال . وتغطية هذا الاختلاف يساعد قادة الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية على خداع الجماهير ويعوقنا عن كسب الجماهير وابعادها عن نفوذ الأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية . ومع ذلك فانه في أقصى درجات الأهمية دون ريب أن ندعم عملنا فيما يختص بالأحزاب الاشتراكية – الديمقراطية وأن نسعى لتأسيس جبهة متحدة مع جماعاتها اليسارية والمتوسطة .

6 – هذا هو فهمنا لهذه المسألة . وآراؤنا مختلفة حول هذه المسألة فعلا ، ولكن نظرا لاعتبارات مختلفة ، لم نقدم آراءنا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . وطالما كان اصدار تصريح مشترك على الأبواب ، لا بد أن نوضح آراءنا . الا أن هذا لا يمنعنا من الوصول الى لغة مشتركة في مشروع التصريح . وبغرض اظهار صلة بين عبارة هذه المسألة في مشروع التصريح وبين عبارة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، فاننا نوافق على قبول المشروع المقدم اليوم من جانب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي كأساس بينما نقترح ادخال تعديلات معينة عليه .

==

2- الإنتخابات و أوهام الديمقراطية البرجوازية : تصوّروا فوز الجبهة الشعبية فى الإنتخابات التشريعية و الرئاسية لسنة 2014.

-" هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".

(كارل ماركس ؛ " **صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850** " ، ذكر فى الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، المجلّد 2).

- " و يترفّع الشيوعيّون عن إخفاء آرائهم ومقاصدهم ، و يعلنون صراحة أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها و تحقيقها إلاّ بدكّ كلّ النظام الإجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها و أغلالها و تربح من ورائها عالما بأسره."

(ماركس و إنجلز – " **بيان الحزب الشيوعي** " ، الفقرة الأخيرة)

================================

-" إنّ الإستعاضة عن الدولة البرجوازية بدولة بروليتارية لا تمكن بدون ثورة عنيفة "

(لينين ؛" **الدولة و الثورة** " - ص 23)

- " إن أشكال الدول البرجوازية فى منتهى التنوع ، و لكن كنهها واحد : فجميع هذه الدول هي بهذا الشكل أو ذاك و فى نهاية الأمر <u>ديكتاتورية البرجوازية</u> على التأكيد . و يقينا أن الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية لا بد و أن يعطى وفرة و تنوعا هائلين من الأشكال السياسية ، و لكن فحواها ستكون لا محالة واحدة : <u>ديكتاتورية البروليتاريا</u> ."

(لينين ؛" **الدولة و الثورة** " - ص 37)

=====================================

-" يعتبر الجيش ، حسب النظرية الماركسية حول الدولة العنصر الرئيسي فى سلطة الدولة. فكلّ من يريد الإستيلاء على سلطة الدولة و المحافظة عليها، لا بدّ أن يكون لديه جيش قوي ..."

(ماو تسي تونغ ؛ " **قضايا الحرب و الإستراتيجية** " ، (6 نوفمبر- تشرين الثاني- 1937)، المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

-" الواقع أنه ليس في العالم إلا حرية ملموسة وديمقراطية ملموسة، وليس هناك حرية مجردة وديمقراطية مجردة . فإذا تمتعت الطبقات المستثمِرة بحرية استثمار الشغيلة ، في مجتمع يدور فيه

النضال بين الطبقات ، حرم الشغيلة من حرية مناهضة الاستثمار . وإذا تمتعت فيه البرجوازية بالديمقراطية حرمت منها البروليتاريا والشغيلة. إن بعض البلدان الرأسمالية تسمح بوجود الأحزاب الشيوعية بصورة شرعية ، ولكن بالقدر الذي لا يؤدي إلى الإضرار بمصالح البرجوازية الأساسية ، أما إذا تجاوز الأمر هذا الحد فلن تسمح بوجودها .

إن من يطالبون بالحرية المجردة وبالديمقراطية المجردة يعتبرون الديمقراطية غاية بحد ذاتها ولا يسلمون بأنها وسيلة . قد تبدو الديمقراطية في بعض الأحيان كأنها غاية ، ولكنها ليست هي في الحقيقة إلا وسيلة فالماركسية تشير إلى أن الديمقراطية جزء من البناء الفوقي ، وأنها تدخل في باب السياسة . وهذا معناه أن الديمقراطية ، في آخر الأمر ، تخدم القاعدة الاقتصادية . ونفس التفسير ينطبق على الحرية . فالديمقراطية والحرية نسبيتان وليستا مطلقتين ، ولقد ظهرتا وتطوّرتا عبر عصور التاريخ . "

(ماو تسي تونغ - " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب** " ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1966).

=============================

-" جوهر ما يوجد فى الولايات المتحدة ليس ديمقراطية و إنّما رأسمالية - إمبريالية و هياكل سياسية تعزّز الرأسمالية - الإمبريالية . و ما تنشره الولايات المتحدة عبر العالم ليس الديمقراطية و إنّما الإمبريالية و الهياكل السياسية لتعزيز تلك الإمبريالية ."

(" **الثورة** " عدد 43 ، 16 أفريل 2006 – الفصل الأوّل من كتاب" **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** "

ترجمة و تقديم شادي الشماوي)

- " من المهمّ أوّلا أن نبيّن بالمعنى الأساسي ما نعنيه حين نقول إنّ الهدف هو الثورة ، و بوجه خاص الثورة الشيوعية . الثورة ليست نوعا من التغيير فى الأسلوب و لا هي تغيير فى منحى التفكير و لا هي مجرّد تغيير فى بعض العلاقات صلب المجتمع الذى يبقى جوهريّا هو نفسه . الثورة تعنى لا أقلّ من إلحاق الهزيمة بالدولة الإضطهادية القائمة و الخادمة للنظام الرأسمالي – الإمبريالية و تفكيكها – و خاصّة مؤسساتها للعنف و القمع المنظّمين ، و منها القوات المسلّحة و الشرطة و المحاكم و السجون و السلط البيروقراطية و الإدارية – و تعويض هذه المؤسسات الرجعية التى تركّز القهر و العنف الرجعيين ، بأجهزة سلطة سياسية ثوريّة و مؤسسات و هياكل حكم ثوريّة يرسى أساسها من خلال سيرورة كاملة من بناء الحركة من أجل الثورة ، ثمّ إنجاز إفتكاك السلطة عندما تنضج الظروف..."

(بوب أفاكيان ؛ "**العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا ، لكن بوسع الإنسانية أن تتجاوز الأفق ، الجزء الثاني** "

" **بناء الحركة من أجل الثورة** " ، " الثورة " 2011 ؛ الفصل الثالث من كتاب " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** "

ترجمة و تقديم شادي الشماوي)

مقدّمة :

سياسة العصا و الجزرة سياسة جذورها ضاربة فى تاريخ الصراع الطبقي وهي لا تبرح تتمظهر بتسميات جديدة فى عصرنا هذا ، عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية . فالدول السائدة فى وقتنا الحاضر ، والتى هي أجهزة قمع طبقة أو طبقات لأطبقة أو طبقات أخرى ، تتخذ بوجه عام شكلين هما الدكتاتوريّة المفتوحة – العسكريّة أو التيوقراطية – و الديمقراطية البرجوازية و قد تمزج بينهما حسب الظروف و الأوضاع و موازين القوى و طبيعة القوى المتعامل معها ... و فى تونس ، (و فى مصر و غيرها من البلدان أيضا) لمست الجماهير الشعبيّة لمس اليد مراوحة دولة الإستعمار الجديد بين العصا و الجزرة ، بين القمع المفضوح والسافر و الوعود الزائفة و مسرحيّة الإنتخابات و الديمقراطية و أحداث سليانة و 9 أفريل بالعاصمة و الهجوم على دور الإتحاد العام التونسي للشغل و سواها كثير و كثير جدّا و ليس أقلّه الإغتيالات السياسية ، تكشف لمن يرغب فى رؤية الحقيقة الموضوعيّة لممارسة دولة الإستعمار الجديد للديمقراطية ، بشكل من الأشكال و إلى حدود لا نودّ التوغّل فى تفاصيلها هنا ، فى صفوف الطبقات الرجعيّة و الدكتاتورية تجاه أعدائها و تجاه الجماهير الشعبية . هذا من جهة و من جهة أخرى ، نظّمت القوى الرجعية و الإصلاحية و الإمبريالية العالمية مسرحيّة إنتخابات بفضلها أصبغت الشرعيّة على السلطة و فسادها و قمعها و إضطهادها للجماهير الشعبيّة و زرعت أوهام إمكانيّة تحقيق المطالب و المصالح الأساسية لهذه الجماهير عبر الإنتخابات . و دفعت الطبقات الشعبية ثمنا باهضا سياسيّا و إجتماعيّا و إقتصاديّا لمشاركة جزء مهمّ منها فى تلك المسرحيّة .

و يقع الآن تجهيز طبخة إنتخابيّة أخرى تسعى إلى إمتصاص الغضب الشعبي و مدّ الممثّلين الجدد لدولة الإستعمار الجديد بدم جديد و نفس عميق لمدّة سنوات يمكّنهم من مزيد خداع الجماهير الشعبية و تكريس السياسات اللاوطنية واللاديمقراطية و اللاشعبية للطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية . و يهمّنا فى هذا السياق أن نتناول هذه القضيّة فى هذا المقال من زاوية جديدة بعدما تناولناها فى مقالات سالفة من عدّة جوانب و الزاوية الجديدة التى نقترحها هي المضي بمنطق اليسار الإصلاحي المتمركس إلى نهايته فنتصوّر فوز الجبهة الشعبية فى الإنتخابات التشريعية و الرئاسيّة لسنة 2014 .

1- فرضيّة مستبعدة راهنا :

قبل كلّ شيء ، نوضّح أنّنا وإن كنّا سنخوض فى فرضيّة فوز الجبهة الشعبيّة فى تلك الإنتخابات ، فإنّنا ننبّه من منطلق مادي جدلي إلى واقع أنّ هذه الفرضيّة غير ممكنة التحقّق راهنا ، غير ممكنة التحوّل إلى واقع راهنا لجملة من الأسباب المعقّدة و المتشابكة العالمية و المحلّية و السياسيّة و الإيديولوجية لعلّ أهمّها مباشرة أنّ القوى اليمينيّة لا زالت قويّة و قويّة جدّا و فاعلة على كافة المستويات تقريبا (تعزّزها قوى وسطيّة فى غالبيتها الساحقة أقرب إلى اليمين منها إلى اليسار) وهي قادرة على التحكّم إلى درجة كبيرة و بشتّى وسائلها الضخمة فى ما ستؤول إليه نتائج مسرحية الإنتخابات مثلما فعلت بشكل أو آخر فى الإتخابات السابقة (طبعا بتشكيلات و تحالفات جديدة تظلّ جوهريّا يمينية) ، و أنّ الجبهة الشعبيّة خسرت بإنشقاقاتها و أخطائها الفادحة جزءا من إشعاعها المحدود أصلا وتأثيرها لم يكتسح قطاعات واسعة من الجماهير العريضة و لم تبن قاعدة جماهيريّة صلبة . و إذن ببساطة فوز الجبهة الشعبيّة مستبعد دون أن يعني ذلك أنّها ستمحى محوا من المشهد السياسي جراء خسارة جديدة ، بالعكس ستكون عنصرا من عناصر الديكور الذى سيكمّل معزوفة " الديمقراطية " من خلال منحها بعض المقاعد فيبقى أمل الفوز يوما ما قائما و ينفخ فيه لتستمرّ عمليّة نشر أوهام الديمقراطية البرجوازية .

2- رئيس دولة الإستعمار الجديد !

لنفترض جدلا نجاح الجبهة الشعبيّة فى الإنتخابات الرئاسية نجاحا ساحقا – وهو أمر يدخل ضمن الخيال العلمي فى الأوضاع العالمية و المحليّة الراهنة – فما الذى سيحدث ؟ بمعنى هل ستحقّق هذه الجبهة " الإستقلال " الوطني و تعالج المشاكل الجوهريّة التى تعاني منها الطبقات الشعبية ، مثلا ؟

فى الأساس و قبل الإنتخابات و قبل الحصول على تأشيرة أي حزب من الأحزاب للعمل القانوني ، يتم الإمضاء على إحترام مؤسسات دولة الإستعمار الجديد و إلتزاماتها فى علاقاتها الخارجيّة و إتفاقيّأتها الدوليّة إلخ و فى توجّهاتها الإقتصادية المركزية ... وبالتالى ، قبل أن يبلغ ممثّل الجبهة الشعبيّة سدّة الرئاسة ، يكون قد إلتزم بحدود معيّنة أو لنقلها بكلمات أخرى بخطوط حمراء تجعله تحت طائلة القانون الجاري به العمل و رجل دولة ، رجل دولة الإستعمار الجديد يتحرّك ضمن المجال المتاح له دون أن يخرج عن نطاق دولة الإستعمار الجديد . و فى حال إنتخابه رئيسا للدولة يكون رئيس دولةالإستعمار الجديد لا أكثر و لا أقلّ مهما إختلف نوعيّا أو كمّيا عن سابقيه فى الخطاب والبرنامج و التاريخ و هكذا .

و لسائل أن يسأل ماذا لو تنكّر ممثّل الجبهة الفائز فى الإنتخابات الرئاسيّة لتعهّداته و حاول شقّ عصا الطاعة والقفز فى الهواء قفزة بهلوانية ليهدّد بقرارات أو برامج أو سياسات المصالح الجوهريّة لدولة الإستعمار الجديد و الطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية التى تمثّلأ هذه الدولة مصالحها و تخدمها ؟

للجواب شقّان . أوّلا ، يعدّ هكذا إنقلاب أضغاث أحلام لا غير . و من له أدنى المعطيات عن مواقف الجبهة الشعبية و سياساتها فى السنوات الأخيرة و هو ملمّ بالجوهر الإصلاحي لحزب العمّال التونسي منذ تأسيسه يدرك جيّدا مدى صحّة ما نذهب إليه . فعلى سبيل المثال ، هل شقّت هذه الجبهة الإصلاحيّة عصا الطاعة عند إغتيال قادتها فى مناسبة أولى و ثانية ؟ لا . و الأعدهى أنّها تورّطت فى سلسلة تنازلات لا تحصى حفاظا على " الوحدة الوطنية " و " إنقاذا للبلاد " (إقرأ ، إنقاذ دولة الإستعمار الجديد) عبر " الحوار الوطني " ؛ و التحالف مع قوى رجعيّتها معلومة و هلمجرّا .

و فى البداية ، فى خطابها التحريضي الشفوي (إجتماع قصر المؤتمرات بالعاصمة مثلا) كانت ترفع شعار " إسقاط النظام " و تتاجر به و عمليّا و شيئا فشيئا لم تفعل سوى المساهمة فى صيانة النظام القائم و قدّمت له التنازلات وراء التنازلات . فلا شكّ إذن فى أن يكون الإنقلاب على إلتزامات رجال دولة الإستعمار الجديد من أضغاث الأحلام .

و الشقّ الثاني من الجواب يكمن فى عمليّة بسيطة – فى الأوضاع العالمية و المحلّية الراهنة - تجريها الطبقات الرجعية المتحالفة مع الإمبريالية العالمية لإزاحة هذا الرئيس المتنطّع(إن إنقلب على إلتزاماته) بالطرق التآمريّة المعهودة و المبتكرة جميعها ، اللّميّة منها و العسكرية و ما جدّ فى مصر خير دليل على ذلك .

و مجمل القول أنّه فى أفضل الحالات ، حالة فوز ممثّل الجبهة الشعبيّة فى الإنتخابات الرئاسيّة سيتحوّل من رجل دولة الإستعمار الجديد إلى رئيس دولة الإستعمار الجديد فيخدم رئيسيّا أراد ذلك أو ابى مصالح الرجعيّة و الإمبريالية و يساهم أكثر فى تشويه صورة الماركسية لدى الجماهير التى سيشاهد و تلمس عن كثب أنّ مثل هذه الوجوه " اليساريّة " تسلك ذات السياسات الجوهرية الرجعية الإضطهادية و الإستغلالية لدولة الإستعمار الجديد .

3- مجلس / برلمان صوريّ لإصباغ الشرعيّة على السياسات الرجعية :

لنفترض جدلا هنا أيضا نجاح الجبهة الشعبيّة فى كسب غالبيّة المقاعد فى الإنتخابات التشريعيّة لسنة 2014 – وهو أمر غير وارد واقعيّا فى الوقت الراهن لأسباب شرحنا أهمّها أعلاه .

لدى المثقّفين المتابعين للشأن السياسي معرفة جيّدة و أحيانا دقيقة بكيفيّة سير البرلمانات . ففى تونس ، على سبيل المثال ، من المعلوم كيف أنّه منذ عهد الحبيب بورقيبة إلى عهد زين العابدين بن علي ، كانت القرارات المصيريّة و الحاسمة تتّخذ خارج قبّة هذه المؤسسة و ما على هذه الأخيرة إلاّ تزكيتها (و التاريخ يزخر بالأمثلة المسجلة لذلك) . و الشيء نفسه إنطبق على المجلس التأسيسي الذى كانت تتحكّم فيه الترويكا بقيادة حزب النهضة / النكبة الإسلامي الفاشيّ فكانت القرارات و السياسات الأهمّ تتخذ فى إجتماعات مغلقة لقيادة هذه الترويكا بالتنسيق مع السفارات الأمريكية و الفرنسية أو فى إطار " حوار وطني " تفرض عليه الترويكا شروطها وترعاه الإمبريالية العالمية .

و قد إضطرّت إضطرارا هذه القوى المتحكّمة فى المجلس التأسيسي فى عدّة مناسبات إلى التراجع عن قرارات و سياسات معيّنة تحت ضغط الشارع و نضالات الجماهير عبر البلاد قاطبة أحيانا . و قد سجّلت الجماهير الشعبيّة مدى السخافات التى كانت تميّز سير هذا المجلس و مدى " ديمقراطيّته " و فساده و خدمته للرجعيّة و إستهانته بمعاناة الجماهير و تطلّعاتها .

و من الأكيد أنّ حصول الجبهة الشعبيّة على غالبيّة المقاعد فى الإنتخابات التشريعيّة سيخلق وضعا مختلفا شكليّا إلاّ أنّه لن يكون مختلفا نوعيّا جوهريّا فى ما يتّصل بأمّهات قرارات دولة الإستعمار الجديد و سياساتها و توجّهاتها . (و لن نتطرّق هنا لإمكانية الصراعات فى صفوف الجبهة و تصدّعات محتملة و إنقلاب عدد صغير أو كبير من ممثّليها على برنامجها الإصلاحي أصلا).

الإلتزامات القانونيّة لأحزاب الجبهة الشعبيّة و برامجها الإصلاحيّة أصلا لن تسمحا لها بتجاوز الخطوط الحمراء لتسلك نهجا يخدم مصالح الجماهير الشعبيّة و يضرّ بالمصالح الأساسيّة للطبقات الحاكمة و الإمبريالية العالمية . و إن تجرّأ حتى جزء من ممثّلى هذه الجبهة على ذلك و كان بمقدوره تكوين أغلبية و الإنقلاب على التعهّدات و لو جزئيّا) سيتعرّض قبل كلّ شيء إلى ردود فعل قويّة من داخل الجبهة ذاتها ، ردود فعل قد تصل حدّ تجميد عضويّة هؤلاء أو طردهم من صفوفها ، و ستتعرّض الجبهة إن لم تقم باللازم إلى شيء من الضغوطات المحلّية و العالميّة ووسائل شراء الذمم و التهديد و الوعيد و المؤامرات السياسية و إن لم يفلح ذلك فى تركيعها و أرجاعها إلى جادة الصواب يتمّ اللجوء إلى العصا الغليظة أو إلى العصا و الجزرة معا أو المراوحة بينهما .

جهاز من أجهزة دولة الإستعمار الجديد ليس بوسعه إلاّ خدمة مصالح الطبقات الرجعيّة و الإمبريالية الواقفة وراء هذه الدولة و فى حال خروجه عن السيطرة يتقدّم العامود الفقري للدولة أي الجيش ليعيد الأمور إلى نصابها بأن يلغي هذه المؤسسة مؤقّتا أو يعيد تشكيلها وفق معايير جديدة إلخ . و لنا فى ما حدث فى مصر دليل على ذلك (مع عدم التغافل عن الفرق بين الفاشيين الإسلاميين و اليسار الإصلاحي و إن كان كلاهما يقدّمان أجلّ الخدمات لدولة الإستعمار الجديد).

<u>4- ماذا أثبتت تجارب السنوات الأخيرة ، عربيّا ؟</u>

ننطلق من تونس أين أثبتت التجربة منذ الإنتخابات الرئاسيّة الأخيرة أن الرئيس المنتخب كان محدود الصلوحيّات عن وعي و دراية منه جراء تحالفه مع النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة و كان يخضع بلا شكّ لإملاءات الترويكا التى يقودها الإسلاميّون الفاشيّون و التى تتحرّك تبعا لإلتزاماتها تجاه الإمبريالية العالمية . و عن حق أطلق عليه عموم الشعب " الطرطور " الذى كان هو و الترويكا فى خدمة دولة الإستعمار الجديد حتى حين كانت تعتدى صراحة و بوقاحة على " حقوق الإنسان " التى كان ينادى سابقا الرئيس " الطرطور " و يعدّ نفسه فارسا من فرسانها . فنستخلص مرّة أخرى أنّ حتى الذين كانوا لا يكفّون ليل نهار عن التبجّح بالدفاع عن " حقوق الإنسان " يصمتون صمت القبور لمّا تساد أمامهم و يتعلّق الأمر بتطبيقهم لإلتزامات تحالفات سياسية رجعية .

و الجبهة الشعبيّة وهي خارج الحكم رأيناها تقدّم التنازلات تلو التنازلات للرجعية – و حزب العمّال التونسي مضى أشواطا كبيرة فى ذلك إيديولوجيّا و سياسيّا و قد خضنا فى هذا فى مقالات سابقة – و تعقد تحالفات رجعيّة ولا يتوقعنّ أحد يعتبر نفسه واقعيّا أن بلوغ رئاسة دولة الإستعمار الجديد لن يفرض مزيد التنازلات التى تطلبها الدوائر الرجعيّة و الإمبريالية ضمانا لمصالحها الأساسية .

و أثبت الواقع المعيش أنّ المجلس التأسيسي كان لعبة بين أيدى تحالف يقوده الإسلاميّون الفاشيّون الذين حاولوا من خلاله تمرير أقصى ما يمكن تمريره من مفاهيمهم و رؤاهم و برامجهم ليصبغوا دولة الإستعمار الجديد بلونهم و يعدّوا العدّة لدفعها نحو إتّخاذ شكل فاشي تيوقراطي كما سعى إلى ذلك الإخوان المجرمون الإسلاميّون الفاشيّون فى مصر . و كانت المصالح الشعبيّة الأساسيّة آخر شغل من مشاغل غالبيّة أعضاء ذلك المجلس و كيف لا تكون و هم ملتزمون بالبرنامج الإقتصادي و الإجتماعي الذى أملته الإمبريالية العالمية و نال موافقة الطبقات الرجعية الحاكمة زمن بن علي و طوّره السبسي و نقلته عنه النهضة / النكبة الإسلامية الفاشية نقلا تقريبا حرفيّا .

لقد كان هذا المجلس أيضا وسيلة مزيد تفقير الجماهير و إثراء الإنتهازيين و الرجعيين .

و لا نخال الجبهة الشعبيّة قادرة على أو تتجرّأ على (وهي لا تنوى ذلك حسب برامجها) كسر طوق النظام الإقتصادي و الإجتماعي السائد و مواجهة الطبقات الرجعيّة و الإمبريالية و الإنقلاب على إلتزاماتها تجاه دولة الإستعمار الجديد .

و فى مصر ، سمحت الإمبريالية و الطبقات الرجعية و جيشها للإخوان الإسلاميين الفاشيين بالمشاركة فى السلطة بشروط حدّدها بكلّ وضوح الجيش ، العامود الفقري لدولة الإستعمار الجديد و ترك لهم مجال الإلتفاف على النضالات الشعبيّة . و لمّأ سعى الرئيس المنتخب إلى إصباغ الدولة شيئا فشيئا بصبغة دينيّة تيوقراطية صر يحة موسّعا من سلطاته إلخ تململ جزء من الشعب و إستغلّ الجيش الوضع لينظّم إنقلابا بموجبه عاد إلى دفّة الحكم و أجرى إنتخابات جديدة على مقاسه و بمعاييره ليجعل حكمه شرعيّا .

و السلطة التشريعيّة الإخوانية الإسلاميّة الفاشيّة التى وقفت وراء الرئيس المنتخب و الذى وقعت إزاحته لم تخدم مصالح الجماهير الشعبيّة بل واصلت خدمة الطبقات الرجعيّة عموما و فئات منها القريبة منها خاصة و ما إنفكّت تخدم عمليّا ، على عكس ما تتشدّق به ، مصالح الإمبريالية العالمية و الصهيونية بشكل سافر فضحته شعبيّا المواقف و القرارات المتّصلة بالكيان الصهيوني .

و فى ليبيا و العراق لا الرؤساء و لا المجالس التشريعيّة (مهما إختلفت أسماؤها و تنوّعت) خدمت مصالح الجماهير الكادحة بل ظلّت فى خدمة طبقات رجعيّة – أو فئات رجعيّة دون أخرى – متحالفة مع الإمبريالية العالمية ... و بات جليّا فى ليبيا و العراق درس أنّ السلطة تنبع من فوّهة البندقيّة و من يملك جيشا يحكم فى المناطق التى تقع تحت سيطرة جيشه و لو أنّ الجيوش المتنازعة هناك جميعها جيوش رجعية .

5- و ماذا أثبتت التجارب العالمية ؟

بهذا المضمار نودّ أن نقتطف فقرات من النقطة الرابعة بالفصل الخامس من كتابنا " **حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحدّ حزب ماركسي مزيّف** " نعتقد أنّها تفى بالغرض و ننصح الباحثين عن الحقيقة دراسة الكتاب مليّا :

2- **" إلى أين تفضى الأوهام الديمقراطية البرجوازية ؟ : دروس من التجارب العالمية :**

... لقد سبق لدولة الإستعمار الجديد فى تونس أن وظّفت الأوهام الديمقراطية البرجوازية فى فترة مزالي و فى السنوات الأولى من حكم بن علي وهي اليوم وعلى نطاق أوسع توظّف ذات الأوهام الديمقراطية البرجوازية لتضليل الشعب و مغالطته. فى الماضي ، لم تحرّر هذه الأوهام الشعب و لن تحرّره لا حاضرا و لا مستقبلا بل بالعكس ساهمت فى تأبيد الدولة الراعية لهذه الأوهام . و الشيء نفسه حصل و يحصل فى أكثر من بلد عربي ، مغربا و مشرقا.

و نظرا لكوننا شيوعيين ماويين نسلّط شيئا من الضوء بداية على تجربة ماوية حديثة جدّا إغتالتها أوهام الديمقراطية البرجوازية و نقصد التجربة النيبالية. فقد قاد الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية و حرب الشعب هناك وفق المبادئ الماوية و حقّق إنتصارات عظيمة بالغا بعد سنوات عشر (1996-2005) من التضحيات الجسام و المعارك الشرسة على جميع الأصعدة تحرير ما يناهز الثمانين بالمائة من البلاد و بناء سلطة جديدة و جيش شعبي قويّ و تحطيم جزء هام من الدولة القديمة ، دولة الإقطاع و الكمبرادور المتحالفين مع الإمبريالية. غير أنّه لصعوبة الواقع الموضوعي و تعقّده و لقصور فى الرؤية المادية الجدلية و لقراءة خاطئة للتجارب الإشتراكية السابقة و الدروس التى ينبغى إستخلاصها منها ، طفقت قيادة الحزب تنزلق فى الإنحرافات الخطيرة و تبتعد عن المنهج القويم و السليم للثورة و سقطت فى 2006 فى مستنقع الديمقراطية البرجوازية فتحالفت مع أحزاب برجوازية صغيرة و أخرى برجوازية كمبرادورية لتشارك فى النهاية فى لعبة الإنتخابات و إيقاف حرب الشعب و التعهّد بحلّ جيش التحرير الشعبي و أجهزة السلطة و الدولة الجديدة . و توصّل الحزب النيبالي إلى الفوز فى الإنتخابات و تشكيل حكومة مع حلفاء لكن فى نفس الوقت جرى تفكيك السلطة الجديدة ، الدولة الجديدة و وقعت خيانة الثورة. و النتيجة اليوم بعد عدّة سنوات ، تحوّل هذا الحزب الذى بات تحريفيّا برجوازيّا منذ ندوته المنعرج سنة 2005 إلى أداة فى خدمة دولة الإستعمار الجديد التى لم يحطّمها فحطّمته و جعلته يعمل على إصلاحها و ترميمها تحسينها لا غير.

و أدّت الأوهام البرجوازية و التحريفية فى بلد آخر ، أندونيسيا فى أواخر ستينات القرن العشرين إلى سلوك الحزب الشيوعي هناك طريق البرلمانية بدعوى تدعيم الشقّ الوطني فى السلطة و إنتهت العملية بمأساة و يالها من مأساة : إغتيال و قتل عشرات الآلاف من الشيوعيين و الشيوعيات و غيرهم على أيدى جيش دولة الإستعمار الجديد.

و إلى الشيلي زمن آلاندي أين إتبع الماركسيون المزيفون الطريق السلمي لتداول السلطة و توصّل التحالف بين هؤلاء و الإشتراكيين إلى الإنتصار فى الإنتخابات و حاول الرئيس المنتخب الجديد الإقدام على إصلاحات ، و نعيدها إصلاحات ، مثل تأميم مؤسسات مسّت إلى درجة معيّنة المصالح الجوهرية لدولة الإستعمار الجديد و الطبقات الواقفة وراءها فأسرعت الرجعية و الإمبريالية إلى إستخدام أهمّ جهاز من أجهزة الدولة و عمادها الجيش لتنظّم إنقلابا قاده بينوشي وتسبّب فى سفك دم الآلاف و تشريد مئات الآلاف و إغراق البلاد فى جوّ من الإرهاب الفاشستي دام عقودا . و لمّا شاخ بينوشي و إهترأت سلطته عالجت الرجعية و الإمبريالية الأمر بمرحلة إنتقال ديمقراطي برجوازي لم يغيّر من جوهر النظام الإقتصادي - الإجتماعي شيئا و ظلّ الإضطهاد و الإستغلال الخبز اليومي للبروليتاريا و الكادحين فى الشيلي.

بهذا القدر من الأمثلة نكتفى لنستنتج أنّ فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ، لا تجارب " الإنفتاح" و لا " الإنفتاح الديمقراطي" و لا تجارب " الإنتخابات الحرّة و النزيهة " أنجبت "ديمقراطية " أو " ثورة ديمقراطية " أو " ثورة ديمقراطية إجتماعية " بمعنى الديمقراطية البرجوازية من النمط المشاهد فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية ، كلّ ما فعلته هو مغالطة البروليتاريا و الجماهير الكادحة و تأبيد إضطهادها و إستغلالها ، علما و أنّ الديمقراطية البرجوازية القديمة عُدّت منذ عقود غير ممكنة التحقيق فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية مثلما بيّن ذلك ماو و شرحنا فى مقالنا " الديمقراطية القديمة و الديمقراطية الجديدة " المثبت كملحق لهذا العمل.

و حقّا لا مناص من إعلاء حقيقة لخّصها ماو تسى تونغ فى جملة :

" بدون جيش شعبي ، لن يكون هناك شيء للشعب . "

(" **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ**" ، الصفحة 105) . (إنتهى المقتطف)

و هكذا ، الجبهة الشعبيّة بأحزابها و منظّماتها المكوّنة لها ، يلعبون بالنار التى قد تحرقهم – و قد حرقت بعدُ بعض القيادات - و ينشرون الأوهام بصدد طبيعة الدولة و الديمقراطية / الدكتاتورية البرجوازية ليقنعوا المناضلين و المناضلات و الجماهير الواسعة بما لا يتناسب والواقع ، بأوهام ديمقراطية برجوازية تحجب لبّ حقيقة الديمقراطية / الدكتاتوريّة البرجوازية و حقيقة الدولة الطبقيّة فيتوهّم المناضلون و المناضلات أنّهم يحاربون الرجعيّة و الإمبريالية و هم فى الواقع يخدمونهما و تتوهّم الجماهير أنّ هذا الحزب الإصلاحي أو ذاك و هذه الجبهة الإصلاحيّة أو تلك ستعالج المشاكل الأساسية للإضطهاد و الإستغلال فى المجتمع لكنّها ستصاب مرارا و تكرارا بالإحباط – إن لم تتفطّن لمسرحية الإنتخابات و تسلك طريقا شيوعيّا ثوريّا بمقدوره أن يؤدّي فعلا إلى تلبية حاجيات الجماهير الشعبيّة و تحقيق طموحاتها .

6- طبيعة الدولة : جهاز قمع طبقة (أو طبقات) لطبقة (أو طبقات) أخرى :

و بما أنّنا لا نرغب فى تكرار ماقلناه فى مواضع و مقالات أخرى بشأن هذه المسألة ، نكتفى بالتذكير بجزء لا غير ممّا خطّه قلمنا فى ذات كتابنا عن حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد كحزب ماركسي مزيّف :

" راينا أن لينين من مبرزي أفكار ماركس بشأن تحطيم الدولة القديمة و إنشاء دولة جديدة على أنقاضها تجسّد دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية و رأينا أن الحزب الموحّد يتنكّر لضرورة تحطيم الدولة القديمة رغم أنّه يتكلّم عن نظام الإستعمار الجديد .

قال لينين : " **برأي ماركس ، الدولة هي هيئة للسيادة الطبقية ، هيئة لظلم طبقة من قبل طبقة أخرى ، هي تكوين " نظام" يمسح هذا الظلم بمسحة القانون و يوطده، ملطّفا إصطدام الطبقات.**" (لينين ، " **الدولة و الثورة** " ، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 8).

ماركسيّا و لينينيّا ، الدولة ليست جهازا محايدا بل هي جهاز لسيطرة طبقة (او طبقات) على طبقة (أو طبقات أخرى) و دولة الإستعمار الجديد فى تونس دولة طبقية تمثّل و تخدم مصالح الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية العالمية . بيد أنّ هذا الحزب الجديد و قياداته المتقلّبة مع كلّ ريح ينزعون عن

الدولة طابعها الطبقي كلّما عنّ لهم ذلك خدمة لخطّ الحزب الإيديولوجي و السياسي الإنتقائي . فالهدف الذى يكرّرونه هو" تفكيك الدكتاتورية " و آليّاتها ما يملى علينا التوقّف وقفة لنقول لأصحاب هذا الحزب: أيها المحترمون متى لم تكن الدولة " دكتاتورية "؟ كلّ دولة أداة قمع و سيطرة طبقية و بالتالي دكتاتورية، و حتّى الدولة الإشتراكية الحقيقية ذاتها التى تسمّى دكتاتورية البروليتاريا أداة قمع و سيطرة طبقية و إن كانت تختلف عن الدول الأخرى فى كونها تسعى جاهدة من أجل تجاوز الإختلافات الطبقية و علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و الأفكار المتناسبة معها ، التى أفرزت الإنقسام إلى طبقات و من ثمّة هي تسعى جاهدة من أجل إضمحلالها و إضمحلال أي جهاز مختصّ فى القمع الطبقي .

" إن أشكال الدول البرجوازية فى منتهى التنوع ، و لكن كنهها واحد : فجميع هذه الدول هي بهذا الشكل أو ذاك و فى نهاية الأمر <u>ديكتاتورية البرجوازية</u> على التأكيد . و يقينا أن الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية لا بد و أن يعطى وفرة و تنوعا هائلين من الأشكال السياسية ، و لكن فحواها ستكون لا محالة واحدة : <u>ديكتاتورية البروليتاريا</u> ."

(لينين ؛ " **الدولة و الثورة** " ، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 37)." (إنتهى المقتطف)

و إذن إن فازت الجبهة الشعبية فى الإنتخابات الرئاسيّة والتشريعيّة – و هذا كما قلنا ليس أكثر من إفتراض ، من إمكانيّة غير قابلة للتحوّل إلى واقع فى الأوضاع العالمية و المحلّية الراهنة و لأسباب شرحنا أهمّها فى ما مرّ بنا – فإنّها ستمارس سلطة دولة الطبقات الرجعيّة ضد الطبقات الشعبيّة شاءت ذلك أم أبت ، حتى و إن أدخلت بعض الإصلاحات و التعديلات الطفيفة على التوجّهات الجوهريّة للخيارات السياسيّة و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافيّة لهذه الدولة ؛ و إلاّ سيقع الإنقلاب عليها بطريقة أو أخرى و إستبعادها من الحكم بصورة أو أخرى .

<u>7- الطبيعة الطبقيّة للديمقراطية / الدكتاتوريّة :</u>

تعلّمنا المادية الجدليّة كما طوّرها لينين و خاصّة ماو تسيى تونغ أنّ لكلّ شيء و لكلّ ظاهرة أو سيرورة طبيعة مزدوجة و فى الدول الطبقيّة كلّ ديمقراطية دكتاتورية بمعنى أنّها ديمقراطية بالنسبة لطبقات معيّنة و دكتاتوريّة ضد طبقات أخرى فالديمقراطية البرجوازية ديمقراطية بالنسبة للطبقات الحاكمة و دكتاتورية ضد البروليتاريا و الطبقات الشعبية ؛ و الديمقراطية البروليتارية ديمقراطية للطبقات الشعبية بقيادة البروليتاريا الثورية و دكتاتورية ضد البرجوازية و أعداء الشعب . لهذا إخترنا و إصطفينا منذ مدّة الآن إستعمال مصطلح الديمقراطية / الدكتاتوريّة كتعبير مركّز عن هذه الطبيعة الطبقيّة المزدوجة لكلّ ديمقراطية .

و مثلما حرّف و يحرّف المتمركسون تعاليم ماركس و إنجلز و لينين و ستالين و ماو تسى تونغ بشأن الدولة ، حرّفوا و يحرّفون أيضا تعاليمهم بشأن الديمقراطية التى يحوّلونها بعصا سحريّة إلى غاية فى حدّ ذاتها (لمغالطة الجماهير الواسعة) و يطمسون طبيعتها الطبقيّة بما يصبّ فى نهاية المطاف فى مصلحة الطبقات الرجعية و الإمبريالية السائدة . و قد أوردنا فى ذات كتابنا المذكور أعلاه و تحديدا بالنقطة الثانية من الفصل الثاني الفقرات التالية نطلعكم عليها هنا لأنّها فى تقديرنا تصيب كبد الحقيقة فى ما يتعلّق بالموضوع الذى نحن بصدده :

" الديمقراطية "الخالصة " أم الديمقراطية الطبقية ؟

فى هذا الباب أيضا كسائر التحريفيين و البرجوازيين المروّجين لحياد جهاز الدولة يطعن مؤسّسو الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد الطبيعة الطبقية للديمقراطية مثلما طعنوا الطبيعة الطبقية للدكتاتورية . و قد بلغت بهم الهلوسة البرجوازية الصغيرة حدّ إعتبار ما جدّ فى تونس " ثورة ديمقراطية " و " ثورة ديمقراطية إجتماعية " دون إضافة أي نعت طبقي (هذا بقطع النظر عن كون ما جدّ ليس ثورة أصلا بل هو إنتفاضة شعبية و قد حبّرنا بعض الصفحات من قبل بهذا المضمار.) و قد بلغ بهم الإستهتار بالحقيقة و الغرق فى مستنقع أوهام الديمقراطية البرجوازية أن جعلوا من " الديمقراطية " فى عداء سافر للينينية ، فى الصفحة 6 من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي " مطلب البشرية جمعاء" و " مفهوما إنسانيا كونيا " .

و من يسلك نهج نزع الطبيعة الطبقية للديمقراطية و يغالط المناضلات و المناضلين و الجماهير الشعبية العريضة يحوّر الماركسية تبعا للإنتهازية و بالتأكيد ليس من تلامذة لينين و إنّما من أعدائه فلينين كان صارما حاسما فى فهمه الطبقي لطبيعة الديمقراطية :

" طالما هناك طبقات متمايزة ، ـ و طالما لم نسخر من الحسّ السليم و التاريخ ، ـ لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة" ، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية الخالصة" ليست فقط صيغة جاهلة تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء و لا أجوف، لأنّ الديمقراطية، ستضمحلّ ، إذ تتطور فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة، و لكنها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة".

إنّ " الديمقراطية الخالصة " ليست سوى تعبير كاذب للبيرالي يخدع العمّال . إنّ التاريخ يعرف الديمقراطية البرجوازية التى تحلّ محلّ النظام الإقطاعي ، و الديمقراطية البروليتارية التى تحلّ محلّ الديمقراطية البرجوازية ")."

و إذا و بإختصار شديد بكلمات لينين ، مفهوم مؤسسى الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد و كوكبة نقّاد الشيوعيّة الثورية من أمثالهم " صيغة جوفاء و لا أجوف " و " تعبير كاذب للبيرالي يخدع العمّال ". " (إنتهى المقتطف) .

و من هنا الديمقراطية / الدكتاتورية التى تمارسها اليوم دولة الإستعمار الجديد هي ديمقراطية الطبقات الرجعيّة والإمبريالية العالمية وهي ديمقراطية / دكتاتورية موجّهة فى الوقت نفسه و بالضرورة فى المجتمع الطبقي ضد الجماهير الشعبيّة . هي ديمقراطيّة فى صفوف الرجعية و الإمبريالية و دكتاتوريّة ضد أعدائهما ، ضد الطبقات المستغَلّة و المضطَهَدة . هذه هي الديمقراطية / الدكتاتورية التى يريد الإصلاحيّون من المناضلينو المناضلات و الفئات و الطبقات الشعبيّة الإيمان بها والتى تريد الجبهة الشعبيّة الركوع لها و تقديسها و خدمتها . هذه هي الأوهام الديمقراطية البرجوازية التى غرق فيها الإصلاحيّون و يبغون إغراق الجميع فيها .

8- ما فهمه الإسلاميّون الفاشيّون و لا يريد فهمه المتمركسون :

نستهلّ هذه النقطة بالإشارة إلى مواقف شهيرة لزعيم حركة النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة فى السنوات الأخيرة . و لعلّ القرّاء تذكّروا بعدُ ما صرّح به فى فيديو راج كثيرا على شبكة التواصل

الإجتماعي و أسال الكثير من الحبر فى الجرائد و نقصد تصريحاته فى لقاء له مع مجموعة من " السلفيين " (إسلاميين فاشيين آخرين) ، من أنّ عليهم الإنتظار قليلا وعدم المضي بسرعة نحو إعلان إمارات إسلامية (أو " الخلافة السادسة " – حسب ما جاء على لسان حمّادي الجبالي فى الساحل زمن كان وزيرا أوّلا) لأنّ الجيش غير مضمون بعدُ . لقد أدرك الظلاميّون حقيقة كثّفها ماو تسى تونغ فى جملة شهيرة و لا أشهر هي **" من فوّهة البندقية تنبع السلطة السياسية "** .

و عليه يجب على الشيوعيين أن يدركوا حقيقة أنّه لكي تظفر ثورة حقيقة و ننتصر على أعداء الجماهيرالشعبيّة ، فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ، هناك حاجة موضوعيّة إلى :

" حزب قوي النظام مسلّح بالنظرية الماركسية - اللينينية ، يستخدم أسلوب النقد الذاتي و يرتبط بجماهير الشعب ، و جيش يقوده مثل هذا الحزب ، و جبهة متحدة تضمّ مختلف الطبقات الثورية و الجماعات الثورية و يقودها مثل هذا الحزب - هذه هي الأسلحة الرئيسية الثلاثة التى ننتصر بها على العدوّ. "

(ماو تسى تونغ ؛ " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" (30 يونيو – حزيران – 1949) ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الرابع.)

فتجربة السودان و بعدها تجربة الجزائر (و غيرها من التجارب الأخرى) علّمت الإخوان المجرمين ، الإسلاميين الفاشيين أنّه لقيام دولة يحكمونها هم ثمّ' حاجة إلى جيش موالي لهم يكون قوامها و عامودها الفقري .

وقد أعرب زعيم النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة قبل ذلك عن فكرة صارت معروفة و متداولة هي أنّ الأفكار تحتاج إلى قوّة تسندها و لعمرى دلالة ذلك لا أجلى منها .

وقد سبق أن لجأت هذه الحركة الإسلاميّة الفاشيّة إلى العنف و تشكيل مليشيات لتفرض سلطتها و أفكارها و رؤاها وبرامجها و لتتحكّم فى جزء هام من الجامعة التونسية فى ثمانينات القرن العشرين . و لا تزال قيادات منها تفتخر بالعمليّات العنيفة التى نفّذتها الحركة فى أكثر من مكان داخل الجامعة التونسية وخارجها . و أضف إلى ذلكأنّها وهي فى السلطة و تترأس الحكومة و تصدر الأوامر لقوّات القمع لم تتوانى عن تشكيل مليشياتها الخاصة التى عاثت فى الأرض فسادا (من ذلك وقائع 9 أفريل بالعاصمة تونس و الهجوم على دورالإتحاد العام التونسي للشغل و تعنيف و تهديد المناضلين و المناضلات) . و إلى يومنا هذا ، ما برحت هذه الحركة الفاشيّة تشكّل مليشيات تنشط حاليّا بشكل سرّي نوعا ما .

و ما إنفكّت هذه الحركة الإخوانيّة الإسلامية الفاشيّة تمدّ يد العون لجناح آخر من الإسلاميين الفاشيين أخذ يشكّل عمليّا جيشا لإقامة إمارات بهدف بناء دولة إسلامية هو " أنصار الشريعة " و تنسّق معه و تعبّد له طريق التسلّح و إرتكاب الإغتيالات و التموقع فى مناطق جبليّة معيّنة و تحميه من العقاب القانوني و تهرّب عناصره إن لزم الأمر ...لأنّ " الجيش " ، جيش دولة الإستعمار الجديد و من ورائه غالبيّة الطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية لم يتبنّى مشروعهم الذى يسعون لفرضه بالطرق جميعها تبنّيا تاما فيعملون مع أجنحة أخرى إسلاميّة فاشيّة على إضعافه و تشتيت قواه ليزداد الإسلاميّون الفاشيون قوّة حتّى عسكريّا فتضطرّ الجيش إلى تقديم تنازلات أو الإتفاق معهم أو إلحاق الهزيمة به و هدفهم هو إقامة دولة تيوقراطية (" خلافة سادسة " ، قال حمّادي الجبالي و يردّها الكثير من الإسلاميين الفاشيين) كشكل من أشكال دول الإستعمار الجديد التى لا تقطع مع الإمبريالية العالمية بل تعمل فى إطارها النظام الإمبريالي العالمي كما هو الحال فى إيران أو السعوديّة إلخ .

لقد أدرك الظلاميّون حقيقة طبيعة الدولة الطبقيّة و طبيعة الجيش و من ثمّة سعوا ويسعون جاهدين إلى إستمالة جيوش دول الإستعمار الجديد أو تعويضها بجيش يكون دعامة دولهم الأوتوقراطية الإسلامية الفاشية ، بينما يغرق المتمركسون فى اللهاث وراء سراب و أوهام الديمقراطية البرجوازية و يديرون ظهرهم للطبيعة الطبقيّة للدولة و للجيش و الديمقراطيّة فيخونون المصالح الطبقيّة الأساسية للطبقات الشعبيّة و طموحاتها و يخونون الثورة البروليتارية العالمية وهدفها الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي بما يضمن تحرير الإنسانيّة من كافة أنواع الإضطهاد و الإستغلال الجندري و الطبقي والقومي .

و لا يفوتنا هنا أن نثير سؤالا بحجم الجبال فى إعتقادنا ألا وهو ماذا سيفعل المتمركسون الإصلاحيّون الغارقون فى أوهام الديمقراطيّة البرجوازيّة لو خيّرت الطبقات الرجعية و الإمبريالية وضع مقاليد السلطة بين أيدى الجيش أو ساند الجيش (و من ورائه الطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية) إرساء دولة أوتوقراطية دينية سدّا للطريق أمام تنامي موجات حركة ثوريّة أو تصدّع صفوف التحالف الطبقي الحاكم ، كما حصل ذلك فى السودان فى ثمانينات القرن الماضي ، أو تمكّنت المجموعات المسلّحة الإسلامية الفاشيّة من فرض نفوذها و تبخّرت أوهامهم الديمقراطية البرجوازية ؟ نترقّب من هؤلاء إجابات إن كانت لهم الجرأة على نقاش هذه النقطة المتعلّقة بجيش دولة الإستعمار الجديد و ضرورة جيش ثوري لبناء دولة جديدة ثوريّة .

9- التحريفية و الإصلاحية و علاقة البنية الفوقيّة بالبنية التحتيّة :

لن نتعمّق هنا فى بحث هذه المسألة من كافة جوانبها و بالعودة إلى المصادر الماركسية الكلاسيكية و نقد التحرفيين إلخ ، حسبنا هنا أن نشير بوضوح و إن بشكل مقتضب إلى تشويه المتمركسين العلاقة المادية الجدلية بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة خدمة لمآربهم الإصلاحية البرجوازية .

معلوم ماركسيّا و ماديّا جدليّا أن واقع الناس هو الذى يحدّد أفكارهم و أنّ البنية التحتيّة تحدّد البنية الفوقيّة ومن الإضافات الخالدة لماو تسى تونغ هو تشديده على مدى العلاقة الجدلية للبنيتين و تأثير البنية الفوقية فى البنية التحتيّة لا سيما فى المجتمع الإشتراكي لعوامل ليس هنا مجال تفصيلها . و قد رصدنا فى دراستنا للتحريفية و الإصلاحية و الخطوط الإيديولوجية و السياسية للمتمركسين تشويههم الفظّ للعلاقة الصحيحة بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة حيث يفصلون بينهما و كأنّ – كما لرأينا - الدولة و الديمقراطية و القوانين و ما إلى ذلك من البنية الفوقيّة لدولة الإستعمار الجديد لا تعكس و لا تخدم القاعدة الإقتصادية الإجتماعية للمجتمع من علاقات الإنتاج و علاقات التوزيع و الملكية .

يتخيّل الإصلاحيّون أنّهم عند بلوغهم المشاركة فى أجهزة دولة الإستعمار الجديد سيكون بوسعهم تحقيق برامجهم إن مسّت من المصالح الأساسية للطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية دون معارضة شديدة من الطبقات الرجعيّة و الإمبريالية العالمية و بقيّة أجهزة الدولة و على رأسها الجيش . يتخيّلون ذلك و يوهمون الجماهير الشعبيّة و المناضلات و المناضلين بإمكانيّة إنجاز المهام الوطنيّة و الديمقراطية للثورة الوطنية الديمقراطية فى إطار دولة الإستعمار الجديد و علاقات الإنتاج و التوزيع و الملكية القائمة .

ليس المسك بالسلطة السياسيّة أو بجزء منها وحده هو الذى يخوّل تثوير مجتمع و بنيته التحتيّة والفوقيّة ، بل هناك حاجة أكيدة إلى إمتلاك دولة و عاموها الفقري جيش ثوري من طراز جديد يفرضات فرضا على الطبقات الرجعية و بالقوّة أحيانا التغيير الثوري المرجوّ فى البنيتين . تستطيع أن تكون تمسك بسلطة الحكومة أو السلطة التشريعية (مثلما حصل فى أندونيسيا فى أواسط الستينات ، مع الحزب الشيوعي هناك) لكنّك لا تمسك بسلطة الدولة برمّتها فالسلطة السياسية تنبع من فوّهة البندقيّة و إن كان

غيرك يمسك بالبندقية و أنت لا تملك بندقية – جيشا – لعليك السلام الذى ترجم تاريخيّا فى أندونيسيا بمجازر لمئات الآلاف من الشيوعيين و غيرهم الثوريين على أيدى سوهرتو والجيش الذى قاد الإنقلاب.

الإصلاحات و البرامج الإصلاحيّة و القوى الإصلاحية لا تعالج المشكل المتمثّل على وجه الضبط فى دولة الإستعمار الجديد و البنية التحتية و الفوقية للمجتمع الذى يحتاج ثورة لا إصلاحات ، ولا تنشأ دولة جديدة ثوريّة تقودها الطبقات الثوريّة و على رأسها البروليتاريا و هدفها الأسمى الشيوعية على النطاق العالمي ؛ أقصى ما تفعله هو إدخال تغييرات بسيطة فى هذا المجال أو ذاك أمّا البنية التحتيّة الإقتصادية الإجتماعية الأساسية التى تعيد إنتاج المجتمع بالإستعانة بالدولة و بقيّة البنية الفوقيّة فلن تشهد تغييرا راديكاليّا بل ستظلّ هي هي .

و ما الذى يحصل عندما يسعى الإصلاحيّون إلى التدخّل فى جوهر علاقات الإنتاج و التوزيع و الملكيّة ؟ تاريخيّا حصل أمران إثنان : أولهما تراجع الإصلاحيين عن مشاريعهم " الطموحة أكثر من اللازم " تحت الضغط المحلّي و الدولي و تأقلمهم مع المصالح الأساسيةّ لدولة الإستعمار الجديد فيظلّون فى الحكم لفترة تطول أو تقصر حسب الظروف فى خدمة الطبقات الرجعيّة و الإمبريالية العالمية (أفريقيا الجنوبيّة بعد الأبرتايد) و ثانيهما ، يستبعدون من الحكم بمؤامرات متنوّعة (نيكارغوا و ما جدّ قبل سنوات عديدة من إستبعاد الجبهة الساندينية من الحكم قبل أن تعود إليه مؤخّرا بعد الكثير و الكثير من التنازلات على الكثير و الكثير من المستويات) أو يسحقون بالقوّة سحقا (الشيلي و تجربة آلندى والحزبين الإشتراكي و الشيوعي هناك فى سبعينات القرن العشرين) ...

إنّ من لم يدرك عمق الحقيقة التالية التى لخّصها ماو تسى تونغ و ينطلق منها فى نضاله ، لن يكون ثوريّا حقّا :

" إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ سواء ."

(" قضايا الحرب و الإستراتيجيا " (6 نوفمبر - تشرين الثاني - 1938) ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

العالم يصرخ من أجل الثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها : الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة و الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية . و هذه الثورة اللازمة موضوعيّا و تاريخيّا و التى هي وحدها القادرة على المضيّ نحو الشيوعية و تحرير الإنسانيّة لن تنجزها القوى الإصلاحيّة و لن تنجزها طبعا دول الإستعمار الجديد و لا الدول الإمبريالية بل هي نقيضها ، عدوّها اللدود. و من يساهم فى ترميم البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة السائدين و إعادة هيكلة دولة الإستعمار الجديد و بالتالى تأبيد إستغلال و إضطهاد الطبقات الكادحة ، يقدّم أجلّ الخدمات للطبقات الرجعية و الإمبريالية و فى نهاية المطاف شاء أم أبا يعزّز قوى الثورة المضادة و النظام الإمبريالي العالمي و يقف فى صفّ أعداء الثورة البروليتارية العالمية و هدفها الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي .

خاتمة :

المشكل يتمثّل بلا ريب و فى الأساس فى دولة الإستعمار الجديد برمّتها و فى الطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية التى تمثّل هذه الدولة مصالحها و تخدمها على حساب مصالح الطبقات الشعبيّة .
و الحلّ هو تحطيم هذه الدولة القديمة و تشييد دولة جديدة ثوريّة بجيش جديد ثوري تخدم المصالح الآنيّة و البعيدة المدى للطبقات الشعبيّة و على رأسها البروليتاريا و غايتها الأسمى الشيوعية على النطاق

العالمي ، عبر ثورة ديمقراطية جديدة / وطنية ديمقراطية تنجز عموما وفق إستراتيجيا حرب الشعب الماوية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية .

و المتمركسون الناشرون لأوهام الديمقراطية / الدكتاتورية البرجوازية حتى و إن توصّلوا بفضل مسرحيّة الإنتخابات إلى المشاركة فى الحكم وأمسكوا ببعض من مقاليد السلطة لن يستطيعوا تجاوز إطار دولة الإستعمار الجديد بمؤسساتها المركزيّة القائمة و يتواصل إستغلال الجماهير الشعبيّة و إضطهادها . و لن يُحلّ المشكل .

يتصوّر الإصلاحيّون و يصوّرون للمناضلات و المناضلين أنّهم حسنا يفعلوا بإستغلال " الديمقراطية " و المشاركة فى" الإنتخابات " لخدمة الطبقات الشعبيّة لكن فى الواقع يطرح بإلحاح سؤال من يستغل من؟ هل يستغلّ الإصلاحيّون أجهزة دولة الإستعمار الجديد أم هي التى تستغلّهم ؟ وقد شرحنا هنا ما شرحنا من حقائق مبنيّة على وقائع ملموس و قد حلّلنا بالملموس الواقع الملموس ، الإجابة العلميّة و الموضوعية هي أنّ دولة الإستعمار الجديد تستغلّ الإصلاحيين من المتمركسين لترميم صفوفها و إصباغ الشرعيّة على حكم الدولة الرجعيّة .

و من هنا يترتّب على الشيوعيين و الشيوعيّات الحقيقيين أن يكونوا شيوعيين و شيوعيّات قولا وفعلا و يقاوموا دولة الإستعمار الجديد برمّتها و ينشروا أرقى فهم شيوعي اليوم ، شيوعية اليوم ، الخلاصة الجديدة للشيوعية ، فى صفوف الجماهير الشعبيّة و يعملوا وسعهم لتحقيق ما يمكن تحقيقه راهنا من مراكمة القوى و وضع أسس صلبة و راسخة تعدّ أرضيّة التقدّم بخطوات جبّارة مستقبلا نحو المساهمة فى الثورة البروليتارية العالمية و تحرير الإنسانيّة .

و " تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي . "

(بوب أفاكيان ؛ " القيام بالثورة و تحرير الإنسانية ، الجزء الأوّل " ؛ " الثورة " عدد 112 ، 16 ديسمبر 2007 .)

========== سبتمبر 2014 ==================

3- تونسُ الإنتخاباتِ و الأوهامِ الديمقراطية البرجوازيةِ و الشيوعيين بلا شيوعيّة

- " داء البرلمانية... يشدّ المصابين به إلى عالم خيالي و يسلبهم كلّ عقل و كلّ ذكرى و كلّ فهم للعالم الخارجي الفظّ ."

(ماركس ،" الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت ")

- " و يترفّع الشيوعيّون عن إخفاء آرائهم ومقاصدهم ، و يعلنون صراحة أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها و تحقيقها إلاّ بدكّ كلّ النظام الإجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها وأغلالها و تربح من ورائها عالما بأسره ."

(ماركس و إنجلز ، " **بيان الحزب الشيوعي** " ، الفقرة الأخيرة)

- " أمعنوا النظر فى أي بلد برلماني من أمريكا حتى سويسرا و من فرنسا حتى انجلترا و النرويج و غيرها ، تروا أن عمل " الدولة " الحقيقي يجرى وراء الكواليس و تنفذه الدواوين و المكاتب و هيئات الأركان . ففى البرلمانات يكتفون بالهذر بقصد معين هو خداع " العامة " . "

(لينين ، " الدولة و الثورة " ، ص49)

- " التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون اليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي . "

(ماو تسي تونغ ، خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية - 12 مارس/ أذار 1957 ؛ - **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** - ، ص21-22).

- " على الشيوعيين أن يكونوا مستعدين فى كلّ وقت للتمسّك بالحقيقة ، فالحقيقة ، أية حقيقة ، تتّفق مع مصلحة الشعب . وعلى الشيوعيين أن يكونوا فى كلّ وقت على أهبة لإصلاح أخطائهم ، فالأخطاء كلّها ضد مصلحة الشعب ".

(ماو تسى تونغ - 1945)

- " جوهر ما يوجد فى الولايات المتحدة ليس ديمقراطية و إنّما رأسمالية - إمبريالية و هياكل سياسية تعزّز الرأسمالية - الإمبريالية . و ما تنشره الولايات المتحدة عبر العالم ليس الديمقراطية و إنّما الإمبريالية و الهياكل السياسية لتعزيز تلك الإمبريالية ."

(بوب أفاكيان ، " **الثورة** " عدد 43 ، 16 أفريل 2006 – الفصل الأوّل من كتاب" **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ، ترجمة و تقديم شادي الشماوي)

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن الطبيعة الطبقية لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ . طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها . المسألة هي : ما هي الطبقة التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها ، سيخدم تواصل أو فى النهاية القضاء على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ."

بوب أفاكيان - مقولة مثلما وردت فى **القانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري - الولايات المتحدة الأمريكية** ،2008.

==

مقدّمة :

توافقت القوى الرجعيّة فى تونس عن طريق حوارها الوطني على إجراء الإنتخابات التشريعيّة فى نهاية شهر أكتوبر قصد إصباغ الشرعيّة على حكم إهترأت قاعدته الشعبيّة و فقد شرعيّته و مصداقيّته منذ مدّة جراء السياسات الرجعيّة اللاوطنية و اللاديمقراطية و اللاشعبيّة تجاه الجماهير الشعبيّة العريضة وجرّاء الإغتيالات السياسيّة و إطلاق يد قسم من الإسلاميين الفاشيين ليعلنوا ما يزعمون أنّه جهاد من أجل تحطيم الطاغوت مفهوما على أنّه جيش دولة الإستعمار الجديدة أساسا أو تركيعه و تركيز دولة قروسطيّة لا تقطع طبعا مع النظام الإمبريالي العالمي . فتراوح موقف الذين يعتبرون أنفسهم شيوعيين- و أغلبهم ليسوا سوى متمركسين ، ماركسيين مزيّفين – بين القفز فرحا لما عدّوه إنتصارا و الحال أنّهم فى الجبهة الشعبيّة مثلا ، أعلنوا قبولهم بما تتّفق عليه القوى الرجعيّة فى حوارها الوطني مهما كان ، و بين مقاطعين للإنتخابات لإعتبارات متباينة شتّى .

1- الغائب البارز هو الشيوعية :

ونحن نتابع مواقف المشاركين و المقاطيعن قبل الحملة الإنتخابية و أثناءها ، رصدنا غيابا بارزا للشيوعية فى خطاباتهما . بطبيعة الحال لم نكن ننتظر من المشاركين بأشكال متنوّعة الدفاع عن المشروع الشيوعي هدفا و مبادئا و منهجا ... و قد سبق لنا الخوض فى تحريف هؤلاء للشيوعية و التنكّر لمبادئها الجوهرية فى عدّة مناسبات – مقالات و كتب . لكن كنّا نتوقّع أن يفاجئنا ضرب أو آخر من المجموعات المقاطعة و لو بقسط ضئيل من الدعاية للمشروع الشيوعي و لضرورة النضال

التحرّري الحقيقي الوحيد من أجل عالم آخر ، ضروري و ممكن هو العالم الشيوعي إلاّ أنّها خيّبت أملنا مرّة أخرى.

أدرسوا بيانات المقاطعين (من مكوّنات ملتقى مقاطعة إنتخابات 2014 وصولا إلى مجموعات ماويّة كالحركة الشيوعية الماوية – تونس و منظّمة العمل الشيوعي تونس) فلن تعثروا فيها على آثار للشيوعية كبديل حقيقي و ممكن لعصر الإمبريالية يتجسّد فى الثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها : الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية المقراطية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة والثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية ، بقيادة البروليتاريا و الإيديولوجيا الشيوعية ، و غايتها الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي و تحرير الإنسانيّة من كافة ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي .

و فاقد الشيء لا يعطيه . ذلك أنّ هذه المجموعات و إن كانت لها صلة ما تاريخيّة بالحركة الشيوعية العالمية فهي لم تعد تتجرّأ على الدفاع صراحة و بجرأة عن الشيوعية التى حوّلتها إلى إشتراكية أو إشتراكية علمية أو ديمقراطية إجتماعية أو مساواة و تقدّم و حرّية و هلمّجرا أي إلى نقيضها ، حوّلتها من إيديولوجيا بروليتارية ثورية لتحرير الإنسانية إلى إيديولوجيا برجوازية لا تخرج عن نطاق النظام الإمبريالي العالمي السائد . و لا يملك هؤلاء و أولئك تقييما علميّا ماديّا جدليّا للحركة الشيوعية العالمية و مكاسبها الرئيسيّة و إخفاقاتها الثانويّة و لا هم مدركون لوضع الحركة الشيوعية العالمية و مفترق الطرق الذى تواجهه و تطويرات علم الشيوعية فى خضم الصراعات العالمية إلخ فكيف يدافعون على شيء ما عادوا فى الجوهر يؤمنون بفعاليّته و حيويّته و ليسوا متمكّنين منه أصلا و محرّفينه عمدا . فاقد الشيء لا يعطيه . و بماذا يعوّضون علم الشيوعيّة ؟ يعوّضونه بوصفات برجوازية : فوضوية و قومية و إشتراكية و تقدّمية و وطنية و هلمّجرا كما يفعل الوطنيّون الديمقراطيون الماركسيّون اللينينيون الذين أضحوا ينظّرون فى بيان " الطريق الثوري و نهج " الإنتقال الديمقراطي " " ل " التفرّغ لنشر وعي وطني ثوري" !!!

سرطان التحريفية بما هي فكر برجوازي يخرّب علم الشيوعية قد نخر الخطّ الإيديولوجي و السياسى لكافة المشاركين و لمعظم المقاطعين فباتت تنظيراتهم و ممارساتهم العملية تعكس بالضبط ما نعته لينين فى كتابه الذى يظلّ منارة عظيمة ، **" ما العمل ؟ "** و فى مقاله الهام جدّا **" الماركسية و التحريفية "** ، بجوهر التحريفية و أفضل تعبير عنها و نقصد " الحركة كلّ شيء و الهدف لا شيء "!

<u>2- الشيء من مأتاه لا يستغرب : الموقف الإنتهازي للحزب الوطني الإشتراكي الثوري :</u>

فى مقال **" الحزب الوطني الإشتراكي الثوري - الوطد - و حزب العمّال التونسي وجهان لعملة إصلاحية واحدة "** و فى مقال **" إصلاحية الحزب الوطني الإشتراكي الثوري : الخلل و الشلل "** و فى كتاب **" حزب من الأحزاب الماركسيّة المزيّفة : الحزب الوطني الإشتراكي الثوري - الوطد - "** أوضحنا بالدليل القاطع و البرهان الساطع أنّ هذا الحزب غارق إلى العنق فى الإصلاحية و إن نعت نفسه بالثوري و توقّعنا أنّ المنطق الداخلي لخطّه الإيديولوجي و السياسي الدغمائي التحريفي سيقوده عاجلا أم آجلا إلى التمادي و التوغّل أكثر فى سلوك ذات الطريق الإنتهازي الذى سلكه و يسلكه حزب العمال التونسي الإصلاحي حتى النخاع . و ها أنّ الوقائع تأكّد مرّة أخرى و بشكل لا ظلّ فيه للشكّ حقيقة هذا الحزب الإصلاحي المطلي بطلاء ثوري .

فلئن شارك هذا الحزب فى إنتخابات 2011 بقائمات مستقلّة دون أن يتبنّاها علنا و رسميّا فهو فى هذه المرّة قطع خطوة أخرى و أصدر بيانا يبرّر فيه إيديولوجيا و سياسيّا مشاركته فى الإنتخابات التشريعية فى أكتوبر 2014 .(بيان " لنواصل النضال الوطني الديمقراطي الثوري من خارج البرلمان الرجعي ومن داخله لإسقاط النظام الحاكم العميل ") . وهو بيان يقتضى أن نتوقّف عنده برهة ونسوق بشأنه بضعة ملاحظات مع إعفاء نفسنا و القرّاء من الخوض فى قضايا مثل المسار الثوري و الحكومة الوطنيّة الثوريّة " التى تعمل على إرساء سلطة الديمقراطية الثوريّة الشعبية " فقد كشفنا فى مواقع أخرى من كتاباتنا مدى تهافت هكذا أطروحات. و نكتفى هنا بالتركيز على جملة من النقاط نتناولها بسرعة لأنّ المجال لا يسمح بالتبسّط فيها بإسهاب .

أوّلا ، قادت قراءة الوطد الثوري التى يصفها ب " الواقعيّة السليمة لطبيعة المرحلة ...و لطبيعة النظام الحاكم و لخصوصية الوضع السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي..." إلى إعتبار ما خاضته الجماهير الشعبية منذ ديسمبر 2010 " نضالات ثوريّة " . و إن كنّا نتبنّى مقولة لينين " لا حركة ثوريّة دون نظرية ثوريّة " ، فسنطرح سؤال هل كانت نضالات الجماهير الموصوفة بالثورية تستند إلى نظرية ثوريّة ؟ و إن كان ذلك كذلك فما هي هذه النظريّة الثوريّة التى لم يلاحظها إلاّ الوطد الثوري ؟ أم أنّ الوصف لا يصحّ لأنّ الإنتفاضة كانت واقعيّا و موضوعيّا و فى الأساس و حقيقة رئيسيّا عفويّة و إصلاحية المطالب ؟

ثانيا ، يتحفنا الجماعة الثوريون جدّا جدّا بصيغة تحريفيّة صارت معلومة لدى من درسوا بعمق و يدرسون بعمق صراع الشيوعية الثوريّة ضد النزعات التحريفيّة فى العالم قاطبة ألا وهي " النضال الثوري العام بمختلف أشكاله " كصيغة تتملّص من تحديد الرئيسي فى أشكال النضال المتوخّات لا سيما فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة . وهي صيغة تكرّر إستعمالها عند الفصائل الفلسطينية لمّا تخلّت عن الكفاح المسلّح بإعتباره الشكل الرئيسي لدحر الكيان الصهيوني و سوّت بإنتهازية بين كافة أشكال النضال . و قد تمسّك الشيوعيون الحقيقيون بأن فى المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات لا طريق لتحطيم الدول الرجعية القديمة و إنشاء دول ثوريّة كجزء من الثورة البروليتارية العالمية غير طريق الكفاح المسلّح حسب إستراتيجيا حرب الشعب الماوية طويلة الأمد كشكل رئيسي للنضال ترتبط به فى علاقة جدلية بقيّة أشكال النضال . و هذا ما يكرّسه عمليّا على أرض الواقع الماويّون فى الهند و الفليبين و غيرهما من البلدان .

ثالثا ، يحبّر حزب الوطد الثوري الأسطر التالية عن الجبهة الشعبية التى إنتمى إليها لفترة ثمّ طرد منها : " كرس القطيعة السياسية والتنظيمية معها باعتبارها انقلبت على أرضية الجبهة وضربت عرض الحائط باستقلاليتها السياسية و التنظيمية ." و نلقى نظرة على وقائع الحملة الإنتخابية للإنتخابات التشريعية فنلمس أنّها تكذّب هكذا إدعاءات إذ نجد مناضلي ومناضلات هذا الحزب يساندون عمليّا قائمات هذه الجبهة أينما لم تكن لديهم قائماتهم الخاصّة !!!

رابعا ، بكلمات من قبيل " يا شعبنا العظيم " و " يا شعبنا البطل " و " يا شعبنا المقدام" يتوجّه البيان إيّاه إلى الجماهير الشعبية . و بالتأكيد سيتساءل الكثيرون و الكثيرون إن كان شعبنا عظيما و بطلا و مقداما كيف سيكون لو أنجز ثورة حقيقيّة و مضى على طريق تحرير الإنسانية من كافة أنواع الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي؟ و راهنا كيف يكون شعبنا بهذه الصفات و غالبيّته العظمى تسير فى ركاب الرجعيين و تدعمهم كما يقرّ بذلك من له عيون ليرى و آذان ليسمع . كفاكم أوهاما

و تملّقا للجماهير التى تتحكّم فى سوادها الأعظم الأفكار السائدة وهي كما أكّد ماركس أفكار الطبقات السائدة ؛ قلّة قليلة من الفئات و الطبقات الشعبية ناضلت و تناضل بعفوية و بمطالب إصلاحية و فئة صغيرة منها تقدّمية و نسبة مائويّة صغيرة للغاية منها ثوريّة . شعبنا بعيد راهنا عن أن يكون شعبا ثوريّا فى غالبيّته . و تثويره مهمّة الشيوعيين الحقيقيين لا الإصلاحيين و هو حتّى يغدو ثوريّا فى حاجة إلى قيادة بروليتارية و نظريّة ثوريّة تنير سبيل الممارسة الثورية و تغيّر العقول و تنظّم الصفوف من أجل القيام بالثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية بقيادة شيوعية و المساهمة فى الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الأسمى الشيوعية على المستوى العالمي . و عدا هذا يجافى الحقيقة لأنّه هراء مثالي ميتافيزيقي و براغماتي نفعي.

و كي يمضي فى مغالطة المناضلين و المناضلات و الجماهير العريضة و يسند موقفه الإنتهازي اليميني هذا ، لجأ حزب الوطد الثوري إلى تراث الحركة الشيوعية العالمية ليقتطف مقولة وردت فى أوت سنة 1920 فى مقرّرات المؤتمر الثاني للأمميّة الشيوعية حول البرلمانات البرجوازية روّج لها بالأساس على شبكة التواصل الإجتماعية الفايسبوك فى صفحته المخصّصة للإعلام و مضمونها هو :

" على الحزب القائد للبروليتاريا ، بوجه عام ، أن يعزّز جميع مواقعه الشرعيّة ، و يجعل منها نقاط إرتكاز إحتياطيّة لنشاطه الثوري و يخضع هذه المواقع لخطّة الحملة الرئيسيّة حملة النضال الجماهيري. إنّ منبر البرلمان البرجوازي هو أحد نقاط الإرتكاز تلك . و لا يمكن التعلّل بأنّ البرلمان مؤسسة برجوازية لعدم الإنخراط فى النضال البرلماني فالحزب الشيوعي يدخل إلى هذه المؤسسات لا ليقوم بنشاط عضوي بل ليساعد الجماهير من داخل البرلمان على تحطيم جهاز الدولة و البرلمان نفسه ..."

ولفترة إمتدّت لأكثر من شهر من إصدار تلك المقولة ، كان يحدونا أمل أن يتولّى إنسان ما أو تتولّى إنسانة ما نقد إستخدام تلك المقولة و نشر النقد علنا و على الملأ لإجلاء مدى إنتهازية المستشهدين به لكن للأسف مرّ الأمر و كأنّ شيئا لم يكن ما يملى علينا النظر فى المسألة عن كثب نظرة نقديّة ماركسية . و أوّل ما نبادر بملاحظته هو أنّ جماعة حزب الوطد الثوري ، بعد أكثر من عقود ثلاثة لم تقم ، حسب علمنا ، بأي تقييم علمي لتاريخ الحركة الشيوعية العالمية و لم تفرز الجوانب الصحيحة من الأخطاء و قد سألناهم منذ سنوات الآن عن أخطاء ستالين فلم يتجشّموا عناء الإجابة ببساطة لأنّهم لا يملكون أجوبة واضحة علمية شيوعية من منظور بروليتاري ثوري فهم لم ينجزوا التقييم العلمي المطلوب و ليس بوسعهم القيام بذلك لكونهم دغمائيين تحريفيين و منهجهم منافى للماديّة الجدلية كما طوّرها لينين و من بعده ماو تسى تونغ ، من ناحية ، و من ناحية ثانية ، لكون هكذا وضع يخدم إنتهازيتهم إلى أبعد الحدود حيث يخوّل لهم التلوّن كالحرباء و إيجاد مقولات هنا و هناك لتبرير أي موقف أو تكتيك مهما كان . و بما أنّهم إنتهازيّون سيقتفون أثر الأخطاء و يحوّلونها إلى أقنعة يتنكّرون بها على أنّها مبادئ كلّما عنّ لهم ذلك و إلى ذخيرة يرشقون بها الشيوعيين الحقيقيين .

و نخصّص الفكرة فنقول فى موضوع الحال ، إنّ المقولة المستشهد بها تعود إلى 1920 أي يفصلنا عنها ما يناهز القرن من الزمن و من نافل القول أن يثير هذا البعد الزمنى سؤال : ألا تزال هذه المقولة المعبّرة عن تكتيك معيّن فى ظروف محدّدة آنذاك صالحة لأوضاع اليوم المختلفة جدّا و تحديدا فى بلد شبه مستعمر شبه إقطاعي ؟ إنّ الماركسيين و الماركسيّات الذين يطرحون على الدوام أسئلة من نوع كيف و متى و لماذا و من أجل ماذا إلخ سيتفطّنون بسهولة إلى جوانب من إنتهازية المستشهدين بتلك الجمل . فالبون شاسع بين الحديث عن البرلمان فى بلد رأسمالي – إمبريالي وهو المقصود فى تلك الفقرة

المقتطفة من وثائق الكومنترن من جهة وبلد خاضع للإستعمار الجديد من جهة ثانية تمارس فيه ديمقراطية / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد . وهو فرق مادي ملموس نوعي يسعى هذا الحزب الثوري جدّا جدّا إلى ردمه أو محوه بجرّة قلم.

هذا من ناحية المكان أمّا من ناحية الزمان ، فلا مناص من الإشارة إلى كون فى ظروف 1920 ربّما توفّرت إمكانيّة إستغلال المنبر البرلماني البرجوازي فى أوروبا خاصة فجلّ إن لم نقل كلّ المستعمرات آنذاك لم تكن تعرف برلمانات حتى و لم تكن غالبا تشكّلت فيها حركات تحرّر وطني بعدُ و لا أحزاب شيوعية . و الإمكانية المذكورة فى تلك الفقرة المستشهد بها إمكانية حسب ظروف ملموسة معيّنة و شروط محدّدة لكلّ بلد فالبلاشفة بقيادة لينين قبل ذلك لم يبنوا سياساتهم على تلك الإمكانية التى إستغلّوها مرّة و فى أوضاع إستثنائيّة . و نعلم جيّدا الموقف اللينيني المبدئي الصائب على خطى ماركس من البرلمانات البرجوازية و الديمقراطية البرجوازية و قد خطّه على سبيل المثال لا الحصر فى **" الدولة و الثورة "** حيث وجّه دعوة للقرّاء **" أمعنوا النظر فى أي بلد برلماني من أمريكا حتى سويسرا و من فرنسا حتى انجلترا و النرويج و غيرها ، تروا أن عمل" الدولة " الحقيقي يجرى وراء الكواليس و تنفذه الدواوين و المكاتب وهيئات الأركان . ففى البرلمانات يكتفون بالهذر بقصد معين هو خداع " العامة "."** (ص49)

و لسائل أن يسأل لماذا إعتمد حزب الوطد الثوري تلك المقولة من تراث الحركة الشيوعية العالمية و لم يعتمد مقولات لينين المعبّرة عن المبادئ الشيوعية و لم يروّج لها ؟ و نترك للقرّاء تصوّر الإجابة ...

و زيادة على ذلك ، تطوّر النظام الإمبريالي العالمي و فضحت النضالات الثوريّة فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية خدعة البرلمانات البرجوازية . و منذ عقود الآن ، قطعت الحركة الماركسية – اللينينية (التى صار شقّها الثوري معروفا عالميا بالماركسية – اللينينية – الماوية) التى كان على رأسها الحزب الشيوعي الصيني مع الطريق البرلماني للتحوّل السلمي (و الحزمة المرافقة له) الذى كانت تروّج له بصفاقة التحريفية المعاصرة السوفياتية منها و الفرنسية والإيطالية ... و الذى حوّل إمكانية تكتيكية ثانوية و ظرفيّة معيّنة إلى إستراتيجيا تخدم فى نهاية المطاف الإمبريالية و الرجعية وتطعن فى الظهر الثورة البروليتارية العالمية . (للمزيد بهذا المضمار ، أنظروا مقالنا **" خروتشوفيّة " اليسار " الإصلاحي "** على الحوار المتمدّن) .

و حتّى بعد وفاة ماو تسى تونغ سنة 1976 و الإنقلاب التحريفي الذى حوّل الصين الماويّة الإشتراكية إلى صين رأسماليّة ، عمّق الشيوعيّون الثوريّون (لا سيما الحركة الأممية الثورية و بوب أفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية كأحد قادتها البارزين فى أعمال كثيرة منها **" الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟ "** الذى ترجم شادي الشماوي و نشر فصلا منه على الحوار المتمدّن هو" أوهام الديمقراطية " تحت عنوان إختاره المترجم " من الولايات المتحدة الأمريكية : تحليل لأوهام الديمقراطية ") نقد أخطاء الحركة الشيوعية العالمية و طوّروا أكثر فهمهم لأوهام الديمقراطية البرجوازية و طفقوا يشهّرون بها كمبدأ شيوعي لا يستبعد عموما إستثناء ظروف قد يمكن المشاركة فيها فى الإنتخابات البرجوازية و يقدّمون البديل الشيوعي الثوري القادر الوحيد على القطع مع النظام الإمبريالي العالمي و تحرير الإنسانية تحريرا حقيقيّا من جميع أشكال الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي .

أمّا الحزب الوطني الإشتراكي الثوري فيرمى بكلّ ما توصّلت إليه القوى الثوريّة صلب الحركة الشيوعية العالمية عرض الحائط و بدغمائيّة لا يحسد عليها يتمسّك كالغريق بقشّة فقرة لا تعبّر عن مبادئ الشيوعية الأساسية بل عن إمكانيّة تطبيق تكتيكي ظرفي معيّن خاص ببلدان رأسمالية – إمبريالية فى عشرينات القرن الماضي و تبيّن أنّ التحريفيين جميعهم تقريبا حوّلوه إلى مبدأ فى خدمة مصالح الدول الإمبريالية و الرجعية القائمة .

و نقطع خطوة أخرى ، و نمضى إلى إثارة سؤال لماذا لم يستند الوطد الثوري إلى ذات مقولة الكومنترن إيّاها ليشارك صراحة فى إنتخابات 2011 ؟ و لما لا فى إنتخابات بن علي ؟ و مرّة أخرى نترك للقرّاء تصوّر الإجابة ...

3- الإنحدار أو مواصلة الإنحدار إلى الهاوية البرجوازية :

و نسترسل مع الوطد الثوري الذى شارك فى الإنتخابات التشريعية 2014 بأربع قائمات مستقلّة - على حدّ علمنا - ليواصل " النضال الوطني الديمقراطي الثوري من خارج البرلمان الرجعي ومن داخله لإسقاط النظام الحاكم العميل " (لعلّكم لاحظتم معنا التسوية الإنتهازية بين داخل البرلمان و خارجه فى صيغة أقرب ما تكون للخروتشوفية !) . و حيثما لم يشكّل قوائما ، عمل مناضلونه و مناضلاته – وهو أمر متوقّع – على مساندة قائمات الجبهة الشعبية التى إعتبر أنّها خانت الأرضية السياسيّة للجبهة و أقامت تحالفات مع الرجعيين و خضعت لإملاءات السفارات الأجنبية و ما إلى ذلك . أليس هذا فضلا عن ما سبق مواصلة الإنحدار إلى الهاوية ؟ و يشتدّ هذا الإتجاه نحو الهاوية بتوخّى هذا الحزب مغالطة الذات و مغالطة الجماهير عن طريق الكذب والمبالغات كأسلوب قار فى كتاباته و سلوكه . فعلى سبيل المثال ، فى البيان الإنتخابي للقائمة المستقلّة أبناء الشعب تونس 2 ، نقرأ أنّ هذه القائمة ستناضل من أجل : " ... إرساء حكومة وطنيّة تعمل على تحقيق أهداف الإنتفاضة و فى مقدّمتها 1- تأميم المؤسّسات الأجنبيّة فى بلادنا و القضاء على سياسة الخوصصة و بعث صناعة وطنيّة تمكننا من الإستغناء على توريد المصنوعات الأجنبيّة ..." (و غير هذا كثير و مفزع حقّا) .

هكذا ، فى إطار دولة الإستعمار الجديد يمكن إرساء " حكومة وطنية " **!!!** ما هذا الهراء يا حزب الوطد الثوري ؟ أهذا ما علّمتكم إيّاه الماركسية ؟ أليس هذا مغالطة فجّة للذات و للجماهير ؟ أليست هذه براغماتيّة تزحف على بطنها تقتدى بكذب و خداع المشاركين الآخرين فى الإنتخابات .

ثمّ ، ليذكّرنا أحد من هؤلاء الثوريين جدّا جدّا ، متى كان " تأميم المؤسسات الأجنبيّة " هدفا من أهداف الإنتفاضة ؟ هل حصل هذا فى تونس أم فى مكان آخر من الكرة الأرضيّة أم على كوكب آخر تماما ؟ الجماعة بمثالية يسبحون فى عالم الأوهام التى يخالونها حقائقا ، فيكذبون و يصدّقون كذبهم **!!!** هم ينظّرون و يمارسون نقيض المطلوب من الشيوعيين أي البحث عن الحقيقة الموضوعية و الإعتراف بها لتفسير العالم تفسيرا علميّا و تغييره تغييرا ثوريّا ف **" كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا ، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية ".**(" بوب أفاكيان أثناء نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره " ، فصل من كتاب **" ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة "** ، 2005).

لقد جعلتهم دغمائيتهم و تحريفيتهم و إصلاحيتهم يرون المستحيل فى ظلّ دولة الإستعمار الجديد ممكنا ، جعلتهم يرون بعيون مثالية و إصلاحية دولة الإستعمار الجديد تحقّق نقاطا أساسيّة من برنامج الثورة

الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية فى حين أنّ فى الواقع هذه النقاط لن تحقّقها إلاّ دولة جديدة ثورية تشيّد على أنقاض دولة الإستعمار الجديد القديمة !!!

و عطفا على ما تقدّم ، من حقّنا أن نسأل الوطنيّين الديمقراطيّين الماركسيّين اللينينيين عن موقفهم من ترهات الوطد الثوري هذه و قد كانوا رفاقهم فى الماضى القريب و لا يزال البعض يتوقّع إمكانية وحدة معهم . لماذا لزمتم الصمت تجاه بيان الوطد الثوري الداعي إلى المشاركة فى الإنتخابات التشريعية و تجاه إستخدامه لمقولة الكومنترن التى ناقشنا لدعم موقفه الإصلاحي ؟ و الحال أنّ هذا الموقف الإنتهازي يبرّر المشاركة فى ما أسميتموه فى بيانكم " الطريق الثوري و نهج " الإنتقال الديمقراطي " " ب " مسرحية هزلية صاغت فصولها و مشاهدها أمريكا و فرنسا و قوى امبريالية أخرى من خارج الحدود " و إعتباركم أنّ هذه الإنتخابات " لعبة ديمقراطية زائفة " و أنّه " حيث يقوم نظام حكم عميل و يغيب عن الساحة السياسية حزب ثوري قوي ، فإن تكتيك الانتخابات يصبح غير ممكنا بالنسبة للقوى الوطنية الثورية . و خوض الانتخابات في هذه الحالة إلى جانب الأحزاب و الحركات السياسية المعبرة عن مصالح أطراف التحالف الطبقي الرجعي العميل و جزء كبير من البرجوازية الصغيرة الإصلاحية و الانتهازية ليس من التكتيك الثوري في شيء و إنما سيضفي ذلك "شرعية " لنظام و حكومة العمالة المقبلة " و " خيار القوى الوطنية الثورية ليس بأي حال من الأحوال هو الانخراط في انتخابات مهزلة لا علاقة لها من بعيد أو قريب بمصالح شعبنا المضطهد و عماله المستغلون ، وهو تكتيك على حساب الاستراتيجي في نضال الثوريين من أجل تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الأفق الاشتراكي ." ؟

إن قلتم لنا صغنا نقدا و لم ننشره للعموم ، نجيبكم : أين الحقيقة للجماهير ؟ و أين الصراع الإيديولوجي و السياسي المبدئي ؟ و إن وقفتم موقف المتفرّج و مارستم السلوك الليبرالي البرجوازي ، فبئس الماركسية – اللينينية التى تدّعونها ! و بئس الإنحدار إلى الهاوية الذى شهدتموه خاصة منذ تبنّيكم الهجوم المسعور ضد الماوية المبني على الإفتراء و قلب الحقائق (نصّ " هل يمكن إعتبار ماو تسى تونغ ماركسيّا – لينينيّا ؟) و تشهدونه وقد أمسيتم تنظّرون ل" التفرغ لنشر وعي وطني ثوري " (نفس البيان المذكور أعلاه) بدلا من علم الشيوعية و إيديولوجيا البروليتاريا التى دون قيادتها لن تنجز أيّة ثورة ديمقراطية جديدة / وطنية ديمقراطية أو إشتراكية فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية !

و بالمناسبة يلاحظ المتابعون للمشهد السياسي أنّ الجبهة الوطنيّة الديمقراطية الشعبيّة التى يعدّ الوطنيون الديمقراطيّون الماركسيّون – اللينينيّون من مؤسّسيها قد تلاشت و غابت فى الزحام و ما من أحد أعلن وفاتها !

و من المكوّنات الأخرى للجبهة تلك الحركة الشيوعية الماوية تونس التى ألفيناها فى " بيان : المقاطعة مقاومة والمشاركة مساهمة " (مقاومة ماذا؟ و المساهمة فى ماذا ؟ - عنوان بحث عن التنميق اللغوي على حساب التعبير الواضح عن لبّ المسألة) تتجاهل هي الأخرى الشيوعية و المشروع الشيوعي كبديل ضروري و ممكن للنظام الإمبريالي العالمي برمّته ، تذكّر بجملة أفكار و تصرخ مطالبة ، تصوّروا بتاريخ متأخّر جدّا هو الأسبوع الأوّل من أكتوبر شهر الإنتخابات التشريعية و كأنّ الجماعة كانوا يغطّون فى نوم عميق ، بالدعوة " إلى التنسيق العاجل بين القوى الثورية وتكوين أطر مشتركة لدراسة محتوى حملة المقاطعة وأشكال النضال والتنظيم وكسر الحصار الإعلامي على " تيار المقاطعة " التي تريد الرجعية تهميشه وتقزيمه " . و ما من مجيب حيث لم تلتحق الحركة (أو وقع تجاهلها) بالسرب الذى عقد ندوة متأخّرة جدّا هو الآخر (الأسبوع الثاني من أكتوبر ، ملتقى مقاطعة إنتخابات 2014) .

وهذا الملتقى ضمّ فى صفوفه مجموعة حزب الكادحين الوطني الديمقراطي التى إنخرطت فى وقت معيّن فى الجبهة الوطنية الديمقراطية الشعبية . و قد أصدر حزب الكادحين بمعيّة حزب النضال التقدّمي بيانا مشتركا وفيه دعيا إلى مقاطعة الإنتخابات لسببين إثنين علّقنا عليهما فى مقالنا " **خروتشوفية " اليسار " الإصلاحي** " قائلين : " و قد يتلكّؤ البعض و يعلن عدم المشاركة فى لعبة الإنتخابات ليس من منطلق مبدئي شيوعي فيشرح للجماهير الواسعة الأوهام الديمقراطية البرجوازية ويروّج بالتالي للشيوعية كعلم للثورة البروليتارية العالمية ، و إنّما من منطلق تكتيكي يقولون و خاصة لعدم توفّر شروط إنتخابات نزيهة وهو ما نجده مضحكا للغاية : هل ثمّة فى عالم اليوم بلد تجرى فيه الإنتخابات دون تآمر الطبقات الرجعية و أحزابها و تحكّمها فى العملية (بالمال السياسي و الإعلام و شراء الذمم و التزوير إن لزم الأمر ...) ؟ و حتّى فى الولايات المتحدة و فرنسا (و قد فاحت رائحة عفن الديمقراطية البرجوازية فى البلدان الإمبريالية فما بالك فى المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات) لم و لن تتوفّر الشروط التى تحدّث عنها مثلا البيان المشترك لحزب الكادحين الوطني الديمقراطي و حزب النضال التقدّمي و بهذا نلفيهما يسبحان فى عالم المثاليّات و أوهام الديمقراطية البرجوازية و يضلّلون المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية بهذا الصدد . " و هذا منهما مواصلة الإنحدار التحريفي الإصلاحي نحو قاع هاوية العمل القانوني فى إطار دولة الإستعمار الجديد رغم الخطاب الناري المنمّق أحيانا و الموشّى ببعض العبارات الماركسية .

ونستسمح القرّاء بأن نضيف تعليقا بسيطا على شعار رفعه حزب الكادحين الوطني الديمقراطي ألا وهو " المقاطعة مقاومة و المقاومة حياة " وقد إستلهم الجزء الثاني من الشعار على ما نعتقد من عنوان كتاب لعبد الله أوجلان زعيم حزب العمّال الكردي [وتثبتنا من الأمر وأكّدلنا أنّ الكتاب هو " نصوص مرافعات الرفاق مظلوم درغان ، محمّد خيري دورموش و كمال بير ، أعضاء اللجنة المركزيّة لحزب العمّال الكردستاني المأخوذة من ملفّات محاكماتهم "] و الذى ليس بالتأكيد حسب دراسات الماويين فى مجلّة " **عالم نربحه** " منذ ثمانينات القرن الماضي و بحوث و مقالات ماويين من فرنسا و ألمانيا إلخ شيوعيا ثوريّا و تشهد على ذلك وثائق حزبه و كتاباته الأخيرة التى تدعو إلى الحلّ السلمي للقضيّة الكردية فى إطار الدولة التركية القائمة لا غير . و الأهمّ هنا أنّ الشيوعيين ، ليعلم من لا يعلم ، ليسوا مقاومين أو بالأحرى ليسوا مقاومين و حسب للنظام القائم كردود فعل على هجماته على الجماهير على مستويات عدّة. الشيوعيّون مقاومون للدول الرجعية و الإمبريالية الإستغلالية و الإضطهادية و سياساتها المناهضة للجماهير الشعبية و مقاومتهم تترافق بتغيير أفكار الجماهير من أجل القيام بالثورة البروليتارية العالمية و غايتها الشيوعية على الصعيد العالمي . الشيوعيون الحقيقيّون ثوريّون يسعون جهدهم للإطاحة بالدول القديمة و بناء دول جديدة ثورية تعمل على تحرير الإنسانية و إضمحلال الدول ذاتها ببلوغ الشيوعية عالميّا . و نكرّرها عمدا عامدين ليس الشيوعيون الحقيقيّون، الشيوعيون الثوريّون مجرّد مقاومين للدول القائمة . وصف المقاومين ينسحب على حزب الكادحين الوطني الديمقراطي بشكل تام و ينسجم الإنسجام كلّه مع خطّه الإيديولوجي و السياسي فهو ينهل من أفكار آلان باديو (أنظروا مقال " الرفيق فريد العليبي في الردّ على سؤال صحفي حول الديمقراطية والفلسفة ومقاطعة الانتخابات "، طريق الثورة ، 4 سبتمبر 2014) الذى يدعو لمقاومة الدول دون الخروج عن إطار النظام الإمبريالي السائد كما بيّنت ذلك دراسة نقدية شيوعية ماوية ثوريّة ممتازة لفكر آلان باديو فى مجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، " **تمايزات** " على موقع الأنترنت التالي :

http://demarcations-journal.org/

و قد سبق لنا أن كشفنا الوجه المتمركس الحقيقي للأمين العام لحزب الكادحين الوطني الديمقراطي فى نقدنا لكتاب له ، فى بحث إخترنا له من العناوين " **تشويه الماركسية : كتاب " الإنتفاضة و الثورة " لصاحبه فريد العليبي نموذجا** " وهو متوفّر على موقع الحوار المتمدّن وبمكتبه .

و إذا كانت الهيئات الثوريّة المستقلّة تعلن فى جويلية 2014 فى بيان " حول الموقف من الانتخابات الانقلابية القادمة في تونس الهيئات الثورية المستقلة " أنّها لا تقبل أصلا " اللعبة " الإنتخابية (لعبة إنتخب أو قاطع ، بكلمات البيان) وهو فهم صحيح لا يسعنا إلاّ مشاطرتها إيّاه ، فإنّ الإئتلاف الذى تدعو إليه - ائتلاف سياسي واسع على قاعدة مقاومة وبرنامج جذري لمواصلة تنفيذ المهام الثورية - يبقى ضبابيّا للغاية لقيامه بالأساس على المقاومة أي على الرفض و ليس على المقاومة و التغيير الثوري وفق برنامج ثوري يكون قاعدة صلبة لوحدة نضالية ثوريّة (و يدرك دارس بيانات المقاطعين فروقات كبيرة فى أسباب المقاطعة و آفاقها ما لا يدعو للتفاؤل المستقبلي). و إلى ذلك نضيف أنّ هذه الهيئات تتوهّم الإستقلاليّة الطبقيّة فى عالم مجتمعاته طبقيّة فقد سجّل ماو تسى تونغ حقيقة موضوعيّة هي أنّ : " **فى المجتمع الطبقي يعيش كلّ إنسان كفرد من أفراد طبقة معيّنة ، و يحمل كلّ نوع من أنواع التفكير دون إستثناء طابع طبقة معيّنة** ." (" **فى الممارسة العملية** " (يوليو- تمّوز- 1937) ، **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الأوّل) كما تتوهّم إمكانيّة " فرض سيادتها [الأغلبية] على قرارها وعلى الموارد والثروة وعلى العمل وعلى التخطيط والتوزيع و الإنتاج " دون دولة (" ضد الدولة كل دولة وضد دولة الطبقة كل طبقة ") تحمى الأغلبية و تمارس الدكتاتورية على الأقليّة مثلما هو حال دولة

دكتاتورية / ديمقراطية البروليتاريا . و إذا كانت هذه الهيئات تعلن أنّها ضد " الإيديولوجيا " (نص " تونس من نحن الهيئات الثوريّة المستقلّة ؟ ") فى حين أن الواقع الموضوعي للمجتمعات الطبقية يفرض كما شرح لينين فى **" ما العمل؟ "** ، **" إمّا إيديولوجيا بروليتارية و إمّا إيديولوجيا برجوازية "** ، فإنّنا نسألها هل بوسعها أن تخرج عن نطاق الإيديولوجيتين المتناقضتين و المحدّدتين فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ؟ (مع العلم أنّ مصطلح الإيديولوجيا هنا مستعمل بالمعنى الماركسي لمنظومة أفكار ناتجة عن النظرة إلى العالم و المنهج المتوخّى فى ذلك و ليس بالمعنى المبتذل للوعي المزيّف) و نأكّد لها أنّ برفضها الإيديولوجيا البروليتارية تنحدر لا محالة إلى هاوية الإيديولوجيا البرجوازية .

ونلفت نظر منظمة العمل الشيوعي تونس إلى أنّ تغييب البديل الثوري الشيوعي حتى فى معلّقة ينمّ عن فهم مشوّه للمادية الجدلية ذلك أنّه ينبغى على الشيوعيين و الشيوعيات أن يعرضوا الشيء و نقيضه أي مظهري / طرفي التناقض ، أن يكرّسوا عمليّا القانون الأساسي للجدلية قانون التناقض / وحدة الأضداد . و بكلمات أخرى ، علينا إستيعاب جدلية الهدم و البناء و تطبيقها : ما الذى نناضل ضدّه و نسعى إلى هدمه و ما الذى نناضل من أجله و فى سبيله و نسعى إلى بنائه . تغييب طرف من طرفي التناقض نظرة مثاليّة ميتافيزيقيّة إحادية الجانب يجب تجنّبها و تغييب المشروع الشيوعي كبديل حقيقي ضروري و ممكن ينحدر بمن يقف وراءه إلى " الحركة كلّ شيء و الهدف لا شيء " التى ناقشنا فى النقطة الأولى من المقال .

4 - لاحركة ثورية دون نظرية ثوريّة :

فى أكثر من مناسبة و موقع كان صنف من المقاطعين للإنتخابات يعدّون أنفسهم معبّرين عن موقف شعبي و يعمدون ، على غرار ما جاء فى نصوص حزب الكادحين الوطني الديمقراطي المتّصلة بالإنتخابات ، إلى بعض الإحصائيّات للتدليل على ذلك و لكنّ هذه مغالطة أخرى يترتّب علينا أن نميط عنها اللثام .

إنّ مقاطعة شرائح من الجماهير شبابيّة و غير شبابيّة للإنتخابات التشريعية و التى سبقها عزوف كبير عن التسجيل لا تنبع فى غالبيّة الأحيان عن وعي سياسي متقدّم و ثوريّ فأسباب المقاطعين كثيرة و متنوّعة - و رأينا تنوّعها لدى المجموعات " اليسارية " فما بالك بغيرها من الناس - منها ما هو ذاتي إلى أقصى الحدود و منها ما يتنزّل ضمن موقف سياسي أدنى يترجم خيبة أمل و إحباط و يأس و قنوط و لامبالاة و تردّد و إستياء وشراء الذمم و التدليس وإذكاء نزعات العروشية و التعصب الجهوي و إنعدام الثقة فى معظم السياسيين لتقلّب مواقفهم و لا مبدئيّتهم إلخ.

و رفض مشاركة أغلبيّة المقاطعين فى الإنتتخابات لا يرقى إلى الوعي السياسي / الطبقي الشيوعي الثوري بتاتا . هو فى أحسن الأحوال أرضيّة خصبة نسبيّا للعمل الثوري لتطوير هذا الرفض و التمرّد الذين يمكن أو يوصفا بالعفويين إلى وعي شيوعي ثوري يجعل الفئات و الطبقات الشعبية تعى ذاتها و مصالحها و تعمل لذاتها و تساهم فى النضال الواعي من أجل الثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها . و هذا يرجعنا إلى النقطة الأولى من مقالنا و ضرورة المشروع الشيوعي فى أرقى تطوّراته النظرية الثوريّة : الخلاصة الجديدة للشيوعية ، و الدعاية له بهدف مقاومة دولة الإستعمار الجديد برمّتها - و ليس فقط المقاومة - و تغيير العقول و تنظيم القوى من أجل القيام بالثورة الحقيقية بغاية تحرير الإنسانية و تحقيق الشيوعية العالمية .

واهم من يعتقد أنّ نسب المقاطعة العالية نسبيّا التى حصلت مردّها مباشرة بعض التحرّكات المحدودة و المتأخّرة لبعض المقاطعين ، و واهم من يعتقد أن ّهناك حركة شعبيّة ثورية . ببساطة ، يصرخ الواقع الموضوعي بحقيقة أنّه لا وجود لحركة ثوريّة . و لماذا ؟ لعدّة عوامل ليس هنا مجال تفصيلها و لكن يهمنا أن نشدّد على أهمّها وهو مرّة أخرى عدم إستيعاب القيادات الشيوعية و الجماهير الشعبيّة النظريّة الثوريّة فكما لخّص لينين حقيقة من الحقائق العميقة و الشاملة للصراع الطبقي : **لا حركة ثوريّة دون نظريّة ثوريّة .**

و بديهي أن المشاركين فى الإنتخابات من المجموعات المتمركسة ليست معنيّة أصلا بالنظرية الثورية عدا كنقيض لها تخشاه خشية الأفارقة هذه الأيّام لفيروس الإيبولا . و جلّ إن لم نقل كلّ المقاطعين من الفرق " اليسارية " هي أيضا لا تملك النظريّة الثوريّة و لا تكرّسها و تنشرها فى صفوف المناضلات و المناضلين و الجماهير العريضة لتغيير العقول و تنظيم القوى من أجل إيجاد حركة ثوريّة ، شعب ثوري ، و القيام بالثورة و غايتها الأسمى الشيوعية و تحرير الإنسانية .

و كلّ ما بحوزة السواد الأعظم من المتمركسين هو شذرات كلمات أو مصطلحات و مواقف و تواريخ تستخدم بإنتقائيّة للظهور بمظهر " إشتراكي " و " ثوري " و " تقدّمي " و " ديمقراطي " و" تشاركي" إلخ .

شيوعيّة اليوم ، الشيوعية الثوريّة اليوم ، الروح الثوريّة للماركسية – اللينينية – الماوية ، تتجسّد فى الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تمثّل الفهم الأكثر تقدّما و تطوّرا لعلم الشيوعية ، الفهم المتقدّم الناجم عن البحث و التنقيب العلميين لتقييم التجارب التاريخية للحركة الشيوعية العالمية و إستخلاص الدروس و العبر و للدفاع عن الجانب الإيجابي الرئيسي فيها و القطع مع الأخطاء كجانب ثانوي و إعادة صياغة الشيوعية و إرسائها على أسس علمية أرسخ لا يجب أن تكفّ عن التطوّر (و إلاّ مات علم الثورة البروليتارية العالمية) . لذلك الخلاصة الجديدة للشيوعية هي اليوم الكفيلة الوحيدة بإعتبارها النظرية الثورية المنشودة بأن تنشأ حركة ثوريّة للقيام بالثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها و غايتها الشيوعية و تحرير الإنسانية على الصعيد العالمي .

<u>خاتمة :</u>

و كيما تكون الممارسة ثوريّة لا بدّ من أن تهتدي بالنظريّة الثورية و من هنا يتعيّن على كلّ من يرنو إلى المساهمة بفكر نقدي و وعي شيوعي ثوري فى تحرير الإنسانية من كافة ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي أن يمتلك ناصية علم الشيوعية و بالتالى دراسة الخلاصة الجديدة للشيوعية و إستيعابها و تطبيقها و تطويرها مسألة أمور مؤكدة الضرورة اليوم . لقد جاء على لسان إنجلز منذ أكثر من قرن من الزمن أن :

" و سيكون واجب القادة على وجه الخصوص أن يثقفوا أنفسهم أكثر فأكثر فى جميع المسائل النظرية و أن يتخلصوا أكثر فأكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من المفهوم القديم عن العالم و أن يأخذوا أبدا بعين الاعتبار أن الاشتراكية ، مذ غدت علما ، تتطلب أن تعامل كما يعامل العلم ، أي تتطلب أن تدرس . و الوعي الذى يكتسب بهذا الشكل و يزداد وضوحا ، ينبغى أن ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة أبدا..." (انجلز ، ذكره لينين فى **" ما العمل ؟ "**).

و لدراسة الخلاصة الجديدة للشيوعية بتمعّن و من مصادرها نقترح على القرّاء باللغة العربية الكتب التالية المتوفّرة بمكتبة الحوار المتمدّن :

- **المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** .(لشادي الشماوي)

- **الماوية تنقسم إلى إثنين** . (لشادي الشماوي)

- **مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه** . (لشادي الشماوي)

- **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتباته** . (لشادي الشماوي)

- **صراع خطّين عالمي حول الخلاصة الجديدة للشيوعية** . (لناظم الماوي)

- **آجيث نموذج الدغمائي المناهض لتطوير علم الشيوعية** . (لناظم الماوي)

وقد كثّف بوب أفاكيان المقصود بالخلاصة الجديدة فى الفقرات التالية :

" تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي . "

(**" القيام بالثورة و تحرير الإنسانية "** ، الجزء الأوّل ، جريدة **" الثورة "** عدد 112 ، 16 ديسمبر 2007 .)

---27 أكتوبر 2014

ملحق : من النصوص موضوع نقد هذا المقال

حول الموقف من الانتخابات الانقلابية القادمة في تونس الهيئات الثورية المستقلة

الهيئات الثورية المستقلة
الحوار المتمدن-العدد: 4520 - 2014 / 7 / 22 - 20:45
المحور: الثورات والانتفاضات الجماهيرية

حول الموقف من الانتخابات الانقلابية القادمة في تونس
الهيئات الثورية المستقلة

تعتبر الهيئات الثورية المستقلة أن الموقف من الانتخابات القادمة هو قاعدة لفرز سياسي وطبقي على أساسه تدار الآن وستدار لاحقا المعركة مع مافيا الانقلاب على 17 ديسمبر .
وترى أن الموقف من الانتخابات القادمة سيسقط كثيرا من الأقنعة وسيكشف كثيرا من المواقع وسيعري كثيرا من المزايدين. وسيكشف المصطفين والمرتبطين وكل المتلونين والملونين والمرتزقة والخونة والبيوعة والقوادة.
كما تؤكد الهيئات الثورية المستقلة أنه وفي كل الحالات لا يمكن فهم أي دعوة للمشاركة في الانتخابات القادمة إلا على أنها:
1 ـانخراط بمسار "الانتقال الديمقراطي" أي انخراط باستراتيجيا مافيا الانقلاب في الانقلاب على 17 ديسمبر وخيانة معركة الحرية والكرامة والسيادة باقتسام النفوذ مع طبقة الاستبداد والفساد.
2 ـ إعطاء شرعية لتواصل سلطة المافيا عبر المرشحين الأبرز للفوز : حزبي النهضة ونداء تونس.
وموقفنا
في 23 أكتوبر قلنا أن الانتخابات و المجلس التأسيسي والدستور كلها صارت حلولا للثورة المضادة حلولا لترميم واجهات النظام يجب مقاطعتها وتعطيلها و الاطاحة بها.ومارستا بقدراتنا مقاطعتها. وظهر جليا بعد ذلك أن الجماهير أيضا قاطعها.
واليوم نقول:
نحن نرفض اللعبة برمتها
لعبة انتخب أو قاطع
فالمقاطعة رفض لشروط اللعبة وليس للعبة ذاتها
نحن موقفنا:
من أجل ائتلاف سياسي واسع على قاعدة مقاومة وبرنامج جذري لمواصلة تنفيذ المهام الثورية ائتلاف مهام قاعدته مهام 17 ديسمبر بمن سيتبقى من الحركات الثورية والثورين.
ليست المقاطعة فقط بل بناء ائتلاف سياسي مقاوم جذري يتطور حسب شروط إدارة المعركة من الآن وإلى ما بعد الانتخابات الانقلابية القادمة .

الهيئات الثورية المستقلة
تونس في 22 - 07 - 2014

تونس من نحن الهيئات الثورية المستقلة؟

الهيئات الثورية المستقلة تونس
الحوار المتمدن-العدد: 4418 - 2014 / 4 / 8 - 23:25
المحور: اليسار , التحرر , والقوى الانسانية في العالم

تونس ـ من نحن الهيئات الثورية المستقلة؟
لسنا أناركيين ولا كذلك شيوعيين بالمعنى المتوارث لا ستالينيين ولا ماويين ولا تروتسكيين ولا قوميين.
لسنا أيديولوجيين ...نحن ضدّ الوعي المزيّف، ضدّ الاديولوجيا ، ضد الدولة كل دولة وضد دولة الطبقة كل طبقة نحن مستقلون بمعنى Autonome نحن مقاومون .
نحن مع المقاومة الطبقية من أجل نفي الطبقات.
نحن التنظيم الذاتي.
نحن التسيير الذاتي نحن الادارة الذاتية .
نحن التنظيمات القاعدية الثورية المواطنية والقطاعية المستقلة الديمقراطية.
نجن راديكاليون تشاركيون لا طبقيون.
نحن من الأغلبية المتعارضة مصالحها مع مصالح مجتمع رأس المال والدولة البرجوازية.
نحن ديمقراطيون قاعديون مع الأغلبية في فرض سيادتها على قرارها وعلى الموارد والثروة وعلى العمل وعلى التخطيط والتوزيع و الإنتاج.
نحن التنظيمات المواطنية الثورية.
نحن نقاوم ونعلم أن التغيير الذي نريد تحقيقه يبدأ بالمقاومة محليا و قوميا ولا يتوقف عندهما إنه أممي كوني يهم الأغلبية يهم الإنسانية قاطبة .
نحن مقاومون هنا ومشروع المقاومة أينما كان هو مشروعنا.
نحن نقاوم والمقاومة صناعة للمقاومة صناعة للمصير.
نحن ضد الإمبريالية وضد الصهيونية وضد كل تمييز وضد التبعية وضد الارتباط .
نحن نقاوم لنتحرر من كل الديكتاتوريات التي أنجبها رأس المال الذي تحول إلى كارثة على الإنسانية يجب أن يطاح بها.
نحن نحبّ فلسطين و نعيشها قضيّة.
نحن شعب المقاومة.
و كل شعب يقاوم هو شعبنا .
وكل جمهور يقاوم هو جمهورنا.
لسنا مجرّد أصوات أديولوجيّة أو شوفينية ناعقة.
نحن مجالنا الحيوي الميادين والشوارع والساحات.
نحن الجماهير التي ترفض أن يعبر عن حركتها و أهدافها ومصالحها وسياسياتها غيرها.
تحيا المقاومة ، يحيا الإنسان حرّا واعيا مناضلا منخرطا في الصراع متحررا.
يحيا الاحرار عبر العالم ، المجد للإنسان معبود الرياح ، المجد لمن قال لا في وجه من قالوا نعم المجد للجماهير الشعبية الحرة.

الهيئات الثورية المستقلة
فيفري 2014

بيان : المقاطعة مقاومة والمشاركة مساهمة

-الحركة الشيوعية الماوية-تونس
الحوار المتمدن-العدد: 4593 - 2014 / 10 / 4 - 20:51
المحور: الحوار , التحزب والتنظيم , التفاعل و اقرار السياسات في الاحزاب والمنظمات اليسارية والديمقراطية

انطلقت الحملات الانتخابية التشريعية والرئاسية قبل الأوان وداست بذلك حتى القوانين التي وضعتها

الرجعية بنفسها على غرار المجلس التأسيسي الذي نكث وعوده على كل المستويات وراحت الأحزاب والقائمات "المستقلة" والائتلافية تطلق الوعود التي ستحوّل تونس إلى جنة فوق الأرض كما سبق لنواب التأسيسي أن وعدوا بذلك .
تنطلق الحملة الانتخابية اليوم (4 أكتوبر) بصفة رسمية في ظل استياء شعبي من نزعة التناحر على الكرسي باستعمال كل الوسائل بما في ذلك التدليس وشراء الذمم والتشهير بالمنافسين من جهة وتدهور أوضاع أبناء الشعب من جهة أخرى.
وإزاء تصاعد الغضب الشعبي والتكالب على الكرسي بهدف ترميم نفس النظام تذكّر الحركة الشيوعية الماوية بالحقائق التالية :
- نذكّر المشاركين تحت راية "الوطنية الديمقراطية" والمقاطعين كذلك أن التكتيك لا يمكن أن يتعارض مع الطرح الاستراتيجي في أية حال من الأحوال لان بعض الأطراف المقاطعة تعتبر الانتخابات في أشباه المستعمرات مسالة تكتيكية معزولة عن الخط الاستراتيجي :"- اعتبار مقاطعة الانتخابات أو المشاركة فيها مسألة تكتيكية يمكن أن تكون المواقف بخصوصها موحدة كما يمكن أن تختلف ولا يجب أن يؤثر ذلك على الجبهة الثورية المزمع تأسيسها-" (عن الجبهة الشعبية الوحدوية وعن حزب الكادحين الوطني الديمقراطي-بلاغ اعلامي بتاريخ 8-03-2014).
لكن الأحداث في البلدان الرأسمالية وفي أشباه المستعمرات قد أثبتت – منذ مطلع القرن الماضي- أن الانتخابات تعني تزكية الطرح البرلماني والتداول على السلطة بين الطبقة أو الطبقات الحاكمة ويحكمها المال السياسي وتشرف عليها أجهزة الدولة من جيش وبوليس وقضاء وإعلام...و قد أعلنت الأحزاب الشيوعية الحقيقية مقاطعة نهج الاستسلام والوفاق مع الطبقات الحاكمة واختارت نهج المقاومة والنضال ، النهج الوحيد المؤدي إلى التغيير الثوري .
- نذكر المشاركين أن الانتخابات في تونس ومصر والجزائر وسوريا لم تخرج عن إطار ترميم الأنظمة ولن تشذ الانتخابات الحالية عن هذا المسار بل أن كل المعطيات تدل على أن القانون الانتخابي وضع على قياس الأحزاب الرجعية وان الهيأة العليا للانتخابات ليست محايدة وان فروعها لا علاقة لها "بالاستقلالية"كما اتضح أن مبدأ التزكية دون إمضاءات معرّفة خاضع للبيع والشراء وهو محل طعن حتى من قبل الرجعيين أنفسهم وفي هذا الإطار حذّرت بعض الجمعيات من خطر التزوير وخاصة اعتماد الورقة الدوارة وأساليب الغش المختلفة بالاعتماد على رؤساء الفروع فضلا عن شراء الذمم وإذكاء التعصب الجهوي والعروشي .
- إن تعفن المناخ الانتخابي وافتضاح حقيقة المجلس التأسيسي دفع بأغلب الناخبين إلى عدم التسجيل وهو ما سيدعم موقف المقاطعة وإن كانت هذه المقاطعة عفوية تنبع من اقتناع راسخ لدى الجماهير بان الانتخابات لن تمثلها ولن تفرز نوابا يدافعون عن مصالحها بل نوابا احترفوا بيع الأوهام وإطلاق الوعود الكاذبة فنداء تونس مثلا سيوفّر 900 ألف موطن شغل والنهضة تعد ب400 ألف موطن شغل وجميعهم سيحوّلون المناطق المهمشة إلى جنة. فكيف يمكن تصديق من حكم تونس لمدة عقود ونهب خيراتها ومارس على الشعب جميع ألوان القمع والتهميش أن يوفر الآن العيش الكريم للشعب وكيف يمكن تزكية النهضة التي نهبت المال العام وفقرت الكادحين وقمعت شباب الانتفاضة خلال ثلاث سنوات من حكمها ؟ وهل يمكن تصديق الجبهة "الشعبية" التي تنكرت حتى لأرضيتها السياسية و قبلت بالإملاءات الامبريالية في ما يسمى بالحوار الوطني و الوفاق مع أعداء الشعب – دساترة و إخوانجية - وقبلت بتزكية نواب النهضة لها في الرئاسية ؟ وتتعدد التساؤلات لدى أبناء الشعب الذين لم تعد لهم أية ثقة في سماسرة السياسة والمتاجرين بكلمة ثورة "وتحقيق أهداف الثورة " المزعومة.
- عملت الأحزاب الرجعية بشقيها على دعم ظاهرة تعدد المترشحين في التشريعية (1300 قائمة)والرئاسية(27 مترشحا)، لتوهم الرأي العام بان هناك ديمقراطية ،غير أن الديمقراطية لا تعني التعددية ولا تقتصر على صندوق الاقتراع أو التداول على السلطة بين الائتلاف الطبقي الحاكم . إن الديمقراطية في مرحلة التحرر مرتبطة بحل المسألة الوطنية التي يقع طمسها عمدا من قبل المترشحين .
- إن الاملاءات الامبريالية للتوافق والتداول على السلطة بين الائتلاف الحاكم لا يمكن أن يكتب لها النجاح طالما هناك صراع طبقي محتدّ وغضب شعبي متصاعد .

- إن الجماهير الشعبية - صانعة التاريخ - والتي تعاني يوميا من التفقير والتجويع وتدهور مختلف الخدمات قد كشفت زيف الانتخابات فقاطعتها ورفضت الأحزاب الفوقية اللاهثة وراء الكرسي لكن مقاطعتها العفوية تظلّ في حاجة إلى التأطير من قبل القوى الثورية المدعوة للتحرك كجسم واحد بهدف التحوّل إلى قيادة فعلية للجماهير الغاضبة المتحفزة للانتفاض في كل حين .
وفي هذا الإطار تدعو الحركة إلى التنسيق العاجل بين القوى الثورية وتكوين أطر مشتركة لدراسة محتوى حملة المقاطعة وأشكال النضال والتنظيم وكسر الحصار الإعلامي على "تيار المقاطعة" التي تريد الرجعية تهميشه وتقزيمه .

Organisation de Travail Communiste _ Tunisie

الانتـــــــخابات: بين الثرثرة الديماغوجية والواقعية الثورية
الجزء الثاني : خيـارنــا مقاطـعـة.. نـهـجـنـا مـقـاومــة

تعتبر الديمقراطية البرلمانية أبرز وسائل حماية النظام السياسي و تجديد قدرته على مواصلة إضطهاد الطبقة العاملة و عموم الكادحين في ظلّ حُكم البرجوازية سواء في الدول الراسمالية _ الامبريالية أوْ في جزء من المستعمرات وأشباه المستعمرات وقدْ سادت الديمقراطية البرلمانية أو الطرح ال..برجوازي للديمقراطية عَبْر العالم إثر إنهيار القطب الإشتراكي مع سيطرة خطّ إعادة الرأسمالية على قيادة الحزب الشيوعي الصيني ثُمّ صارت في عصر العولمة، عصر الامبريالية في طورها المتجدد "مٌقدسّة أوْ تكادْ" يحاصر رافضوها أوْ منتقدوها وكاشفوا حدودها ويُتّهمون بالتنظير والتبرير " للديكتاتورية " وبرفض القيم الكونية والإنسانية في حين أن حقيقة مَا في الأمر أنهم يعرون طابعها الطبقي و يطرحون بدائلها في مستوى النظرية السياسيّة وهي بدائل لحكم طبقة أو تحالفات طبقية تتناقض مصالحها بهذا القدر أو ذاك مع مصالح البرجوازية العالمية والبرجوازيات المحلية المرتبطة بها و نستثني هنا طبعا طروحات اليمين المتطرف من نازية وفاشية وغيرها في الدول الامبريالية والطروحات القَروسطية في المستعمرات وأشباهها على غرار الطروحات الظلامية الإسلامية في وطننا العربي وهي طروحات قد ترفض الديمقراطية البرلمانية لكنّها تعمل من أجل ارساء أنظمة حكم تعمق إضطهاد الكادحين وسَطوة الطبقات الرجعية على الشعوب.

ويمكن أن نوجز موقف الشيوعيين من النضال البرلماني والديمقراطية البرجوازية في أننّا لا نعتبر أنّ بالامكان الإطاحة بالطبقات الرجعية وإقامة سلطة الطبقة العاملة أو سلطة الطبقة العاملة وحلفاءها عبر سلك الطريق البرلماني لأنّ الاطاحة بطبقة أو بتحالف طبقي ليحل محله تحالف طبقي آخر يستجب ضرورة عنفًا ثوريا، حربا شعبية طويلة الامد تحديدًا و لكنْ هذا لا يعني أنّ الشيوعيين يرفضون كل نضال برلماني فالمشاركة في الانتخابات في ظل حكم البرجوازية والنضال البرلماني هي مسائل مرتبطة بالتكتيك وبالتالي بحيثيات و تفاصيل ومتطلبات النضال الثوري في كل قطر وفي كل مرحلة من مراحل الثورة ويجب أن تخضع في كل الظروف لاستراتيجيا تغيير المجتمع تغييرا ثوريا باحلال سلطة طبقة أو طبقات محل أخرى.

"إنّ خطيئة الاممية الثانية ، خطيئتها المميتة ليست في أنها انتهجت في عهدها خطة استخدام أشكال النضال البرلمانية بل في أنها قدرت أهمية هذه الأشكال بأكثر مما هي و كادت تعتبرها الأشكال الوحيدة فلما جاءت مرحلة المعارك الثورية المباشرة و احتلت مسألة أشكال النضال غير البرلمانية المكان الأول أدارت أحزاب الأممية الثانية ظهرها للمهمات الجديدة ورفضتها" (لينين)

للتوصلّ الى موقف أو تكتيك بروليتاري في أي محطة من محطات الثورة و بصدد أي اشكال من اشكالاتها يتعين على الشيوعيين أن يمسكوا جيدا بأدوات التحليل المادي الجدلي و أن يستفيدوا ويستلهموا من تجارب الشعوب الاخرى كما يتحتم عليهم أن يكونوا في ارتباط شديد بواقع حركة الصراع الطبقي أو الوطني والطبقي في بلدانهم و تتسم حركة الصراع الوطني والطبقي في تونس منذ إنتهاء اعتصامي القصبة 1 و 2 ب :

1 – تسارع نسق ترميم النظام لبنيته و تجد ذلك أساسا في التقارب بين البيروقراطية النقابية و الرجعية الليبرالية (دساترة ، نداء تونس) والرجعية الدينية (النهضة وحلفاؤها من الاسلاميين)
2 – بروز المجموعات الاسلامية الارهابية و تنفيذها لعمليات الاغتيال (الشهيدين بلعيد و البراهمي) و تمركزها في بعض مناطق البلاد و دخولها في مواجهات محدودة مع البوليس و الجيش
3-- تفاقم الازمة الاقتصادية والإجتماعية وتعاضم معاناة الكادحين نتيجة خضوع الحكومات المتعاقبة منذ رحيل بن علي الى املاءات دوائر النهب الإمبريالي والبرجوازية المحلية المرتبطة بهاته الدوائر.
4 -- غياب حزب الطبقة العاملة و ضعف القوى الثورية وتشتتها وعجزها عن قيادة نضالات الجماهير.

*هل من مكاسب للطبقة العاملة و عموم الكادحين من المشاركة في انتخابات أكتوبر 2014 ؟

تأتي إنتخابات أكتوبر _ نوفمبر 2014 في السياق الذي حددنا سلفا ممثلة أحد أهم اسلحة النظام لمزيد ترميم بنيته من خلال اقتسام السلطة بين الكتلتين الرجعيتين اساسا و بعض القوى الاصلاحية تحت غطاء " الشرعية الانتخابية" ونجاح تجربة " الانتقال الديمقراطي" أما في ما يتعلق بالازمة الاقتصادية و الإجتماعية و تفشي البطالة وتفاقم معاناة الكادحين فإنّ الدوائر الامبريالية التي رعت "الحوار الوطني" وتشكيل حكومة مهدي جمعة وترعى وتبارك اليوم العملية الانتخابية حددت وبقطع النظر عن نتائج الانتخابات، البرنامج الإقتصادي والإجتماعي للحكومة الحالية و للحكومات المقبلة والمرتكز على الخوصصة ورفع الدعم ونهب الثروات الطبيعية للبلاد وإغراقها بالديون.
و في ما يتعلق بالجماعات الاسلامية الإرهابية فحري بنا التذكير بأن عنفها وعداءها للجماهير قدْ تعاظما منذ انتخابات أكتوبر 2011 و إمساك الترويكا بزمام الحكم وهذا يعني أنه لا يكفي أن نتوجه الى صناديق الاقتراع "النقضي على الارهاب" كما أنّه من الوهم التصور بأنّ إنتخابات ترعاها الإمبريالية وتكون حركة النهضة الاخوانية اضافة الى مافيات المال و التهريب المرتبطة بالرجعيتين على حد السواء (نهضة ، نداء) و بأجهزة الدولة من ادارة وبوليس من أبرز الفاعلين فيها حلا سحريا للقضاء على "الارهاب" .
ويضاف الى كل ما سبق كل تفاصيل العملية الانتخابية من هيئة عليا للانتخابات تشكلت على مقاس القوى الرجعيّة و من قانون إنتخابي و مال سياسي وشراء ذمم و تزكيات وأصوات و اعلام منخرط في جزءه الرئيس في عملية اعادة ترميم النظام ليتوضح أن لا مصلحة لجماهير شعبنا في المشاركة في هاته الانتخابات و بأنها لن تخدم سوى أعداءه و أعداء انتفاضته وبأنّ القوى الاصلاحية (الجبهة الشعبية أساسا) لنْ تُشكل سوى ديكور يتحدد نصيبه من السلطة بقدر تنازلاته و توافقاته مع الرجعية التي يحتاج شقيها الى حلفاء مؤقتين نظرا لكون توافقاتها لا تزال هشة و مهددة بالانفجار في أي لحظة خاصة في ارتباط بتطورات الوضع في كل من ليبيا و الجزائر .

إنّ الوفاء لدماء شهدائنا و النضال من أجل تحصين ما لم ينسف بعد من مكتسبات انتفاضتنا والعمل على تجذيرها و تطويرها يمر حتما عبر القطيعة التامة مع النظام و عبر قطع الطريق امام مساعيه لبناء علاقة " تفويض شعبي" للسلطة القادمة من قبل الجماهير و العمل على بناء علاقة صراع تناحري دؤوب ، منظم وواع ضدها .. بناء الحركة الجماهيرية المناهضة للاستغلال و العمالة و الفساد ، الحركة الجماهيرية الواعية والمنظمة التي تشكل قوى المقاومة الشاملة في القطر النواة القادرة على بناءها و قيادتها و تشمل هذه القوى أساسا المجموعات الشيوعية الماوية و القوى الوطنية الديمقراطية الثورية و الحركات الشبابية و الثقافية المعادية للرأسمالية كما يمكن التنسيق في سيرورة بناء هذه الحركة مع قوى المقاومة الجزئية في معارك و مواقع محددة وتمثل مجموعات اليسار المناهضة للامبريالية والصهيونية و الجزء الغير معادي للماركسية من الحركات القومية اضافة الى بعض المنظمات النقابية أو المهنية أو الحقوقية أبرز هذه القوى.

لنواصل النضال الوطني الديمقراطي الثوري من خارج البرلمان الرجعي ومن داخله لإسقاط النظام الحاكم العميل

يا شعبنا العظيم ،

إن حزب الوطد الثوري - بقراءاته الواقعية السليمة لطبيعة المرحلة التي تمر بها تونس ولطبيعة للنظام الحاكم و لخصوصية الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه البلاد منذ 17 ديسمبر 2010 وما أفرزه من نضالات ثورية - أكّد أنّ ما حصل في تونس هو إنتفاضة شعبية عارمة ، لم ترتق الى مستوى الثورة بالرغم مما قدمته الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وسائر الكادحين والمضطهدين وفي مقدمتهم الفئات الشبابية من تضحيات جسام (مئات الشهداء وآلاف الجرحى) لافتقادها للقيادة السياسية الثورية وللبرنامج السياسي الذي يخدم مصلحة الشعب وفي مقدمته الطبقة العاملة.

فمنذ اندلاع تلك الانتفاضة والقوى الامبريالية والرجعية العميلة تتكالب عليها وتحيك المؤامرات للالتفاف على المسار الثوري والقضاء عليه، يقودها في ذلك حماية النظام القائم الذي يخدم مصالحها ويحافظ على امتيازاتها ويضمن إعادة انتاج حياتها. فمن تنصيب حكومة الغنوشي ثم السبسي إلى تعيين هيئة السبسي/بن عاشور الى دعم القوى الظلامية وعلى رأسها "حركة النهضة" وتركيزها في الحكم في 23 أكتوبر 2011. وتواصلت المؤامرات نتيجة فشل الائتلاف الحاكم الذريع وعجزه التام عن إدارة الشأن العام ومعالجة المشاكل الأساسية التي يعاني منها الشعب. فتكثف العنف الرجعي في مواجهة التحركات الجماهيرية ووصل حد تنفيذ الاغتيالات السياسية وإستعمال الرش في سليانة وتنامي العمليات الارهابية كذبح أبناء الشعب من الجنود والتفجيرات بالأحزمة الناسفة ، كما استعملت التغييرات الشكلية لحكومات النهضة (الجبالي ، العريض وأخيرا جمعة) كمناورة لإمتصاص الغضب الشعبي اثر اغتيال الشهيدين شكري بلعيد ومحمد البراهمي.

يا شعبنا البطل ،

لقد فضح حزب الوطد الثوري وما يزال المؤامرات التي حيكت لإجهاض النضال الثوري خاصة بعد أن رفعت الشعارات المنادية بالعصيان المدني وبإسقاط المجلس التأسيسي خادم رأس المال العالمي والمحلي وبحل الحكومة المنبثقة عنه والمرتهنة للقوى الاستعمارية. وعلى هذا الأساس وقع كشف حقيقة هيئة السبسي بن عاشور باعتبارها مؤامرة للقضاء على المجلس الوطني لحماية الثورة، ثم انتخابات 23 أكتوبر 2011 المهزلة ثم "الحوار الوطني" المزعوم الذي شكل محاولة لرأب الصدع بين القوى الرجعية المتنافسة على خدمة مصالح الدول الاستعمارية ومؤسساتها الإحتكارية النهابة قصد التحكم في الوضع المتأزم الذي تعيشه البلاد وإنقاذ النظام الحاكم المهترئ نتيجة الضربات الموجعة التي وجهتها له الانتفاضة الشعبية والحركة النضالية المتصاعدة التي تلتها في شكل اضرابات ومسيرات و اعتصامات وغيرها. كما كشف حقيقة ما سمّي بـ "جبهة الإنقاذ" المعادية للشعب وبين خطورة التحالف - داخل تلك الجبهة بين الأطراف المتنفذة في الجبهة الشعبية والتجمعيين في ثوبهم الجديد - على الانتفاضة وما أفرزته من مسار ثوري. وقد أكدت التجربة صحة هذا الموقف. فبعد أن كانت الجبهة الشعبية تنتشر في الأرض نتيجة لخطها السياسي الوطني المستقل عن أعداء الشعب الداخليين والخارجيين ولفعلها الميداني في مقدمة النضالات الشعبية، انحرفت بعض الأطراف المكونة لها عن المسار الثوري وتذيلت لحركة "نداء تونس" داخل "جبهة الإنقاذ" وبذلك تكون أفقدت الجبهة الشعبية نهائيا إشعاعها وقاعدتها الجماهيرية التي بنيت في ظرف وجيز بتضحيات مناضليها ودماء شهدائها. وقد تباين حزب الوطد الثوري منذ البداية مع تلك الأطراف (ثم نسجت مكونات أخرى على نفس المنوال) وكرس القطيعة السياسية والتنظيمية معها باعتبارها انقلبت على أرضية الجبهة وضربت عرض الحائط باستقلاليتها السياسية و التنظيمية.

وقد أكّد حزب الوطد الثوري أنّ الصراع المحموم الدائرة رحاه داخل ما يسمى بالحوار الوطني وبالأساس بين قطبي "النهضة" و"نداء تونس" والذي ترعاه الدول الاستعمارية المتصارعة على القطر يهدف الى تنصيب حكومة جديدة تخدم مصلحة هذا الطرف أو ذاك. أما معاناة الشعب وآلامه من جراء المديونية والنهب الخارجي والبطالة وغلاء المعيشة ونسف المكاسب الاجتماعية الجزئية التي حققها النضال الشعبي و ازدياد التفاوت الطبقي والجهوي وتنامي ظاهرة الارهاب وانعدام الأمن فهي ليست من اهتمامات لا القوى الاستعمارية المتصارعة على تونس ولا وكلائها المحليين المتناحرين على السلطة وخير دليل على ذلك تمادي حكومة المهدي جمعة في تنفيذ نفس السياسات اللاوطنية واللاشعبية واللاديمقراطية (تنفيذ برنامج جديد للإصلاح الهيكلي ، العمل على إلغاء صندوق التعويض ، التقليص في ميزانية التنمية إلخ ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ربطت مكافحة الإرهاب بالتخلي عن النضالات الشعبية).

يا شعبنا المقدام ،

لقد دعا حزب الوطد الثوري دائما إلى مواصلة المسار الثوري من أجل تركيز حكومة وطنية ثورية تعمل على إرساء سلطة الديمقراطية الثورية الشعبية التي تضمن استقلال تونس الفعلي وتبني اقتصادا وطنيا يخدم مصالح الجماهير الشعبية الكادحة وفي مقدمتها الطبقة العاملة ويحقق أهدافها وطموحاتها. غير أنّ دولة الإستعمار في شكله الجديد باعتبارها أداة للسيطرة الطبقية تستعمل العنف الرجعي من أجل تأبيد سيطرة الامبريالية والطبقات الرجعية السائـــــــــدة (البورجوازية الكمبرادورية وكبار الملاكين العقاريين) فاستخدمت القمع المادي المباشر عبر بعض أجهزتها (الجيش، البوليس ، المحاكم ، السّجون...) لمواجهة الاحتجاجات الشعبية ولجأت الى القمع الإيديولوجي المقنع عبر أجهزة أخرى مختصة (البرلمان، الإعلام ،الثقافة الرجعية، المؤسسة الدينية ،...) لمحاربة الفكر الثوري والترويج لثقافة الإستسلام التي تعمل على تكريس السائد ممّا جعل المسار الثوري يصاب مؤقتا بإنتكاسة ستجبر الثوريين حتما على مضاعفة الجهد من أجل نهوض ثوري جديد ستذكيه الهجمة الامبريالية الرجعية الشرسة الحالية التي تستهدف قوت الجماهير اليومي.

إن الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية الخانقة التي تردت فيها البلاد وتوجه النظام العميل نحو خنق الجماهير الشعبية وقواها المناضلة والقضاء على هامش الحريات الذي فرضته الانتفاضة وعلى المسار الثوري نهائيا تحتم اليوم على القوى الوطنية الثورية والتقدمية ليس فقط إستعمال كل أشكال النضال الوطني الديمقراطي الثوري وتوسيع قاعدة المشاركين فيه من أجل النهوض من جديد بالمسار الثوري والتقدم في انجاز المهمة المركزية الأم المتمثلة في اسقاط النظام العميل وتحرير تونس من الاستعمار في شكله الغير مباشر ومن عملائه المحليين، باعتباره شرطا لا غنى عنه لإرساء سلطة الديمقراطية الثورية الشعبية الكفيلة بحل مشاكل الشعب المتراكمة على امتداد السنين ووضع حد نهائي لمعاناته، بل يتطلب أيضا من تلك القوى – ارتباطا بخصوصية الوضع الذي يمر به المسار الثوري - توظيف كل المؤسسات والمنابر التي يمكن استغلالها من الناحية النظرية والعملية (بما في ذلك البرلمانات الرجعية) لفضح كل السياسات المعادية لجماهير شعبنا والمؤامرات الهادفة الى القضاء النهائي على الانتفاضة ولكشف حقيقة البرلمان القادم كخادم لمشاريع الدول الاستعمارية الكبرى ومؤسساتها الاحتكارية العالمية ووكلائها المحليين من أصحاب رؤوس الأموال وكبار الملاكين العقاريين على حساب مصالح الطبقات الشعبية الكادحة وللتعجيل بقيام الثورة الوطنية الديمقراطية . إن الهدف من المشاركة

في الانتخابات المقبلة والتواجد في البرلمان الرجعي ليس حكم البلاد في ظل النظام الرجعي العميل الحاكم كما تسعى الى ذلك القوى العميلة و الأطراف الانتهازية السائرة في نهجها ضمن ما يسمى بالتداول السلمي على السلطة بل جعل النضال من داخل البرلمان، من على منبره رافدا للنضال الثوري العام بمختلف أشكاله باعتباره الوسيلة الرئيسية لتحرير تونس من الاستعمار والرجعية، وجعله في الوقت نفسه أداة لتطوير الوعي السياسي الثوري لأوسع شرائح الطبقات الاجتماعية الكادحة من أجل لفها في جبهة وطنية ديمقراطية ثورية واسعة قادرة على اسقاط البرلمان الرجعي والمؤسسات التي يفرزها والنظام العميل برمته. فلهذه الأسباب بالأساس وللتصدي للأحزاب والقوى العميلة الظلامية منها بقيادة "النهضة" والليبرالية وعلى رأسها التجمعيين في ثوبهم الجديد جلادي الشعب وللسائرين في نهجهم قرر حزب الوطد الثوري المشاركة في الانتخابات البرلمانية ودعا الى المشاركة فيها. لكنّ المشاركة في الحملة الإنتخابية لا تكون عبر وعد الجماهير بتحقيق مكاسب عند الوصول إلى البرلمان ، بل بالنضال ضد تلك الأوهام التي يمكن أن تعلقها الجماهير الشعبية على مؤسسة من مؤسسات دولة الإستعمار الجديد. وهكذا نتبين بوضوح تام الفارق الجوهرى بين تكتيك الثوريين الذاهبين الى البرلمان لمقاصد ثورية ، وتكتيك اللاهثين وراء الكراسي.

فلئن نجحت القوى الرجعية المحلية والدوائر الاستعمارية مؤقتا في فرض خيار الانتخابات للتحكم في الوضع المتأزم في تونس ولترميم صفوف النظام القائم فإن البرلمان القادم مثله مثل "المجلس التأسيسي" سيكون حتما في خدمة مصالح رأس المال العالمي والمحلي وأداة لتمرير سياسات ومشاريع صندوق النقد الدولي والبنك العالمي التي ستعمق رهن تونس للدول الاستعمارية الكبرى وستتسبب في مزيد تردي أوضاع الجماهير الشعبية الكادحة على جميع المستويات. ولذلك فإن تأجيج الصراع الطبقي والنضال الوطني والعمل على مواصلة المسار الثوري لتحقيق أهداف الانتفاضة وتوظيف كل الامكانات والمواقع التي تسهل بلوغ هذا الهدف بدون تنازلات لا مبدئية لأعداء الشعب هو من أوكد المهام المطروحة اليوم على القوى الوطنية الثورية المنحازة قولا وفعلا للطبقة العاملة وعموم الكادحين والمضطهدين.

الحزب الوطني الاشتراكي الثوري (الوطد) 17 أوت 2014

<u>تونس: الطريق الثوري و نهج "الانتقال الديمقراطي"</u>
<u>مساران متناقضان</u>

يا أبناء شعبنا المكافح،
أثبتت التجربة في الواقع صحة موقفنا، وموقف أطراف وطنية أخرى، الداعي إلى مقاطعة انتخابات 23 أكتوبر 2011 باعتبارها مسرحية هزلية صاغت فصولها و مشاهدها أمريكا و فرنسا و قوى امبريالية أخرى من خارج الحدود، و دعت الأحزاب و الحركات الرجعية العميلة للعب الدور الرئيسي فيها من حيث التنفيذ (أنظر بيان الوطنيين الديمقراطيين الماركسيين اللينينيين الصادر بتاريخ 14-08-2011.)
لقد ثبت بالملموس أن الديمقراطية الزائفة التي جاءت بكرزاي من أمريكا إلى مستعمرة أفغانستان لينصب وكيلا لها ممثلا لمصالحها، كانت هي ذاتها غطاءا أيضا لتنصيب المالكي عميلا حريصا على ذات المصالح في العراق و باتباع ذات النهج المسمى "الإنتقال الديمقراطي"، سلمت السلطة لعملاء آخرين في ليبيا و اليمن و مصر و تونس و بلدان أخرى. و استعمل نفس الحبر الانتخابي و نظام القائمات و المال الفاسد و حيل التزوير و التضليل المختلفة لتمرير مقاليد الحكم من دكتاتورية رجعية إلى أخرى تضاهيها أو تفوت.
و بفضل وصفة "الحوار الوطني" و "التوافق" عاد الوئام بين الرجعيين الفرقاء في المستعمرات و أشباه المستعمرات التي عرفت "خريفا" كخريف تونس تحت مسمى "الربيع"، و لا فرق بين عربي و أعجمي في الحكم إلا بالعمالة لرأس المال المالي الأجنبي، صاحب الفضل في تنصيب الحكام الجدد و القادر على تغييرهم متى شاء كما حدث في العراق و ليبيا ومصر "السيسي".
و بفضل هؤلاء الحاكمين في الشعوب المضطهدة باسم "الديمقراطية" و "التعددية" و "الحوكمة الرشيدة" و "العدالة الانتقالية" ارتفعت في المستعمرات و أشباه المستعمرات، و منها تونس شبه المستعمرة، تكاليف الحياة و غلت المعيشة وانتشرت البطالة و الأمراض الخطيرة و استشرت الجريمة بشكل لم يسبق له مثيل.
و زادت وتيرة القمع المنظم ضد الجماهير الشعبية فاستباحت أجهزة البوليس و الجيش حرمة بيوت السكان و أطلقت النار على أجساد المتظاهرين و ألحق رش بنادقهم - كما حدث في سليانة - الأذى و تسبب في العمى للعشرات، و كل ذلك باسم "استعادة هيبة الدولة"، ذاك الشعار الذي بادر برفعه العميل السبسي زعيم حزب النداء الرجعي الذي جمع حوله الدساترة ومنهم التجمعيين و معهم بعض سواقط "اليسار" النقابوي الانتهازي، و نجح بفضل الوساطة الفرنسية الأمريكية في تسوية الخلافات العالقة بين عملاء الامبريالية الدساترة و الاخوانية و رسم تحالفا جديدا معهم في رأس أجهزة و مؤسسات نظام الحكم و تقاسم النفوذ و الامتيازات الطبقية معهم بمنطق المحاصصة و بعيدا عن المحاسبة.
و في هذا السياق و في إطار الحوار الوفاق بين الطبقات الرجعية برعاية الامبريالية، و بوساطة العملاء و الانتهازيين،

جاءت حكومة جمعة المؤقتة المفروضة من طرف الشركات الاحتكارية الكبرى (ومنها بالأساس شركة "طوطال").
و نتيجة لذلك أنهى المتوافقون صياغة دستور رجعي كلف خزينة الدولة المليارات من الدينارات، و اعتبرته المفوضية الأوروبية راعية مصالح الامبريالية "الغربية" دستورا تقدميا.
و نصبت هيئة عليا جديدة للانتخابات تقاسمت فيها حركة النهضة و حزب نداء تونس مواقع القيادة في المركز كما في هيئات الفروع و اعتمد نفس القانون الانتخابي الرجعي الذي سيضمن في المستقبل للحزبين الكبيرين المعبرين عن مصالح الائتلاف الطبقي الرجعي العميل و أسياده الامبرياليين اقتسام أغلب مقاعد مجلس العمالة الجديد و امتياز تشكيل الحكومة العميلة المقبلة.
و أمام عزوف الجماهير الشعبية عن التسجيل في قائمات الناخبين لانعدام الثقة لديها في جدوى مسار "الانتقال الديمقراطي" و قناعتها بأن شيئا لم يتغير في واقع بؤسها و معاناتها، سعت الحكومة الحالية لإنجاح الانتخابات القادمة باستعمال أدوات متعددة تراوحت بين إعادة صياغة نفس الأكاذيب السابقة حول ما يمكن أن يتوفر للشعب من إنجازات بعد المشاركة في الانتخابات و إنجاحها و بين الترهيب من خلال تصوير إرهاب المجموعات الدينية المسلحة على أنه المصير المحتوم الذي سيواجهه الشعب و تواجهه البلاد في صورة فشل المسار الانتخابي.
فهل يشارك الوطنيون الديمقراطيون الماركسيون اللينينيون في هذه الانتخابات من خلال الدعوة للتسجيل في قائمات الناخبين و الاقتراع و ترشيح ممثليهم و تقديم برنامج انتخابي كما فعلت الأحزاب و الحركات العميلة و تلك الإصلاحية والانتهازية؟ أم يتعين عليهم مقاطعة تلك الانتخابات و رفض الانخراط مرة أخرى في لعبة الديمقراطية الزائفة و مهزلة الانتخابات؟
يرتبط الجواب عن السؤال المطروح بفهمنا للاستراتيجيا و التكتيك في الثورة المطروحة و هي الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الأفق الاشتراكي، و لذلك فإن موقفنا من الانتخابات لا يمكن أن يصدر بمعزل عن رؤيتنا لطبيعة نظام الحكم القائم وللأحزاب المتنافسة في تلك الانتخابات و مصالحها الطبقية، و دون الأخذ بعين الاعتبار لموازين القوى السائدة و للأولويات المطروحة لدى فريقين من الأحزاب و التيارات و التنظيمات السياسية متناقضين من حيث المبادئ و الأهداف.
إن اعتماد تكتيك الانتخابات و النضال من داخل البرلمان البرجوازي الرجعي أمر ممكن و قد مارسه قادة الحركة الثورية العالمية في ظروف محددة و شروط معينة أهمها قيام حزب ثوري قوي فاعل كما كان حزب الاشتراكيين الايزيناخيين الألمان، أتباعه بالملايين و فعله ملموس في الواقع في صفوف الجماهير أو حزب البلاشفة صاحب الجذور و التركيبة الطبقية العمالية المتغلغل في صفوف الشعب و القادر على حسن استغلال تكتيك و مناورة الانتخابات للدعاية لفكر و برنامج الطبقة العاملة و التشهير بأعدائها و فضح مؤامراتهم.
و قد مارس هذان الحزبان التكتيك الانتخابي في ظل سيادة علاقات الإنتاج الرأسمالية و نظام حكم رجعي و لكن غير عميل، فالنظام البرجوازي الألماني لم يكن عميلا لأي نظام آخر.
أما في تونس شبه المستعمرة، حيث توافق على الحكم ائتلاف طبقي رجعي من البرجوازيين العملاء (الكمبرادور) و كبار الملاكين العقاريين المرتبطين في كل خياراتهم الاقتصادية و السياسية و الثقافية بالامبريالية العالمية و في مقدمتها فرنسا وأمريكا، و حيث يقوم نظام حكم عميل و يغيب عن الساحة السياسية حزب ثوري قوي، فإن تكتيك الانتخابات يصبح غير ممكنا بالنسبة للقوى الوطنية الثورية. و خوض الانتخابات في هذه الحالة إلى جانب الأحزاب و الحركات السياسية المعبرة عن مصالح أطراف التحالف الطبقي الرجعي العميل و جزء كبير من البرجوازية الصغيرة الإصلاحية و الانتهازية ليس من التكتيك الثوري في شيء و إنما سيضفي ذلك "شرعية" لنظام و حكومة العمالة المقبلة.
إن مشاركة الأحزاب الثورية العمالية في الانتخابات و الدخول إلى البرلمانات البرجوازية الرجعية في دول برجوازية ذات سيادة كألمانيا و فرنسا و انجلترا و غيرها من الدول الرأسمالية أمر ممكن بالنسبة للثوريين متى توفرت الشروط الذاتية والموضوعية لذلك و متى خضع هذا التكتيك لاستراتيجيا بعيدة المدى و كان الهدف منه الدعاية و النضال من منابر العدو الطبقي من أجل تحقيق برنامج و أهداف الطبقة العاملة. أما في المستعمرات و أشباه المستعمرات حيث تبسط الامبريالية كامل سيطرتها من خلال عملائها على المجتمع و النظام السياسي القائم، فإن خيار القوى الوطنية الثورية ليس بأي حال من الأحوال هو الانخراط في انتخابات مهزلة لا علاقة لها من بعيد أو قريب بمصالح شعبنا المضطهد و عماله المستغلون، وهو تكتيك على حساب الاستراتيجي في نضال الثوريين من أجل تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الأفق الاشتراكي.
إن المطلوب اليوم هو نبذ وهم الكراسي الزائفة في برلمان عميل و التفرغ لنشر وعي وطني ثوري في صفوف شعبنا وخاصة في أوساط عماله و فلاحيه الفقراء، و العمل من أجل توحيد صفوف كل الوطنيين المعادين فعليا للامبريالية وعملائها في جبهة وطنية عريضة و على قاعدة برنامج وطني ثوري باعتبار أولوية التحرر الوطني و حل التناقض مع الامبريالية و عملائها لصالح شعبنا المضطهد.
فلنراهن على شعبنا و طبقته العاملة و لنبقى أوفياء لدماء الشهداء و لتسقط كراسي العمالة و الانتهازية كما سقطت الأقنعة عن وجوه كل المتآمرين على شعبنا قبل و بعد انتفاضة 17 ديسمبر 2010.

- لا للانتخابات المهزلة
- لن نكون شهود زور و لن نضف "شرعية انتخابية" على العملاء و الانتهازيين
- لنواصل النضال حتى إسقاط النظام.

فريد العليبي أمين عام حزب الكادحين يصرّح لـالمغرب: لا تتوفّر الشروط الأساسية لإجراء انتخابات نزيهة في تونس الآن

الخميس 14 اوت 2014

بقلم: مصدق الشريف |

أصدر حزب الكادحين الوطني الديمقراطي و حزب النضال التقدمي بيانا تضمن دعوة الجماهير الشعبية إلى مقاطعة الإنتخابات مؤكدين عدم خوضهم غمار الإنتخابات البرلمانية و الرئاسية في ظل ما اسموه استمرار الانقلاب على الانتفاضة الشعبية وعلى

شعاراتها التاريخية.

يستند قرار حزب الكادحين القاضى بمقاطعة الانتخابات التشريعية و الرئاسية القادمة حسب تصريح الأمين العام للحزب فريد العليبي الى عدم توفر الشروط الاساسية لاجراء انتخابات نزيهة في تونس الان فالانتخابات عبارة عن مباراة بين قوى سياسية متعارضة او متناقضة و من اسباب نجاح ذلك تكافؤ الفرص امام تلك القوى جميعها و بانعدام ذلك فان المباراة تكون مغشوشة و فاشلة لا محالة.

و حاليا تخضع العملية السياسية الى تدخل المال السياسي الداخلي و الخارجي و الاعلام الفاسد و عودة التجمعيين و تلاعب الرجعية العربية و العالمية و تاثير الارهاب الديني و يحصل ذلك لفائدة احزاب بعينها و خاصة اليمينية الدينية و اليمينية الليبرالية بينما يجري فرض حصار شامل على الاحزاب الثورية و منها حزب الكادحين و الحجج على ذلك كثيرة متمثلة في وقائع تصل الى مستوى الفضيحة فعندما تتدخل دول في تمويل احزاب يمينية و تغدق عليها الهدايا فضلا عن النفخ في صورتها و تعترف مؤسسات اعلامية جهارا نهارا بان جهات عربية حاولت رشوتها بملايين الدينارات و يعود اباطرة التجمع الدستوري الى النشاط السياسي من الباب الكبير وتعقد الصفقات الانتخابية لتقاسم السلطة و التوافق على توزيع مراكز النفوذ قبل حتى ان تبوح صناديق الاقتراع بأسرارها.

و في رده عن نتائج المقاطعة الذي يفتح الباب أمام سيطرة النهضة على الحكم مجددا أجاب الأمين العام لحزب الكادحين :
نحن نرى ان النهضة و حلفاءها قد وصلوا الى السلطة سابقا بمقتضى اتفاق مع لاعبين كبار من وراء » الستار لذلك قاطعنا انتخابات 23 اكتوبر 2011 ايضا و عقدنا ندوة سياسية مع قوى حليفة لنا و قلنا وقتها ان هناك حكاما قادمين من وراء البحار بقرار من الامبرياليين الامريكيين و الاوربيين و بعض الرجعيات العربية و الاقليمية و اليوم نرى ان حركة النهضة لم تغادر السلطة بل تبسط يدها عليها من خلال السيطرة على القصور الثلاثة في قرطاج و القصبة و باردو و هي و حركة نداء تونس ستتقاسمان الحكم في الفترة القادمة برعاية قوى خارجية ايضا و هما على وعي بان اي طرف منهما لا يمكنه الحكم وحده بل بالتوافق مع الطرف المقابل.

أما نحن فسننسق مواقفنا و انشطتنا مع مجموعة من الاحزاب و المنظمات والجمعيات و عدد من المثقفين و النقابيين اي مع القوى التى تشاركنا هذا التقييم للوضع السياسي العام و اتخذت مثلنا قرار المقاطعة و قد اصدرنا بيانا مشتركا مع حزب النضال التقدمي يفيد ذلك و هناك خطوات اخرى قادمة

فالمقاطعة لا تعنى فقط عدم التصويت بل تعني ايضا المقاومة ، مقاومة الفساد السياسي و الاقتصادى و الاجتماعي و تغيير موازين القوى لصالح الكادحين لذلك كانت دعوتنا لايجاد اطار يجمع القوى المقاطعة للانتخابات على قاعدة مواصلة انتفاضة 17 ديسمبر حتى تحقق مهامها التاريخية بما من شانه ان يفتح الباب امام اجراء انتخابات ديمقراطية في المستقبل فتونس تعيش ازمة على مختلف الاصعدة و لن تفلح الانتخابات القادمة بشروطها الحالية في حلها لذلك فان الكفاح السياسي و الاجتماعي سيزداد قوة مع مرور الايام و ستلجأ الرجعية الى القمع و الارهاب و هذا كله سيصاحبه فرز متواصل للقوى السياسية و الاجتماعية و سيمكن البديل الثوري المرتكز الى شعارات انتفاضة 17 ديسمبر من أن يشق طريقه الى الكادحين بمعنى ان البديل تمثله الانتفاضة نفسها و نحن متمسكون به و اوفياء لمن استشهد و جرح من اجله و لمن يواصل الان الكفاح بطرق مختلفة في سبيله .

الرفيق فريد العليبي في الردّ على سؤال صحفي حول الديمقراطية والفلسفة ومقاطعة الانتخابات

نعرف عنكم اهتمامكم بالفلسفة السياسية فهل تؤسسون موقفكم من الانتخابات والديمقراطية بوجه عام على حجج و نظريات فلسفية ؟

نحن لا نتجاهل أفكار الفلاسفة ومناهجهم في فهم الديمقراطية وغيرها، وحزب الكادحين يحاول تحويل السياسة في تونس من الديماغوجيا والخطابة المثيرة للعواطف إلى مقاربات عقلية نقدية تعتمد العلوم المختلفة في وضع خططها التكتيكية والاستراتيجية، فضلا عن الربط بين السياسة والايتيقا الثورية، وبالنسبة إلى الديمقراطية فإن الفلسفة تتعامل معها بتنسيبها، فهي مفهوم تاريخي خاضع للتبدل والتغير، فلا وجود للديمقراطية كجوهر نقي وصاف بل هناك ديمقراطيات ترتدي في كل عصر طبيعة معينة. لقد ناهض سقراط الديمقراطية الأثينية مثلا وكان ضحية لها فقد حكمت عليه بالموت، مبرزا آليات التحكم فيها، ومنها ما يقوم به السفسطائيون الذين يصنعون خطباء من بين الأثرياء ضمانا لاختيارهم من قبل الناخبين، ونادى بحكم الارستقراطية الفكرية أي حكم الفلاسفة، وهو ما نقله لنا أفلاطون الذي يشاركه الرأي ذاته كما اتخذ أرسطو موقفا لا يختلف كثيرا عنه، وهناك أصداء لذلك لدى الفلاسفة العرب أمثال الفارابي وابن رشد فطيلة العصور القديمة والوسيطة كان نظام الحكم الديمقراطي منبوذا ومستهجنا. وإذا كان روسو ولوك وسبينوزا مع العصر الحديث قد أكدوا أهمية التعاقد الاجتماعي والمساواة الحقوقية ودافعوا عن الديمقراطية الليبرالية فإن ذلك كان ايجابيا في لحظة تاريخية ساد خلالها الاستبداد الإقطاعي الملتحف بالدين، و عندما تبدلت الظروف التاريخية واستنفذت تلك الديمقراطية مخزونها الثوري وخاصة بعد ثورة كومونة باريس (1871) اعتبرها ماركس جوفاء لأنها لا تمنح الكادحين حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية، أما أطرها التمثيلية وخاصة البرلمانات فنظر إليها على أنها أماكن للثرثرة وخداع الكادحين فمن يحكم هو من يمتلك أكبر الأسهم في البورصات وكل شئ مهم يطبخ وراء الكواليس.

واليوم فإن فيلسوفا مثل ألان باديو يعتبر الديمقراطية في صورتها الحالية أداة قمع في يد البرجوازية. نحن نستأنس بذلك كله في بناء تصوراتنا ومواقفنا، فلا حركة ثورية دون نظرية ثورية، دون أن يغيب عن أذهاننا الواقع الحي الذي نعيشه في بلادنا فالحريات الديمقراطية مطلب شعبي في تونس كما يمثل الإصلاح الزراعي جوهر الديمقراطية الجديدة، و قد بينت تحقيقات جرت في الأرياف مؤخرا أن معظم الكادحين لن يشاركوا في الانتخابات القادمة فهي غائبة عن اهتمامهم، ومنهم من لا يمتلك حتى بطاقة تعريف وطنية، ومشكلتهم الأساسية هى توزيع الأرض فالديمقراطية ليست الانتخابات فقط كما قد يعتقد، وإنما هي أوسع من ذلك. و مع احتدام الصراع الطبقي في تونس ستتصارع ديمقراطيتان ديمقراطية الحكام وديمقراطية المحكومين، الديمقراطية القديمة والديمقراطية الجديدة، أو ديمقراطية الشعب وديمقراطية السلطان. لقد كانت الديمقراطية الليبرالية في أوروبا والولايات المتحدة ثمرة للثورات البرجوازية فاستندت إلى نظام اقتصادي اجتماعي ثقافي تشكل خلال عهود طويلة و قد تربّت الأمم الأوروبية في خضم صراع مرير، فكان حسم وحدة السوق ووحدة الدولة والعلمانية والحداثة الخ... فأصبحت إمكانية العودة القهقرى إلى عصر الظلام الديني الإقطاعي مستحيلة. واليوم فان الديمقراطية الليبرالية يجري العمل على تجاوزها من يسارها، أما بالنسبة إلى الأمة العربية فإن الديمقراطية الليبرالية هي في الغالب مسقطة، لذلك فإنها حالما توضع على المحك انتخابيا تعطينا سلطة الطوائف والعشائر والمذاهب والهويات المغلقة والعصبيات القاتلة، وهي لن تحسم الصراعات المحتدمة بل ستزيدها تأجيجا، وهناك أمثلة حية في العراق وليبيا ولبنان وغيرها تبين ذلك، وبالتالي يجب توفير الشروط أوّلا للديمقراطية الشعبية حتى تصبح ممكنة وتلك مهمة الثورة دون سواها.

مقاطعة الانتخابات و الحصار الاعلامى

حزب الكادحين الوطنى الديمقراطى
الحوار المتمدن-العدد: 4585 - 2014 / 9 / 25 - 22:05
المحور: مواضيع وابحاث سياسية

بيــــــــان

تضرب وسائل الإعلام الرسمية في تونس حصارا إعلاميا على الموقف الثورى الداعي الى مقاطعة الانتخابات القادمة بينما تفتح الباب على مصراعيه أمام أحزاب السلطة للترويج لدعايتها الانتخابية و توظف أموال طائلة للتأثير على الشعب حتى يشترك بكثافة في الانتخابات و يصوت لهذا الطرف أو ذاك و لا ينخرط في مقاطعتها ، خاصة بعد فشل حملة تسجيل الناخبين ، و الغرض من ذلك هو إضفاء أوسع شرعية ممكنة على نتائج الانتخابات و الحكومات التى ستنبثق عنها ، و في علاقة بذلك يؤكد حزب الكادحين الوطني الديمقراطي على ما يلى :

أولا : دعوة الثوريين إلى كسر هذا الحصار الاعلامى .

ثانيا : حق القوى الثورية المقاطعة للانتخابات في الدعاية لموقفها .

حزب الكادحين الوطنى الديمقراطى

تونس 25 سبتمبر 2014

==

4- الإنتخابات فى تونس :

مغالطات بالجملة للجماهير الشعبية من الأحزاب اليمينية و اليسارية الإصلاحية

" داء البرلمانية ... يشدّ المصابين به إلى عالم خيالي و يسلبهم كلّ عقل و كلّ ذكرى و كلّ فهم للعالم الخارجي الفظّ ."

(ماركس - **" الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت ")**

" قد كان الناس و سيظلّون أبدا ، فى حقل السياسة ، أناسا سذجا يخدعهم الآخرون و يخدعون أنفسهم ، ما لم يتعلّموا إستشفاف مصالح هذه الطبقات أو تلك وراء التعابير و البيانات و الوعود الأخلاقية و الدينية و السياسية و الإجتماعية . فإنّ أنصار الإصلاحات و التحسينات سيكونون أبدا عرضة لخداع المدافعين عن الأوضاع القديمة طالما لم يدركوا أن قوى هذه الطبقات السائدة أو تلك تدعم كلّ مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من بربرية و إهتراء . "

(لينين – **" مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة ").**

الواقع أنه ليس في العالم إلا حرية ملموسة وديمقراطية ملموسة ، وليس هناك حرية مجردة وديمقراطية مجردة . فإذا تمتعت الطبقات المستثمِرة بحرية استثمار الشغيلة ، في مجتمع يدور فيه النضال بين الطبقات ، حرم الشغيلة من حرية مناهضة الاستثمار . وإذا تمتعت فيه البرجوازية بالديمقراطية حرمت منها البروليتاريا والشغيلة. إن بعض البلدان الرأسمالية تسمح بوجود الأحزاب الشيوعية بصورة شرعية ، ولكن بالقدر الذي لا يؤدي إلى الإضرار بمصالح البرجوازية الأساسية ، أما إذا تجاوز الأمر هذا الحد فلن تسمح بوجودها .

إن من يطالبون بالحرية المجردة وبالديمقراطية المجردة يعتبرون الديمقراطية غاية بحد ذاتها ولا يسلمون بأنها وسيلة . قد تبدو الديمقراطية في بعض الأحيان كأنها غاية ، ولكنها ليست هي في الحقيقة إلا وسيلة فالماركسية تشير إلى أن الديمقراطية جزء من البناء الفوقي ، وأنها تدخل في باب السياسة . وهذا معناه أن الديمقراطية ، في آخر الأمر ، تخدم القاعدة الاقتصادية . ونفس التفسير ينطبق على الحرية . فالديمقراطية والحرية نسبيتان وليستا مطلقتين ، ولقد ظهرتا وتطوّرتا عبر عصور التاريخ . "

(ماو تسى تونغ - **" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب " ،**

دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1966).

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن الطبيعة الطبقية لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ . طالما أنّ المجتمع منقسم إلى

طبقات، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها . المسألة هي : ما هي الطبقة التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها ، سيخدم تواصل أو فى النهاية القضاء على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ."

بوب أفاكيان - مقولة مثلما وردت فى **القانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري - الولايات المتحدة الأمريكية** ،2008.

" ما نراه فى نزاع هنا هو الجهاد من جهة و ماك العالمية / ماك الحرب من جهة أخرى و هو نزاع بين شريحة ولّي عهدها تاريخيا ضمن الإنسانية المستعمَرة و المضطهَدة ضد الشريحة الحاكمة التى ولّي عهدها تاريخيا ضمن النظام الإمبريالي . و هذان القطبان الرجعيان يعزّزان بعضهما البعض ، حتى و هما يتعارضان . و إذا وقفت إلى جانب أي منهما ، فإنك ستنتهى إلى تعزيزهما معا . "

بوب أفاكيان – **" التقدّم بطريقة أخرى"** ، جريدة **" الثورة "** عدد 86 ، 29 أفريل 2007 .

==

مقدّمة :

أسدل الستار على مراطون الإنتخابات التشريعية و الرئاسية فى تونس 2014 و إنتهت المسرحية البرجوازية ذات الفصول الدراماتيكية حينا و الهزلية أحيانا . و لم تكذّب الأحداث توقعات الكثيرين فمن ناحية ، قاطعها كما كان من المنتظر أكثر من نصف السكّان الذين لهم حق قانونيّا التصويت و لم يسجّلوا أنفسهم أصلا و حتى ضمن الذين سجّلوا كانت نسبة المقاطعة زهاء الثلث فى التشريعية و حوالي الأربعين فى المائة فى الرئاسيّة ؛ و من ناحية ثانية ، كما كان من المنتظر أيضا ، فاز حزب نداء تونس الدستوري الرجعي الذى أعاد تجميع الدساترة بشكل عام و أضاف إليهم بعض الوجوه النقابيّة و الحقوقيّة ليظهر بثوب جديد غالط من ليس له وعي سياسي كافى ليتعرّف على حقيقة الأحزاب و طبيعتها الطبقية، فاز بالعدد الأكبر من مقاعد ما يسمى بمجلس نواب الشعب و إن لم يحصل على الغالبية المطلقة كما فاز برئاسة " الجمهورية " و بذلك وجد حزب النهضة الذى كان يحكم عبر الترويكا التى كان يقودها نفسه فى المرتبة الثانية ، على أنّ حلفاء نهضة من الأحزاب السابقة منيت بخسارة قد تعتبر ساحقة .

1- إعادة ترتيب بيت أحزاب الطبقات الرجعية الحاكمة :

و تطفح على سطح المشهد السياسي الآن أكثر من أي زمن مضى حقيقة أنّ القوى السياسية المعبّرة عن مصالح الطبقات الرجعية الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية و الممثّلة لهذه الطبقات و هذه الإمبريالية قد أتمّت الفصل الأخير من عمليّة إعادة ترتيب البيت الرجعي و ترميمه . فالسيناريو الذى جدّ فى مصر بصورة عامة يعاد تطبيقه فى تونس (طبعا دون نسيان نقاط الإختلاف الكثيرة) . لمّا واجه نظام دولة الإستعمار الجديد ضغطا شعبيّا فى مصر ، أبعد مبارك كما أُبعد من قبله بن علي فى تونس من الواجهة و طُبخت فى الحالتين مسرحيّة إنتخابية تمّ على إثرها تسليم جزء معيّن من السلط للإسلاميين الفاشيين أعداء الشعب و النساء و للإمبريالية عملاء ، ضمن إتفاق مع الإمبريالية العالمية و الطبقات الرجعية يبقى على أهمّ مقوّمات الدولة دون مساس و نقصد بوجه خاص الجيش الذى إختفظ بسلط حاسمة فى مصر و لعب دورا مركزيّا فى تونس و مصر ما بعد الإنتفاضة الشعبية . و بعد مدّة من

الزمن ، أعادت القوى التى كان مبارك رأس حربتها فى مصر و بن علي رأس حربتها فى تونس تنظيم صفوفها بالتعاون مع الإمبريالية العالمية و عادت إلى المسرح بقوّة لتمسك من جديد بمقاليد الحكم و تثبّت أكثر مؤسّسات دولة الإستعمار الجديد و تحكم قبضتها على المجتمع و تضع الإسلاميّين الفاشيّين حلفاءها التاريخيين فى المكان التى إختارته لهم كقوّة إحتياطيّة . أمّا الأصوليّون الإسلاميون الفاشيّون الذين لم يمتثلوا إلى الأوامر و لم يقلبوا بالأمر الواقع و تجاوزوا الحدود المسموح بها من قبل الطبقات الرجعية الحاكمة و الإمبريالية العالمية فى الوقت الراهن و عملوا على بلوغ برنامجهم الإقصى – الخلافة و الدولة الأوتوقراطية - فووجهوا بالحديد و النار فى كلا البلدين .

و هكذا ، يمكن أو نعتبر بصيغة ما أنّ ما حصل منذ 2011 خطوة إلى الأمام و خطوتان إلى الوراء بمعنى أنّ الإنتفاضة الشعبية خطوة إلى الأمام و تسليم السلطة للإسلاميين الفاشيين ثمّ عودتها إلى العسكر فى مصر أو إلى الدساترة فى تونس خطوتان إلى الوراء . و بذلك أغلقت دائرة إبعاد العسكر و الدساترة بعودتهم إلى الحكم بشكل واضح و إن بوجوه جديدة و فى ظروف جديدة .

<u>2- من مغالطات اليمين :</u>

لقد تميّزت الحملة الإنتخابيّة التشريعية و الرئاسيّة فى معظمها بسُحب من المغالطات التى غطّت السماء ثمّ إنصبّت أمطارا من التضليل على رؤوس سكّان البلاد بواسطة وسائل الإعلام و الدعاية بشتّى الطرق التى سخّرت للغرض . و بإعتبار كثافة تلك الأمطار التضليليّة ، سنكتفى فى هذا المقال بتناول بعض المغالطات التى نرى أنّها تحتاج إلى الإبراز أكثر من غيرها فى الوقت الراهن و التى صدرت عن الأحزاب الأهمّ فى هذه المعارك الإنتخابية لديمقراطية دولة الإستعمار الجديد .

<u>أ- من مغالطات النهضة :</u>

لقد بنت " النهضة " / النكبة الإسلامية الفاشيّة الشقّ الغالب من خطابها على تخويف المواطنين من عودة " التجمعيين " و " الدساترة " أو " عودة الإستبداد " فى الوقت الذى كانت فيه تغازل بن علي إلى أيّام قليلة قبل 14 جانفي 2011 و تشهد على ذلك تسجيلات فيديو و أخرى صوتيّة و رسائل مكتوبة ؛ و فى الوقت الذى فتحت فيه أبواب حزبها لإستيعاب أكبر عدد ممكن من الذين تطلق اليوم صرخة فزع ضدّهم. و قد بيّن ما جرى فى المدّة الأخيرة من إنتخاب لنائب رئيس حزب النهضة نائبا لرئيس ما يسمى بمجلس نواب الشعب مدى تحالف الإسلاميين الفاشيين مع " الدساترة " على أرض الواقع و بالملموس و من وراء الستار .

و فى حين أقامت النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة هجماتها الدعائيّة بلا خجل على مناهضة " الإستبداد " لم تتقاطع مصالحها الحزبيّة و الطبقيّة عمليّا ؛ كما رأينا ، مع المقصودين بذلك فقط بل إنّ حزب راشد الغنّوشي عينه قد مارس و تفنّن هو الآخر وهو على رأس الترويكا و متمترسا فى أجهزة السلطة فى ممارسة أصناف من الإستبداد خبرتها الجماهير الشعبية على أكثر من صعيد كما عبّد الطريق و ساند بوسائل مختلفة أصنافا من الإرهاب .

و من الفصول الهزلية للمسرحية الإنتخابيّة أنّ النهضة / النكبة الإسلامية الفاشية فى مراوغة من مراوغات خطابها المزدوج ، إدّعت وقوفها على نفس مسافة الحياد تجاه المترشّحين للإنتخابات الرئاسية و الحال أنّها وضعت ثقلها الميداني واقعيّا و بالملموس وراء الرئيس المؤقّت السابق !

ب- من مغالطات حزب نداء تونس :

و تجدر الملاحظة بداية أنّ هذا الحزب الذى له من العمر سنتان و نصف السنة تقريبا قد أحسن إستغلال الأحزاب القديمة نسبيّا فى الساحة السياسية فعقد معها فى مناسبات عديدة تحالفات . وفيما ذهب الظنّ ببعض قادة تلك الأحزاب القديمة نسبيّا إلى أنها ستستفيد من هذا التحالف وتحقّق مكاسبا شخصيّة و أخرى فئويّة ، إمتصّ الحزب الجديد رحيق تلك الأحزاب و عطرها أي قواعدها و القريبين منها و من كلّ تحالف عقده خرج أقوى فأقوى و خرج المتحالفون معه أضعف فأضعف و إنهارت أغلبيّتها تقريبا فى الإنتخابات التشريعية الأخيرة بعد أن تركها فجأة و دون سابق إعلام حزب السبسي ليدخل الإنتخابات بقائماته الخاصة . و من هنا ، إلى حدود معيّنة و بمعنى معيّن ، يمكن قول إنّ تلك الأحزاب و الجبهة الشعبيّة التى تحالفت مع ذلك الحزب الذى لا يخفى رموزه الأهمّ هويّتهم السياسية الدستورية و إنّما تراهم و تسمعهم يفاخرون بها و أسبغت عليه الشرعية الشعبية و حتى تذيّلت له فى إعتصام باردو – الرحيل هي التى مدّت (دون التغاضي عن العلاقات الدولية و الطبيقية الداخلية) بقدر لا يستهان به من أسباب القوّة .

و قد شيّد هذا الحزب الجديد / القديم (الجديد فى تشكّله و القديم بأطروحاته و قياداته و علاقاته و إمتداداته) صرح خطابه الإنتخابي على التمايز و نقد تجربة الترويكا و خاصّة النهضة و ما أفرزه حكمها من وبال على الفئات و الطبقات الشعبية و غيرها من الفئات و الطبقات إلاّ أنّه فى أكثر من مناسبة مدّ للنهضة يد المساعدة و أنقذها (مثال ذلك أثناء ما أطلق عليه الحوار الوطني) ثم مؤخّرا إنتخب نائب رئيس حزب النهضة إلى منصب نائب رئيس مجلس نواب الشعب و غير هذه التقلّبات و المغالطات كثير و ممكن جدّا مستقبلا بالرغم من أنّ نسبة من القواعد و المواطنين الذين صوّتوا لهذا الحزب الجديد / القديم فى الإنتخابات التشريعية و الرئاسيّة قد ينفضّوا من حوله لإقترابه من الإسلاميين الفاشيين . لذلك نراه و النهضة يسلكان سياسة " القطرة قطرة " لتمرير التحالفات العسيرة الهضم و يبرّرانها ب" المصلحة العليا للبلاد ".

و لو أمكن لنا التعميم و تشبيه ما يجرى بين الحزبين الكبيرين هنا بما يحصل عالميّا لقلنا إنّ هذا يشبه (و طبعا دون التغاضى عن الفروقات الضخمة و الجمّة) ما يجرى فى أكثر من بلد و الأمر غاية فى الوضوح مثلا فى أنجلترا و حزبي العمّال و المحافظ و الولايات المتحدة الأمريكية و الحزبين الجمهوري و الديمقراطي ... و فى كلّ إنتخابات نشاهد الحزبين إياهما فى إنجلترا و فى الولايات المتحدة يتنافسان بشدّة أحيانا لكنّهما لا يختلفان جوهريّا فى خدمة الطبقة الحاكمة و قبل الإنتخابات و بعدها يتعاونان و حتّى يشرك أحدهما الآخر فى النهوض ببعض المسؤوليّات و إحتلال بعض المناصب .

و هنا نلفت النظر إلى نقطة لأهمّيتها لا يجب أن تغيب عن أنظارنا حاضرا و مستقبلا هي أنّ البرنامج الإقتصادي و الإجتماعي الذى طبقته الترويكا و على رأسها النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة طوال السنوات الثلاث الماضية ما هو إلاّ البرنامج الذى أعدّه رئيس حزب نداء تونس لمّا كان وزيرا أوّلا سنة 2011 وهو إمتداد جوهريّا لذات برنامج بن علي الذى أملته مصالح الإمبريالية العالمية والطبقات الرجعية المحلّية . و لا نعتقد أنّ الحزبين الكبيرين إيّاهما سيختلفان كثيرا بصدد هذه القاعدة الصلبة التى توحّدهما موضوعيّا و طبقيّا و التى من أجل تطبيقها دون معارضة شعبيّة متوقّعة من المرجّح أن يتوغّلا فى طريق الإلتقاء على أكثر من صعيد و يعقدا تحالفات خدمة لدولة الإستعمار الجديد و مواصلة لإستغلال و إضطهاد الطبقات و الفئات الشعبية و نهب ثروات البلاد .

3- من مغالطات اليسار الإصلاحي :

أ- من مغالطات الجبهة الشعبية :

و تتمادى الجبهة الشعبيّة فى بثّ الأوهام حول الإنتخابات و الديمقراطية البرجوازية عموما و ديمقراطية الإستعمار الجديد خصوصا فتوهم مناضليها و مناضلاتها و المتعاطفين معها و من تنتصب آذانهم ليستمعوا لها من الفئات و الطبقات الشعبية بأنّ وجود عناصر منها فى مجلس نواب الشعب قد يغيّر توجّهات دولة الإستعمار الجديد و سياساتها و خياراتها .

بداية و قبل كلّ شيء دعونا نذكّر القرّاء بأنّ أحزاب الجبهة الشعبية شأنها شأن الأحزاب القانونية الأخرى قد وقّعت على قانون اللعبة الإنتخابية و المسرحية الديمقراطية البرجوازية لدولة الإستعمار الجديد أو ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد و مفروض عليها إحترام إلتزامات الدولة ، هذه الإلتزامات التى تحدّد سياساتها الرئيسية والتوجّهات الكبرى لبرامجها الإقتصادية والإجتماعية و السياسية والثقافية .

و ثانيا ، لدينا تجربة السنوات القريبة الماضية بالقطر وهي تفيدنا بأنّ ما من عناصر معارضة إصلاحية (و لا ثوريّة – وهي لم توجد) تمكّنت من صدّ السياسات الرجعية و ما أجبر الترويكا على التراجع على مسائل معيّنة فى ظروف معيّنة هو النضال الجماهيري الشعبي بمختلف أشكاله . و تثبت لنا تجارب أقطار أخرى عربيّة و غير عربيّة أنّ العناصر اليسارية الإصلاحية المعارضة تعدّ جزءا من الديكور الديمقراطي البرجوازي لا أكثر و لا أقلّ و فى الوقت الذى تتخيّل فيه هذه العناصر الإصلاحية أنّها تستغلّ المنبر البرلماني المتاح ، فى الواقع القوى الرجعية هي التى تستغلّ تلك العناصر لتسبغ على سياساتها الرجعية طابع الديمقراطية و الشرعية.

و لنا نحن الماويّون تجارب هامة عالميّا و من ذلك ما حصل فى النيبال حيث عقب عشر سنوات من حرب الشعب إنتصر داخل الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) خطّ تحريفي ديمقراطي برجوازي أوقف حرب الشعب و فكّك أجهزة السلطة الحمراء فى ثمانين بالمائة من البلاد و شارك فى الإنتخابات أواسط العقد الأوّل من القرن الواحد و العشرين و فاز فيها بالعدد الأكبر من مقاعد النواب فى البرلمان الجديد و شكّل حكومة ترأسها قائد الحزب نفسه . و ها قد مرّت السنوات و السنوات و لم يتغيّر شيء فى وضع الجماهير و لم يتمكّن من صياغة دستور و لا من إدخال الإصلاحات التى وعد بها بل وقع الإنقلاب عليه فى أكثر من مناسبة و نظرا لتعهّداته بترميم الدولة عوض تحطيمها لم يفلح سوى فى مغالطة الجماهير و إغضابها و شقّ صفوف الحزب الذى بات أحزابا تنخرها أوهام الديمقراطية البرجوازية .

إلى هذا توصل الإصلاحية و التحريفية بما هي فكر برجوازي فى صفوف الحركة الشيوعية ، إلى هذا يوصل التعويل على الأوهام الديمقراطية البرجوازية عوض النضال البروليتاري الثوري إنطلاقا من علم الشيوعية .

و ثالثا ، يطمس متمركسو الجبهة الشعبية و ناطقها الرسمي حقيقة أنّه فى المجتمع الطبقي لا وجود لديمقراطية " خالصة " خارج الطبقات و يمرّغون فى الوحل الحقيقة التى لخّصها لينين فى مقولته :

" طالما هناك طبقات متمايزة ، - و طالما لم نسخر من الحسّ السليم و التاريخ ، - لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة "، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية

الخالصة " ليست فقط صيغة جاهلة تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء و لا أجوف، لأنّ الديمقراطية، ستضمحلّ ، إذ تتطور فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة، و لكنها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة ".)

(" الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي " - ص18)

و إلى ذلك مضت الجبهة الشعبية أشواطا فى بثّ الأوهام بصدد الإسلاميين الفاشيين أعداء الشعب و النساء و للإمبريالية عملاء ، فهي تقدّمهم على أنّهم ديمقراطيون وجب " التعايش " معهم . و مفردة " التعايش " هذه المتكرّرة فى خطاب قيادات الجبهة الشعبيّة و ليس فى خطاب ناطقها الرسمي فقط ، تعكس الإلتزامات التى أمضت عليها الأحزاب القانونية من جهة ، و تستهين من الجهة الأخرى بالنضالات الشعبيّة التى دعت إلى الإطاحة بحكم الإسلاميين الفاشيين و محاسبتهم على جرائمهم المتنوّعة فى حقّ الشهداء و الجماهير الشعبية . إنّ متمركسو الجبهة الشعبيّة بموجب إلتزاماتهم وإصلاحيتهم يروّجون لل" تعايش " السلمي بينهم و بين الإسلاميين الفاشيين الداعين إلى إيجاد خلافة سادسة و قطع الأيدى و سحل المعارضين و إنتهاك حقوق النساء و تكريس الأفكار و العادات القروسطية و ما شابه و بالتالى يدعون إلى التعايش السلمي مع أعداء الشعب عموما و إلى " الوحدة الوطنية " و " الحوار الوطني " بين الطبقات المتعادية بما يساهم فى جعل المضطهَدِين و المستغَلّين سلبيين تجاه ما يسلّط عليهم من إضطهاد و إستغلال و فى تأبيد الوضع السائد و من ثمّة بمثالية يكرّسون نهاية الصراع الطبقي طمسا لحقيقة موضوعية فى المجتمعات الطبقية و ما تستدعيه هذه الحقيقة الموضوعية من نضال بروليتاري واعي ضد الطبقات المستغِلّة و الإضطِهادية و أحزابها و مؤسساتها و أفكارها . بعبارات أخرى ، من وجهة نظر شيوعية ماوية ثوريّة ، إزاء أعداء الجماهير الشعبية ، إزاء ممثلى دولة الإستعمار الجديد و الطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية و التى تمارس دكتاتوريّتها على الفئات و الطبقات الشعبية ، يترتّب على المناضلين و المناضلات فى سبيل تحرير الإنسانية من جميع أشكال الإضطهاد و الإستغلال الجندري و الطبقي و القومي أن يخوضوا الصراع الطبقي بكافة مستلزماته من منظور بروليتاري ثوري للإطاحة بأعداء الشعب و ممارسة الدكتاتورية الديمقراطية ضدّهم فى إطار دولة جديدة ثورية هي دولة الديمقراطية الجديدة و التقدّم نحو الإشتراكية فالشيوعية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي .

ولا يفوتنا هنا التعرّض إلى الورطة التى وضعت فيها الجبهة الشعبية الكثير من المناضلين و المناضلات نتيجة المغالطات بشأن الإنتخابات الرئاسيّة . ففى الدور الثاني للإنتخابات الرئاسيّة ، وجد أنصار تلك الجبهة الإصلاحية أنفسهم أمام خيار يفضح طبيعة الأوهام الديمقراطية البرجوازية لدى من له عيون ليرى و آذان ليسمع و لا يسلك سياسة النعامة . ففى نهاية المطاف وهو زبدة الإنتخابات الرئاسيّة ، بقي مرشّحان رجعيّان إثنان أحدهما مدعوم من النهضة / النكبة الإسلامية الفاشيّة و آخر على رأس الحزب الدستوري القديم / الجديد . و كان منطق مسرحية الديمقراطية البرجوازية عامة يفرض على أنصار الجبهة إختيار أحد المترشّحين فوجد البعض ذلك أمرا مهولا و غير مقبول لا يمكن تحمّله فإنتفضوا و دعوا علنا تارة و سرّا طورا آخر إلى مقاطعة الإنتخابات الرئاسيّة . فى حين نادى رموز من حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد بضرورة الإصطفاف وراء ممثّل الدساترة دون قيد أو شرط قبل أن تعلن الجبهة إيّاها موقفها الرسمي الذى طال إنتظاره لحوالي أسبوعين لتخرج ببيان أوّل يتضمّن مغالطة كبرى

إذ قيّمت تجربة الرئيس السابق على أنّها سلبيّة و بالتالى مدانة و دعت إلى " قطع الطريق " على عودته إلى الرئاسة و هذا فى حدّ ذاته إنتصار جلي إلى منافسه أي مرشّح حزب نداء تونس غير أنّ الجزء الآخر من البيان تحدّث بهمهمة و غمغمة عن تخوّفات من عودة " بقايا النظام السابق " طامسا الطبيعة الطبقيّة الحقيقية لحزب السبسي الرجعي ، فى مناورة لفتح قنوات حوار مع هذا الأحزب الأخير والسعي إلى الحصول على وعود أو بعض فتات الموائد . و قبل يوم من ما يسمّى بيوم الصمت الإنتخابي أي قبل أكثر بقليل من 24 ساعة من بداية عمليّة الإقتراع ، صدر بيان آخر عن الجبهة إثر لقاء قيادات لها مع رئيس حزب نداء تونس ليتّسم بوضوح أكبر فى نواحى و ضبابيّة فى نواحي أخرى حيث تبخّرت الإحترازات تجاه هذا الحزب القديم / الجديد و جرت الدعوة فى النقطة الأولى إلى المشاركة بكثافة فى الدور الثاني من الإنتخابات الرئاسية و فى النقطة الثانية ، إلى عدم التصويت للمرزوقي و حفاظا على وحدة صفوف الجبهة صيغ موقف مزدوج يترك المجال للناخبين و الناخبات بالتصويت أو عدم التصويت لمنافس المرزوقي . و من ثمّة رغم المراوغات و المداورة و المناورة إنتهت الجبهة موضوعيّا إلى الإصطفاف رئيسيّا وراء حزب نداء تونس الذى تحالفت معه قبلا فى إطار جبهة الإنقاذ ضد الترويكا بقيادة النهضة علما و أنّ حزب العمال التونسي (حينها كان حزب العمال الشيوعي التونسي) قد تحالف سابقا مع النهضة فى إطار تحالف 18 أكتوبر . و قد يستهزأ أحدهم باليسار الإصلاحي ملاحظا أنّه بات كرة تتلاعب بها القوى الرجعية !

ب- من مغالطات حزب الكادحين الوطني ديمقراطي و الحزب الوطني الإشتراكي الثوري :

لقد سبق و أن حلّلنا فى مقالات سابقة لجوء حزب الكادحين الوطني الديمقراطي إلى مغالطة نفسه و الجماهير حينما صرّح فى بيان مشترك له مع حزب النضال التقدّمي أنّ من أهمّ أسباب مقاطعة الإنتخابات تأثير المال السياسي و الفساد الإعلامي و كشفنا أنّ هذين السببين ينمّان عن مراوغة و مخاتلة لأنّ العمليّة الإنتخابيّة فى الديمقراطية البرجوازية عامة و فى ديمقراطية الإستعمار الجديد خاصة تخضع دائما و أبدا إلى تأثير المال السياسي و سلطة الإعلام المنحاز ما يفضح أنّ هذين الحزبين ليسا ضد الإنتخابات الديمقراطية البرجوازية و أوهامها و إنّما يريدان فقط توفير شروط أفضل لهما للمشاركة فيها كغيرهما من الأحزاب الإصلاحية .

و يهمّنا أن نؤكّد مجدّدا أن حزب الكادحين الوطني الديمقراطي يتوخّى فى تعاطيه مع الواقع المثالية و البراغماتية / النفعية عندما يُحلّ الوهم محلّ الحقيقة العلمية الموضوعية . فمثلا فى نصّ " ملاحظات سريعة حول نتائج الإنتخابات التشريعية " المؤرخ فى 9 نوفمبر 2014 ، فى نقطته الأولى يوحى بأنّ من قاطع طبّق تكتيكا سياسيّا واعيا طبقيّا لغايات جليّة و بتأثير بعض المجموعات المقاطعة (أثبت تاكتيك المقاطعة أنه تاكتيك شعبي فنسبة المقاطعين للتسجيل والاقتراع تقارب ثلثي من يحق لهم التصويت) و هذا التعميم يجافى الحقيقة فهو لا يصحّ إلاّ على قلّة قليلة جدّا أمّا غالبية المقاطعين فقاموا بذلك لأسباب لا تحصى ولا تعدّ و من أنواع متنوّعة للغاية و من المبالغة المثالية البراغماتية النفعية أن يعتبر النصّ إيّاه فى نقطته الثالثة أنّ " ملتقى مقاطعة الإنتخابات ... قد أربك الرجعية " و أنّ " الرجعية حاصرته إعلاميّا و أمنيا دون جدوى " فمن الأرجح واقعيّا (حتّى لا ندخل فى المزايدات) أن نسبة عالية من المقاطعين قد تصل التسعين فى المائة لم تسمع أصلا عن هذا الملتقى !

لن يجدى التطاوس و مغالطة النفس و الآخرين و قراءة الواقع قراءة مثالية براغماتية نفعا فى التقدّم بالوعي الثوري للمناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية ؛ ما نحتاجه فى تعاطينا مع الواقع

الموضوع و الذاتي هو تفسير الواقع المادي الموضوعي تفسيرا علميّا ماديّا جدليا من أجل تغييره تغييرا ثوريّا من منظور الشيوعية الثوريّة . و هذا لم يفقه منه شيئا حزب الكادحين الوطني الديمقراطي بمثاليّته و براغماتيّته و الشيء نفسه ينسحب على الحزب الوطني الإشتراكي الثوري الذى يتّخذ بلا مبدئيّة صارت من ميزاته المعروفة الموقف و نقيضه و بمثالية و براغماتية يلوّن واقع موضوعي بالألوان التى يراها تخدم تكتيكاته الإنتهازية . فقد وظّف بإنتهازية مقولات للينين و الأممية الشيوعية الثالثة ليدعو إلى المشاركة فى الإنتخابات التشريعية لدولة الإستعمار الجديد و شارك هو نفسه بأربع قائمات . و فجأة طفق فى الإنتخابات الرئاسيّة و تحديدا فى دورها الثاني يدعو إلى المقاطعة و يلعن شرعيّة التداول السلمي على السلطة !

و بينما نقد نقدا لاذعا الجبهة الشعبية و سياساتها المتواطئة مع السفارات الأجنبيّة ، ألفيناه فى الكثير من الجهات يساند قائمات هذه الجبهة ! و ليس هذا سوى غيض من فيض عن مغالطات هذا الحزب الإصلاحي الماركسي المزيّف التى عرّينا فى كتب و مقالات تجدونها على موقع الحوار المتمدّن (بمكتبة الحوار المتمدّن و بالموقع الفرعي لناظم الماوي) .

<u>4- اليمين و اليسار الإصلاحي يبثّان معا و فى إنسجام الأوهام الديمقراطية البرجوازية :</u>

كالقرص المشروخ تكرّرت على مسامعنا ترسانة خطاب ديمقراطي برجوازي عامة و خاصة ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد . و إستوى فى إستخدامها اليمين و اليسار الإصلاحي و نظرا لكون المجال فى هذا المقال لا يسمح بالإبحار فى دراسة و تحليل و تفكيك منهجي لكافة ركائز و عناصر هذه الترسانة سنكتفى هنا بالتوقّف عند مصطلحات مفاتيح تساهم حاليّا بقسط كبير فى مغالطة المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية و فى بثّ الأوهام الديمقراطية البرجوازية .

و ننطلق مع مصطلح " الديمقراطية " التى تستدعى كتبا للإنكباب عليها بالتحليل تاريخيّا و حاضرا عبر العالم و محليّا . لذا حسبنا هنا أن نشير إلى كون اليمين و اليسار الإصلاحي متّفقين على أنّ الديمقراطية غاية فى حدّ ذاتها و أنّها فوق الطبقات لذلك يشعر المرء وهم يتحدّثون عن الديمقراطية و كأنّهم يقدّسونها أيما تقديس و كأنّها الحلّ السحري لكافة تناقضات المجتمع الإنساني و أمراضه .

و من اليمين لا ينبغى للشيوعيين أن يستغربوا ذلك لأنّه نابع عن نظرته للعالم و يخدم مصالحه الطبقية بيد أنّه عليهم ، إلى جانب فضح اليمين طبعا ، أن يفضحوا أيضا من يدّعى الماركسية ويلتقى بوضوح مع اليمين فى بثّ الأوهام البرجوازية و يدوس الواقع المادي و الموقف الشيوعي الحقيقي من الديمقراطية و طبيعتها الطبقية و تاريخها ومآلها التاريخي و قد أعرب لينين بشكل مكثّف في **" الدولة و الثورة "** (الصفحة 37 ثم الصفحة 20) عن حقيقتين هما :

" **إن أشكال الدول البرجوازية فى منتهى التنوع ، و لكن كنهها واحد : فجميع هذه الدول هي بهذا الشكل أو ذاك و فى نهاية الأمر <u>ديكتاتورية البرجوازية</u> على التأكيد . و يقينا أن الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية لا بد و أن يعطى وفرة و تنوعا هائلين من الأشكال السياسية ، و لكن فحواها ستكون لا محالة واحدة : <u>ديكتاتورية البروليتاريا</u>** ."

و " **الديمقراطية هي أيضا دولة و أنّ الديمقراطية تزول هي أيضا ، تبعا لذلك ، عندما تزول الدولة** ".

و التحليل اللينيني فى كتاب " **الدولة و الثورة** " وفى كتاب " **الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي** " عمّقه أكثر و طوّره بوب أفاكيان فى كتاب " **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** " (شيكاغو ، إنسايت براس ، 1986) و غيرها من المؤلّفات اللاحقة . وقد فصّلنا القول فى الموضوع فى عدّة مناسبات سابقة و على من يتطلّع لدراسة المسألة بالعمق اللازم الإطلاع على كتاباتنا بموقع الحوار المتمدّن .

و تاليا ، نعرّج على مسألة إدانة المقاطعة إذ قارئ المقالات و مشاهد البرامج الحوارية التلفزية و سامع الإذاعات ينتابه شعور بأنّ المتحدّثين من اليمين واليسار الإصلاحي لا يفوّتون فرصة لإدانة المقاطعين و أحيانا لتجريمهم معتبرين أن من لا يشارك فى المسرحية الإنتخابية لا يقوم بواجبه الوطني تجاه البلاد و يعرقل ما يسمّونه بالإنتقال الديمقراطي . يرغب هؤلاء جميعا فى جلب أقصى عدد ممكن من الجماهير إلى حلبة اللعبة الديمقراطية البرجوازية – ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد التى وضعت قوانينها الإمبريالية و الطبقات الرجعية المحلّية و التى لفضها لأسباب متعدّدة و متباينة و متنوّعة أكثر من نصف من يحقّ لهم قانونيّا التصويت . فالمقاطعة تعنى ضمن ما تعنيه – على الأقلّ لدى فئات معيّنة – رفضا باتا للعبة و إدانة مبطّنة أو صريحة للاعبيها و صرخة بصوت عالى و مدوّى بأنّها ليست الحلّ لأهمّ قضايا الفئات و الطبقات الشعبية و مشاكلها . و فى نهية المطاف ، إتساع رقعة و نطاق المقاطعة و إرتفاع نسبها ينزع الشرعية على الحكّام و يعلن إفلاس اللعبة و لاعبيها و هذا أخشى ما يخشاه اليمين و اليسار الإصلاحي لأنّه يفسد عليهم برامجهم و يعرّى حقيقتهم .

و على ضوء ما تقدّم نفهم تعويل اليمين و اليسار الإصلاحي كلاهما فى خطابهما على تجاهل المقاطعين و حديثهم بلا هوادة عن الشعب الذى إختار من إختار فى الإنتخابات . و بهذا يخرجون أكثر من نصف سكّان البلاد من صفوف الشعب الذى يحصرونه عمدا عامدين للمغالطة فى من شاركوا فى الإنتخابات . و من هنا يمسى الثلاثة ملايين ونيّف الذين شاركوا فى المسرحيّة الإنتخابية هم الشعب و يمسى ما يناهز الخمسة ملايين من من لم يمارسوا حقّهم فى التصويت من المنسيين المغضوب عليهم . و مرّة أخرى ، بمثاليّة لا يحسدون عليها ، يقلب متمركسو الجبهة الشعبية (التى لشعبيّتها تتناسى أغلبية الشعب !) الأمور رأسا على عقب جاعلين من الأقلّية أغلبيّة و من الأغلبية سرابا .

(و بالمناسبة نترك لغيرنا أن يتفحّص على ضوء الماركسية إستخدام قيادات الجبهة الشعبية لمصطلحات الشعب والبلاد و الوحدة الوطنية و غيرها من المصطلحات الرائجة و الدارجة .)

و لا ينفكّ اليمين و اليسار الإصلاحي يكرّر ضرورة القبول بنتائج الإنتخابات أي القبول بما أفرزته اللعبة الديمقراطية للإستعمار الجديد و بالتالى مزيد تهميش من قاطعوا تلك اللعبة الباثة للأوهام رغم الدعوات المستمرّة لتكثيف المشاركة فى بيانات تقريبا جميع الأحزاب اليمينية وبيانات الجبهة الشعبية . و فضلا عن ذلك ، يعدّ اليمينيون و اليساريون الإصلاحيون ما جدّ فى القطر من لعبة و مسرحية إنتصارا لتونس و للبلاد ومرّة أخرى يضعون الأغلبية المقاطعة خارج نطاق تونس و البلاد ! و يزيّنون إنتصار الرجعية فى ترتيب بيتها بمساحيق المغالطة و التضليل ليجعلوا منه إنتصارا للشعب و للبلاد !

و يعمد اليمين و اليسار الإصلاحي إلى بثّ الأوهام و مغالطة المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية لتأبيد حكم الطبقات الرجعية السائدة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية و بالتالى تأبيد الإستغلال والإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي . و هذا بالضبط نقيض ما ينبغى أن يسعى إليه و يناضل فى سبيله الشيوعيون الحقيقيّون على رأس الفئات و الطبقات الشعبية بقيادة الطبقة العاملة و إيديولوجيتها

و الغاية الأسمى لهذا النضال الأممي فى جوهره ليست أقلّ من عالم شيوعي . فليستفق اليساريون المغرّر بهم ذلك أنّ الطريق الذى يسلكه الإصلاحيّون لم و لن يحرّر العمّال و الفلاحين و بقية الطبقات و الفئات الشعبية من كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد ؛ ليستفق من يرنو حقّا لأن يكون من الشيوعيين المحرّرين للإنسانية و ليقطعوا مع التحريفية و الإصلاحية و يتخذوا علم الشيوعية المتطوّر مرشدا للتنظير والممارسة الثوريتين بغية تفسير العالم علميّا و تغييره شيوعيّا .

خاتمة :

و بما أنّ الفقرات الأخيرة من مقالنا الذى نشرنا فى أواخر أكتوبر 2014 " **تونسُ الإنتخاباتِ و الأوهامِ البرجوازية و الشيوعيين بلا شيوعية** " تشخّص جيّدا المشكل و الحلّ و تعبّر بوضوح عن البديل الثوري، من المفيد للغاية أن نختم بها هذا المقال أيضا :

" ببساطة ، يصرخ الواقع الموضوعي بحقيقة أنّه لا وجود لحركة ثوريّة . و لماذا ؟ لعدّة عوامل ليس هنا مجال تفصيلها و لكن يهمنا أن نشدّد على أهمّها وهو مرّة أخرى عدم إستيعاب القيادات الشيوعية و الجماهير الشعبيّة النظريّة الثوريّة فكما لخّص لينين حقيقة من الحقائق العميقة والشاملة للصراع الطبقي : **لا حركة ثوريّة دون نظريّة ثوريّة** .

و بديهي أن المشاركين فى الإنتخابات من المجموعات المتمركسة ليست معنيّة أصلا بالنظرية الثورية عدا كنقيض لها تخشاه خشية الأفارقة هذه الأيّام لفيروس الإيبولا . و جلّ إن لم نقل كلّ المقاطعين من الفرق " اليسارية " هي أيضا لا تملك النظريّة الثوريّة و لا تكرّسها و تنشرها فى صفوف المناضلات و المناضلين و الجماهير العريضة لتغيير العقول و تنظيم القوى من أجل إيجاد حركة ثوريّة ، شعب ثوري ، و القيام بالثورة و غايتها الأسمى الشيوعية و تحرير الإنسانية .

و كلّ ما بحوزة السواد الأعظم من المتمركسين هو شذرات كلمات أو مصطلحات و مواقف و تواريخ تستخدم بإنتقائيّة للظهور بمظهر " إشتراكي " و " ثوري " و " تقدّمي " و " ديمقراطي " و" تشاركي" إلخ .

شيوعيّة اليوم ، الشيوعية الثوريّة اليوم ، الروح الثوريّة للماركسية – اللينينية – الماوية ، تتجسّد فى الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تمثّل الفهم الأكثر تقدّما و تطوّرا لعلم الشيوعية ، الفهم المتقدّم الناجم عن البحث و التنقيب العلميين لتقييم التجارب التاريخية للحركة الشيوعية العالمية و إستخلاص الدروس و العبر و للدفاع عن الجانب الإيجابي الرئيسي فيها و القطع مع الأخطاء كجانب ثانوي و إعادة صياغة الشيوعية و إرسائها على أسس علمية أرسخ لا يجب أن تكفّ عن التطوّر (و إلاّ مات علم الثورة البروليتارية العالمية) . لذلك الخلاصة الجديدة للشيوعية هي اليوم الكفيلة الوحيدة بإعتبارها النظرية الثورية المنشودة بأن تنشأ حركة ثوريّة للقيام بالثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها و غايتها الشيوعية و تحرير الإنسانية على الصعيد العالمي .

و كيما تكون الممارسة ثوريّة لا بدّ من أن تهتدي بالنظريّة الثورية و من هنا يتعيّن على كلّ من يرنو إلى المساهمة بفكر نقدي و وعي شيوعي ثوري فى تحرير الإنسانية من كافة ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي أن يمتلك ناصية علم الشيوعية و بالتالى دراسة الخلاصة الجديدة للشيوعية و إستيعابها و تطبيقها و تطويرها مسألة أمور مؤكدة الضرورة اليوم . لقد جاء على لسان إنجلز منذ أكثر من قرن من الزمن أن :

" و سيكون واجب القادة على وجه الخصوص أن يثقفوا أنفسهم أكثر فأكثر فى جميع المسائل النظرية و أن يتخلصوا أكثر فأكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من المفهوم القديم عن العالم و أن يأخذوا أبدا بعين الاعتبار أن الاشتراكية ، مذ غدت علما ، تتطلب أن تعامل كما يعامل العلم ، أي تتطلب أن تدرس . و الوعي الذى يكتسب بهذا الشكل و يزداد وضوحا ، ينبغى أن ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة أبدا..." (انجلز ، ذكره لينين فى **" ما العمل ؟ "**).

و لدراسة الخلاصة الجديدة للشيوعية بتمعّن و من مصادرها نقترح على القرّاء باللغة العربية الكتب التالية المتوفّرة بمكتبة الحوار المتمدّن :

- **المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** .(لشادي الشماوي)

- **الماوية تنقسم إلى إثنين** . (لشادي الشماوي)

- **مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه** . (لشادي الشماوي)

- **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتباته** . (لشادي الشماوي)

- **صراع خطّين عالمي حول الخلاصة الجديدة للشيوعية** . (لناظم الماوي)

- **آجيث نموذج الدغمائي المناهض لتطوير علم الشيوعية** . (لناظم الماوي)

وقد كثّف بوب أفاكيان المقصود بالخلاصة الجديدة فى الفقرات التالية :

" تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي . "

(**" القيام بالثورة و تحرير الإنسانية "** ، الجزء الأوّل ، جريدة **" الثورة "** عدد 112 ، 16 ديسمبر 2007 .)

============= 23 ديسمبر 2013 =============

5- إلى الماركسيّات والماركسيين الشبّان: ماركسيين ثوريين تريدوا أن تكونوا أم إصلاحيين؟

" لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة . وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام، بوصفها نزعة تحريفية...
- ان ما يجعل التحريفية أمرا محتما ، انما هي جذورها الطبقية فى المجتمع المعاصر . فإن النزعة التحريفية ظاهرة عالمية...
- ان نضال الماركسية الثورية الفكرى ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التى ستخوضها البروليتاريا السائرة الى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام ..."

(لينين ،" **الماركسية و النزعة التحريفية** ")

" على الشيوعيين كلّما واجهوا أمرا من الأمور أن يبحثوا عن أسبابه و دواعيه ، و أن يستخدموا عقولهم و يفكّروا بإمعان ليتبيّنوا هل الأمر يطابق الواقع و تؤيده مبرّرات سليمة أو لا ، و لا يجوز لهم بأي حال من الأحوال أن ينقادوا وراء غيرهم إنقياد الأعمى أو يشجّعوا العبودية ."

(ماو تسى تونغ ، " **إصلاح أساليب الحزب** " ، فيفري 1942) .

الرفيقات ، الرفاق

تحيّة حمراء

أتوجّه إليكم بهذه الرسالة المفتوحة لا من منطلق الوصاية و لا من منطلق التلقين كما من المتوقّع أن يدّعي البعض ، و إنّما من منطلق رفاقي هدفه الجوهري خدمة الشيوعية و تحرير الإنسانية و مهمّته الراهنة تتمثّل فى أوّلا ، دفع النقاش للفرز بين الشيوعية الثوريّة من جهة و تحريفية المتمركسين التى لا تعدو أن تكون سوى فكر برجوازي فى صفوف الحركة الشيوعية ؛ و ثانيا المساهمة فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الشباب الماركسي الذى تستغلّه المجموعات المتمركسة لأغراضها الإصلاحية التى تصبّ فى نهاية المطاف فى خانة خدمة تأبيد الدول الرجعية والإستغلال والإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي .

و من الأكيد أنّ الماركسية الثورية تحتاج على الدوام إلى دم جديد ، إلى الشباب المتّسم بالتمرّد و البحث عن التغيير و الذى لا ينفكّ يضع الأمور موضع سؤال و يمارس النقد ، و هذه الصفات تقلّصت كثيرا عند عدد من المتقدّمين فى السنّ الذين إمّا أنهكت قواهم المعارك أو إستهلكت طاقاتهم المشاغل العائلية و اليومية أو المهنيّة . و دون أن ننكر جهود كافة الماركسيين الثوريين حقّا ، نقرّ بحاجة الشيوعية الثورية الأكيدة إلى طاقات شبابيّة فى النضال الدؤوب ضد التحريفية السائدة داخل صفوف الحركة الشيوعية العربيّة و العالمية ، هذه التحريفية التى تحوّل الماركسية إلى أداة فى خدمة الطبقات الرجعية عوض أن ترفع راية الماركسية الحقيقيّة ، و تكرّس الماركسية الثورية و هدفها الأسمى الشيوعية على النطاق العالمي .

1- ليس كلّ ما يلمع ذهبا !

لا شكّ فى أن الماركسيين فى البلدان العربيّة شأنهم شأن الماركسيين عالميّا منقسمين إلى مجموعات و قد يحزّ هذا فى قلب البعض ممّن يرغبون فى وحدة " اليسار الماركسي " التى تكون عادة غير ممكنة واقعيّا بين ماركسيين حقيقيين و ماركسيين مزيّفين . فجلّ المجموعات حين ندرس مليّا خطّها الإيديولوجي والسياسي على ضوء علم الشيوعية نكتشف أنّها ليست ماركسية فى جوهرها أو هي تعتمد منهجا إنتقائيّا بمعنى أنّها تأخذ ما إستطاعت إليه سبيلا من الأفكار الماركسية و تستبعد البقيّة (لا لأنّها خاطئة أو تبيّن عدم عكسها للواقع الموضوعي عكسا علميّا على أتمّ وجه ممكن و إنّما لكونها لا تنسجم و الخطّ الإصلاحي لهذه المجموعة أو تلك) لتعوّضها بأفكار برجوازية تغلّفها بألوان ثوريّة فيكون المزيج طبخة تحريفيّة إنتهازية يمينيّة أو يسراوية .

لهذا علينا جميعا أن ندرك حقيقة أنّ قلّة قليلة من المجموعات الماركسيّة هي ماركسية رئيسيّا ، ماركسيّة حقّا غير أنّها غالبا ما تتعرّض للمحاصرة و التشويه من طرف الرجعيّة و الإمبريالية و الإصلاحيين أيضا . وعلينا أن نعي جيّدا أنّه ليس من يقول عن نفسه ماركسيّا هو ماركسي حقّا ، قولا و فعلا .

ليس كلّ ما يلمع ذهبا **!** (وقد تناولنا ذلك بالملموس فى الكثير من مقالاتنا و كتبنا).

و من واجب الماركسيين الثوريين كماديين جدليين التمسّك بالحقيقة إذ أنّ :

- " على الشيوعيين أن يكونوا مستعدين فى كلّ وقت للتمسّك بالحقيقة ، فالحقيقة ، أية حقيقة ، تتفق مع مصلحة الشعب. وعلى الشيوعيين أن يكونوا فى كلّ وقت على أهبة لإصلاح أخطائهم ، فالأخطاء كلّها ضد مصلحة الشعب ".

(ماو تسى تونغ- 1945)

" كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية ".

(" بوب أفاكيان أثناء نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره " ، فصل من كتاب **" ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة "** ، 2005).

2- الماركسية ثورية و ليست إصلاحيّة :

يمسخ الماركسيون المزيّفون الماركسية الثورية ليجعلوا منها إيديولوجيا تتأقلم مع المجتمعات الإضطهادية و الإستغلالية و تخدم الطبقات السائدة الرجعيّة منها و الإمبريالية فتنقذ دولها و ترمّمها و بالتالى تجعلها أداة من أدوات تأبيد إستغلال و إضطهاد طبقات لطبقات أخرى .

و على العكس ، على الماركسيين الحقيقيين أن يتبنّوا الماركسيّة الحقيقية ، الماركسيّة الثورية (و ليس الخروتشوفية بأشكالها المتنوّعة) و يطبّقوها فى تنظيراتهم و ممارساتهم العمليّة الثوريّة قصد مقاومة الدول الرجعية و الإمبريالية و القيام بالثورة الشيوعية و تحرير الإنسانية من كافة أنواع الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي ، و بفضل الثورة البروليتارية العالميّة بتيّاريها يدكّون الدول الرجعيّة و الإمبريالية دكّا و يشيّدون دولا يكون هدفها الأسمى الشيوعية و إضمحلال الدول ذاتها كأجهزة قمع طبقة أو طبقات لطبقة أو طبقات أخرى ببلوغ الشيوعية العالمية .

لقد أعلن ماركس و إنجلز منذ **" بيان الحزب الشيوعي "** :

1- " و يترفّع الشيوعيّون عن إخفاء آرائهم ومقاصدهم ، و يعلنون صراحة أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها و تحقيقها إلاّ بدكّ كلّ النظام الإجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية. فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها و أغلالها و تربح من ورائها عالما بأسره ."

(ماركس و إنجلز ، " **بيان الحزب الشيوعي** " ، الفقرة الأخيرة)

2- " إن الثورة الشيوعية تقطع من الأساس كل رابطة مع علاقات الملكية التقليدية ، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطورها ، كل رابطة مع الأفكار و الآراء التقليدية ."

و من هنا على الماركسيّات و الماركسيين الشبّان أن يتمثّلوا تاريخ صراع الخطّين صلب الحركة الشيوعية و أحزابها عالميّا و محلّيا و ماضيا و حاضرا و أن يميّزوا بين الثوريين و الإصلاحيين ضمن الماركسيين فيساندوا الأوّلين و يفضحوا الثانين .

<u>3- لا حركة ثورية دون نظريّة ثوريّة :</u>

بات من الشائع أن ينعت الماركسيّون المزيّفون الرفاق و الرفيقات الذين يجتهدون لإستيعاب علم الشيوعية و تطبيقه و تطويره بأنّهم " كتبيين " و أصحاب " جمل ثوريّة " ، فى إستهانة عمليّا بدور النظريّة أيمّا إستهانة . و يصدر هذا عن أناس يذكّرونك أحيانا بمقولة لينين " لا حركة ثورية دون نظريّة ثورية " !

غالبا ما يحطّ الماركسيون المزيّفون من مكانة النظريّة الثورية ، الشيوعية الثوريّة ليفصلوا بينما و بين الممارسة الثورية و يشوّهوا العلاقة الجدلية بينهما و يرفعوا من شأن " الحركة كلّ شيء و الهدف لا شيء " التى تعبّر عن جوهر التحريفية كما قال لينين . و فى المقابل ، تراهم يضخّون ضخّا الأفكار البرجوازية فى صفوفهم و ينشرونها يمينا و شمالا . و فضلا عن ذلك ، نلفى قيادات الماركسيين المزيّفين لا تفكّ عن الحطّ من مستوى النقاشات الإيديولوجية و حصر مهام المناضلين و المناضلات فى حفظ بعض الشعارات و ترديدها و تطبيق ما تطلبه منهم القيادات دون فهم و مساءلة و لماذا و كيف و من أجل ماذا ، فى نوع من العبوديّة التى حذّرنا منها ماو تسى تونغ أعلاه . و بالتوازي مع ذلك ، لا يخطّط الماركسيّون المزيّفون و لا يخصّصون ما يجب لتنشئة قادة ثوريين يتميّزون بمستوى إيديولوجي و سياسي عالي يمكّنهم من المعالجة النظريّة لقضايا الثورة و الإستراتيجيا و التكتيك و ما إلى ذلك و لا يشجّعون عليه . و فاقد الشيء لا يعطيه !

و من أجل أن توجد حركة ثوريّة نحتاج إلى نظريّة ثوريّة هي علم الشيوعية فى أرقى تطوّراته و بالطبع نحتاج إلى منظّرين منظّرات أو مناضلين و مناضلات يخصّصون جزء هاما من نشاطهم إلى النضال على الجبهة النظريّة دراسة و شرحا و صياغة و نشرا ، و نحتاج جيشا من المثقّفين الثوريين ، لا الإصلاحيين ، ليقودوا الطبقات الشعبيّة و على رأسها البروليتاريا من أجل مقاومة الدول الرجعية و الإمبريالية وتغيير الأذهان بهدف صنع التاريخ والقيام بالثورة البروليتارية العالمية و تحرير الإنسانية.

و كلّ تهاون فى النضال على الجبهة النظريّة فى ترابط جدلي مع الجبهة السياسية و الإقتصادية يساهم لا محالة فى تأبيد هيمنة الأفكار السائدة للطبقات السائدة و فى سيطرة الإيديولوجيا البرجوازية و النظرة البرجوازية و الدينية إلى العالم حتى فى صفوف الماركسيين ذاتهم .

و عليه ، من واجبنا أن ندرس بجدّ و كدّ النظريّة الثورية و فهمها الأكثر تقدّما اليوم فتنير ممارستنا الثورية .

و قد لخّص ماو تسى تونغ عقودا من الصراع حول أهمّية النظرية و صحّة الخطّ الإيديولوجي والسياسي على النحو التالي:**" صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي والسياسي محدّدة فى كلّ شيء "**.

و بهذا المضمار ننصح الرفيقات و الرفاق جميعا – و ليس الشبّان وحسب – بدراسة الصراعات بين المجموعات الماركسية و مختلف الحجج و الخطوط الإيديولوجية و السياسية و بالإطلاع على الصراعات التى خاضها لينين ضد التحريفية صلب الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي ثمّ صلب الحزب البلشفي و داخل الحركة الشيوعية العالمية و بصراعات ستالين ضد التروتسكية و تيارات يمينية و يسراوية أخرى و أيضا على الصراعات الخطّية العديدة التى خاضها ماو تسى تونغ صلب الحزب الشيوعي الصيني و عالميّا ضد التحريفية المعاصرة السوفياتية منها و الإيطالية و الفرنسية و اليوغسلافية ؛ و بالتمعّن فى دراسة الأدبيّات الشيوعية الثوريّة التالية التى طالما حرّفها و شوّهها المتمركسون و نقصد على وجه الخصوص ، كتب لينين : **" ما العمل ؟ "** ، **" الدولة و الثورة "** ، **" الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي "** و كتب ماو تسى تونغ : **" فى التناقض "** و **" حول الديمقراطية الجديدة "** ؛ و التعمّق فى دراسة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى فى الصين الماوية (1966-1976) ...

<u>4- الماركسيّون أمميّون ، لا قوميّون ضيّقو الأفق :</u>

بدعوى الخصوصيّة و الواقع المحلّى (منظور إليهما نظرة تحريفية قوميّة ضيّقة الأفق) صيّر الماركسيّون المزيّفون المجموعات الماركسيّة متذيّلة للقوميّة البرجوازية و متقوقعة على ذاتها و منعزلة عن الحركة الشيوعية العالمية و صراعاتها و كأنّها ليست جزءا منها . و حتّى أنكى من ذلك ، فصلوا النضال فى بلد معيّن عن الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي . و غرقت هذه المجموعات الماركسيّة المزيّفة و أغرقت مناضليها و مناضلاتها و المتعاطفين معها فى الرقعة الجغرافيّة التى توجد بها متناسية أنّ العصر عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و ما أكّد عليه لينين منذ عشرات السنين من أنّ التحليل الملموس للواقع الملموس و تطبيق علم الشيوعية على الخصوصيّات لا يتنافى و الأممية البروليتارية و إنّما هو مظهر من مظهري العلاقة الجدلية بين الخاص و العام ، و المحلّى و العالمي ، و الجزء و الكلّ فى الثورة البروليتارية العالمية كسيرورة ثورية بتيارين هما الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنيّة الديمقراطية فى المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات و الثورة الإشتراكية فى البلدان الإمبريالية و كلاهما بقيادة البروليتاريا و حزبها الشيوعي الثوري و إيديولوجيّتها الثورية .

1- **" أمّا الإشتراكي ، البروليتاري الثوري ، الأممي ، فإنّه يحاكم على نحو آخر : ... فليس من وجهة نظر بلاد"ي" يتعين علي أن أحاكم (إذ أنّ هذه المحاكمة تغدو أشبه بمحاكمة رجل بليد و حقير ، محاكمة قومي تافه ضيق الأفق، لا يدرك أنّه لعبة فى أيدى البرجوازية الإمبريالية) ، بل من وجهة نظر إشتراكي أنا فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها . هذه هي الروح الأممية ، هذا هو الواجب الأممي ، واجب العامل الثوري ، واجب الإشتراكي[إقرأوا الشيوعي] الحقيقي ."**

(لينين ، " **الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي**" ، دار التقدّم موسكو، الصفحة 68-69)

2- " إن الأممية البروليتارية تتطلّب ، أوّلا ، إخضاع مصالح النضال البروليتاري فى بلد من البلدان لمصالح هذا النضال فى النطاق العالمي ، ثانيا ، كفاءة و إستعداد الأمّة المنتصرة على البرجوازية للإقدام على تحمّل التضحيات الوطنية الكبرى من أجل إسقاط رأس المال العالمي"

(لينين ، **" مسودّة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات "** ، يونيو – يوليو / حزيران – تموز 1920.)

لذا ، على الماركسيين الثوريين أن يدركوا إدراكا جيّدا أوّلا ، أنّ البروليتاريا طبقة عالميّة واحدة و أنّ مهمّتها التاريخيّة هي قبر الأنظمة الإستغلالية و الإضطهادية كلّها لتتحرّر و تحرّر الإنسانيّة جمعاء لمّا نبلغ الشيوعية على النطاق العالمي ؛ و ثانيا ، أنّ علم الشيوعية سلاح لا يكفّ عن التطوّر (و إن كفّ مات كما قال ماو تسى تونغ) يمكن تطبيقه على الواقع العالمي برمّته المنقسم أساسا بصورة لامتكافئة بين دول مهيمنة رأسمالية – إمبريالية و دول مستعمرة أو أشباه مستعمرات أو مستعمرات جديدة ؛ و ثالثا ، أنّ فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية فى هذه العقود الأخيرة و اليوم صار للمجال العالمي وزنا كبيرا جدّا و أحيانا حاسما فى إنتصار أيّة ثورة ديمقراطية جديدة أو بروليتارية تسعى جاهدة إلى أن تكون حصنا للثورة البروليتارية العالمية و فى خدمتها .

5- تطوير الماركسيّة و مناهضة التحريفيّة و الدغمائيّة :

لقد شدّد لينين و من بعده ماو تسى تونغ على :

1-" نحن لا نعتبر أبدا نظرية ماركس شيئا كاملا لا يجوز المساس به ، بل إننا مقتنعون ، على العكس ، بأنها لم تفعل غير أن وضعت حجر الزاوية لهذا العلم الذي يترتب على الإشتراكيين أن يدفعوه إلى الأبعد في جميع الإتجاهات إذا شاءوا ألا يتأخروا عن موكب الحياة ."

(لينين ،**" برنامجنا "**)

2- " إن الجمود العقائدى و التحريفية كلاهما يتناقضان مع الماركسية . و الماركسية لا بد أن تتقدم ، و لا بد أن تتطور مع تطور التطبيق العملى و لا يمكنها أن تكف عن التقدم . فإذا توقفت عن التقدم و ظلت كما هي فى مكانها جامدة لا تتطور فقدت حياتها ، إلا أن المبادئ الأساسية للماركسية لا يجوز أن تنقض أبدا ، و إن نقضت فسترتكب أخطاء . إن النظر إلى الماركسية من وجهة النظر الميتافيزيقة و إعتبارها شيئا جامدا، هو جمود عقائدي ، بينما إنكار المبادئ الأساسية للماركسية و إنكار حقيقتها العامة هو تحريفية . و التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون اليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي ."

(ماو تسي تونغ ، **" خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية "** 12 مارس/ أذار 1957 ، **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ "** ص21-22 **).**

و حينئذ على الماركسيين الثوريين أن يطوّروا الماركسية تطويرا ثوريّا لا تحريفيّا فى علاقة بتطوير الممارسة العملية بيد أنّه لكي نطوّر الماركسية التى " لا بدّ أن تتطوّر مع تطوّر التطبيق العملي " يترتّب علينا أن نستوعبها و نطبّقها كما يترتّب علينا أن نستوعب تاريخ الحركة الشيوعية العالمية و تجارب البروليتاريا العالمية بإيجابيّاتنا رئيسيا و سلبيّاتها ثانويّا و ندرس الواقع المادي المتحرّك بمنهج علمي مادي جدلي إنطلاقا من أرقى فهم بلغه علم الشيوعية اليوم . و الفهم الشيوعي الثوري الأكثر تقدّما اليوم ، شيوعيّة اليوم الثوريّة هي الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تقدّم بها بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية عقب عقود من العمل على تلخيص التجارب التاريخية و الراهنة للبروليتاريا العالمية (وهذه الخلاصة الجديدة للشيوعية هي الأساس الذى تنطلق منه كتاباتنا):

" تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي . "

(بوب أفاكيان ؛ " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانية ، الجزء الأوّل** " ؛ " **الثورة** " عدد 112 ، 16 ديسمبر 2007 .)

6- طليعة المستقبل أم بقايا الماضي ؟

إنّ متفحّص المشهد السياسي للمجموعات الماركسية يلاحظ دون عناء كبير وجود مجموعات توقف الماركسيّة عند ماركس و وجود مجموعات أخرى توقفها عند التجربة السوفياتية فتكون الأولى أوقفت تطوّر علم الشيوعية فى مرحلته الأولى و تكون الثانية أوقفته فى مرحلته الثانية متجاهلة المرحلة الثالثة و الجديدة و الأرقى ، الماوية (الماركسية – اللينينية – الماوية) و متنكّرة لأكثر من نصف قرن من تاريخ الحركة الشيوعية المعاصرة ما بعد الإنقلاب التحريفي فى الإتحاد السوفياتي فى أواسط خمسينات القرن العشرين و تغيير لون الحزب و الدولة هناك من حزب و دولة بروليتاريين إلى حزب و دولة

برجوازيين . و حتّى فى صفوف الماويين ، برزت منذ سنوات الآن نزعة دغمائيّة تجمّد الماركسية – اللينينية – الماوية عند تجربة الصين الماوية و تتنكّر للنقد العلمي لبعض الأخطاء الثانويّة التى شابت تلك التجربة و للتشديد على ما هو صائب فيها وهو الرئيسي و إعادة صياغته بإرتباط بالدروس من الماضي و الحاضر و بأفق إنجاز ما أفضل مستقبلا و هكذا تطوير الروح الثوريّة للماويّة .

و من يقترف إنحرافا دغمائيّا من هذا القبيل يظلّ من بقايا الماضي و ليس بوسعه أن يدرك أرقى الفهم الشيوعي اليوم و يساهم فى قيادة ثورة إلى الظفر فى حين أنّه من المطلوب من الماركسيين الثوريين جميعا أن يقيّموا ماضي الحركة الشيوعية العالمية و التجارب الإشتراكية العالمية و يستخلصوا الدروس و العبر (مثلما فعل بوب أفاكيان) ويبنوا على أساس الصحيح و الثوري فيها (مثلما فعل بوب أفاكيان) للقيام بالثورة و تشييد تجارب تكون أفضل و أفضل بكثير مستقبلا و من ثمّة يصحّ علي هؤلاء الماركسين الثوريين نعت طليعة المستقبل .

متفحّصين واقع الحركة الشيوعية العربية و العالمية اليوم نثير الأسئلة التالية : إلى أين قادتنا و تقودنا المجموعات التحريفية الغارقة فى الديمقراطية البرجوازية لدول الإستعمار الجديد ؟ ألم تقدنا و لا تزال إلى التحالف مع الفاشيين الإسلاميين و التذيّل لهم ؟ ألم تقدنا إلى التذيّل للقوميين ؟ ألم تقدنا إلى النضال فى حدود ما تسمح به دول الإستعمار الجديد و إلى خدمة الطبقات الرجعيّة و الإمبريالية العالمية ؟ ألا يلامس البلاهة أن نعتقد أنّ مثل هذه المجموعات الإصلاحيّة قلبا و قالبا قد ترشدنا إلى طريق الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الشيوعية على النطاق العالمي ؟ ألا يتعيّن علينا كماركسيين حقيقيين أن نحرّر أنفسنا من براثن التحريفية و الإصلاحية كي نساهم بأفضل شكل و قدر ممكنين فى كنس التحريفية و الإصلاحية و إعداد الأرضيّة لدفع حركة التاريخ و النضال بإتجاه الشيوعية ؟ ألم يحن الوقت للقطيعة الإيديولوجية و السياسيّة و التنظيمية مع المتمركسين خدمة للشيوعية الحقيقية ؟

أيّتها الرفيقات ، أيّها الرفاق الشبّان ، التحريفية و الإصلاحية مهيمنتين على الحركة الشيوعية عربيّا و عالميّا و من يتطلّع إلى أن يكون ماركسيّا ثوريّا ، ينبغى أن يحارب التحريفية و الإصلاحية ويعلى راية الماركسية الثورية . و فى الوقت الذى توجد فيه الحركة الشيوعية العالمية اليوم فى مفترق طرق ، لا مناص من الإختيار بين أن نكون من بقايا الماضي أو طليعة المستقبل ؟

عاشت الماركسية ثوريّة ، لا للإصلاحية !

لنكن من المساهمين فى الإعداد للثورة البروليتارية العالمية و إنجازها تحقيقا لهدفها الأسمى ألا وهو الشيوعية العالمية و تحرير الإنسانية !

غايتنا الأسمى عالم شيوعي وهو اليوم أكثر من أي زمن مضى عالم ضروري و ممكن ،

فلنناضل من أجله !

مع تحيّاتي الحمراء ،

رفيقكم ناظم الماوي

سبتمبر 2014

++